

بسم الله الرحمن الرحيم

وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية التربية
قسم التربية الإسلامية والمقارنة

نموذج رقم (٨) *

إجازة أطروحة علمية في صيغتها النهائية بعد إجراء التعديلات المطلوبة

الاسم : محمد بن زهير بن عزيز العمري	الكلية : التربية
القسم : التربية الإسلامية والمقارنة	التخصص : تربية إسلامية ومقارنة
الأطروحة مقدمة لنيل درجة : (الماجستير)	منوان الأطروحة : (الصدق في التربية الإسلامية)

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد ..

فبناء على توصية اللجنة المكونة لمناقشة الأطروحة المذكورة أعلاه - والتي تمت مناقشتها بتاريخ : ١١ / ٧ / ١٤٢٠ هـ بقبول الأطروحة بعد إجراء التعديلات المطلوبة ، وحيث قد تم عمل اللازم ، فإن اللجنة توصي بإجازتها في صيغتها النهائية المرفقة متطلبًا تكميلًا للدرجة العلمية المذكورة أعلاه ... والله الموفق ،،،

أعضاء اللجنة

مناقش من خارج القسم

مناقش من داخل القسم

المشرف

هـ / محمد عمر بازمول

هـ / عثمان أمين نوري

أ.هـ / محمود محمد عبدا لله كسناوي

التوقيع : محمد

التوقيع :

التوقيع :

يعتمد : رئيس قسم التربية الإسلامية والمقارنة

أ.د/ محمود محمد عبدا لله كسناوي

التوقيع :



الصدق في التربية الإسلامية

إعداد الطالب

محمد بن زهير بن عزيز العمري

إشراف الدكتور

محمود بن محمد بن عبد اللہ کسنای

بحث مقدّم إلى قسم التربية الإسلامية والمقارنة بكلية التربية - جامعة أم القرى

بحث مكمل لنيل درجة ((الماجستير)) في التربية الإسلامية والمقارنة

الفصل الثاني من الأول

المطوق في التربية الإسلامية

(أ)

ملفص البحث

اسم الباحث : محمد بن زهير بن عزيز العمري .

موضوع البحث : الصدق في التربية الإسلامية .

ويهدف البحث إلى :

- ١ - التعرف على الصدق وحقيقته ، وإبراز مكانته في الإسلام من خلال نصوص القرآن والسنة .
- ٢ - إيضاح الصور المضطربة لأهل الصدق عبر العصور لأخذ القدوة من سيرهم والتأسي بهم .
- ٣ - توضيح دور التربية الإسلامية بمؤسساتها المختلفة وأساليبها المتعددة في جعل الصدق أحد مقومات شخصية المسلم ، وجعله خلقاً عاماً على المستوى الاجتماعي بأكمله .

وقد استخدم الباحث :

المنهج الوصفي الذي يعتمد على جمع الآيات والأحاديث وتفسيرها بغية الوصول للأهداف المرجوة من البحث والدراسة ، وكذا المنهج التاريخي في تتبع سيرة بعض الصحابة وبعض علماء السلف لبيان الصور المضطربة لإيمانهم وصدقهم .

وقد توصل الباحث لنتائج أهمها :

- ١ - الصدق قرين الإيمان ، ولا يكون الإيمان إلا بالصدق في الاعتقاد والقول والعمل .
- ٢ - الصدق من الصفات العظيمة التي وصف الله بها نفسه ، ووصف بها رسله وعباده الصالحين .
- ٣ - من أهم وظائف التربية الإسلامية المحافظة على فطرة الأجيال وتوجيهها إلى الله بالتنشئة على حب الصدق والاتصاف به ومخاربة الكذب .
- ٤ - ما حققه صدر هذه الأمة وسلفها الصالح من انتصارات وبناء حضارة رائعة كان بسبب الصدق مع الله ، وما آل إليه أمرها كان بسبب فقد الصدق أو ضعفه .
- ٥ - الصدق مع الله يؤدي ثماره في الدنيا والآخرة .

ويوصي الباحث بما يلي :

- ١ - أن يتصف القائمون على التربية وعلى مراكز التوجيه في المجتمع بالخلق القويم ، وفي مقدمة هذا الخلق الصدق في الكلمة والسلوك والقدوة .
- ٢ - أن تعمل المؤسسات التربوية والتعليمية على تأصيل القيم والمبادئ التربوية مستندة في ذلك إلى كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ .
- ٣ - عمل دراسات تربوية لمعرفة مدى التزام المؤسسات التربوية والإعلامية بمفهوم الصدق في رسالتها .
- ٤ - العناية باختيار المعلمين لمهنة التعليم وفق معايير تحقق خلق الصدق في نفوسهم ، ليتكثروا من غرسه في نفوس الأجيال والناشئة .

يعتمد / صيد كلية التربية بجامعة أم القرى - بمكة

المشرف

الطالب

د / صالح بن محمد بن صالح السيف

أ.د / محمود بن محمد بن عبد الله كستوري

محمد بن زهير بن عزيز العمري

(ب)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ
وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ

[سورة التوبة ، الآية ١١٩]

يقول رسول الله ﷺ :

عَلَيْكُمْ بِالصَّدَقِ فَإِنَّ الصَّدَقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ
وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ
وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصَّدُقُ وَيَتَحَرَّى الصَّدَقَ
حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صَدِيقًا

رواه مسلم ، ج ٤ ، ص ١٥٩٧

إهداء

إلى كل أسرة مسلمة .
إلى كل العاملين في حقول التربية والتعليم .
إلى كل الدعاة إلى الله .
إلى كل من يريد الهداية إلى البر .
إلى كل من يقرأ أو ينتفع بهذا الجهد المتواضع .

أهدي لهم جميعاً ما قدمه لنا كتاب الله العزيز وسنة رسوله الكريم ﷺ
من الطائفات التربوية الهادفة إلى ازدهار وتربية الشخصية ، وبلورة الفكر
حسب نكود ﴿ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾

الباحث

شكر وعرفان

أتوجّه بالشكر والثناء لله تعالى على توفيقه ونعمه التي لا تعدّ ولا تحصى ،
فله الحمد في الأولى والآخرة ، فهو الذي وفّقني لإتمام وإنجاز هذا البحث ،
والذي أرجو أن يكون عملي فيه قربة إلى الله تعالى ، وإحياء لمنهج رسولنا
الكريم عليه أفضل الصلاة وأتمّ التسليم في تربية الأمة كلّها على الصدق ، وأن
يكون هذا البحث منهجاً تربوياً يؤخذ به في مجتمعا التربوي .

كما أتوجّه بالشكر والتقدير لسعادة الأستاذ الدكتور / محمود بن محمد
كسناوي لحسن توجيهه ، وسعة صدره ، وحسن خلقه ، وكريم معاملته ،
وجهد المشكور في الإشراف والمتابعة على هذا البحث حتّى خرج بهذه الصورة .
كما أتوجّه بالشكر لجامعة أم القرى (إدارة وأساتذة) لما حظيت به من علم
نافع ، وتوجيه بناء .

كما أتوجّه بالشكر إلى كلّ من مدّ يد العون والمساعدة في إعداد هذا
البحث وإخراجه .

ثمّ أتوجّه بشكري وتقديري للجنة المناقشة والتي كانت ملاحظاتها إنارة
لطريقي في البحث اعتناءً وإثراءً له .

فجزى الله الجميع خير الجزاء ، والحمد لله ربّ العالمين .

الباحث .

محتويات البحث

أ	ملخص البحث
د	إهداء
هـ	شكر وعرفان
و	محتويات البحث

الفصل الأول (الإطار العام للبحث) — ١١ - ١

٢	المقدمة :
٥	موضوع البحث :
٧	تساؤلات البحث :
٧	أهمية البحث :
٨	أهداف البحث :
٩	منهج البحث :
٩	الدراسات السابقة :

الفصل الثاني

معنى الصدق ومنزلته في الإسلام — ١٢ - ٤٤

١٣	تمهيد :
١٤	التعريف اللغوي والاصطلاحي للصدق :

- الصدق في اللغة : ١٤
- الصدق في الاصطلاح الشرعي : ١٦
- منزلة الصدق : ١٧
- حقيقة الصدق : ١٨
- دواعي الصدق : ٢١
- أنواع الصدق ومراتبه على مقامات وروده عند الإمام الغزالي : ٢٢
- أقسام الصدق باعتبار علاقات الإنسان بغيره : ٢٥
- الصدق في القرآن الكريم : ٢٨
- القرآن في اللغة : ٢٨
- القرآن في الاصطلاح : ٢٨
- أولاً : أَنَّ الله تعالى وصف نفسه بالصدق : ٢٩
- ثانياً : أَنَّ الصدق من صفات الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام : ٣١
- الرسول الذين وصفوا بالصدقية : ٣٢
- إدريس عليه السلام : ٣٢
- إبراهيم عليه السلام : ٣٢
- إسماعيل عليه السلام : ٣٣
- يوسف عليه السلام : ٣٤
- محمد رسول الله ﷺ : ٣٥
- ثالثاً : أَنَّ الصدق وصف للمؤمنين الذين خالط الإيمان بشاشة قلوبهم : ٣٧
- الصدق في السنة النبوية المطهرة : ٤٠
- السنة في اللغة : ٤٠
- السنة في الشرع : ٤٠
- موضوع السنة ومكانتها من القرآن الكريم : ٤١

(ح)

الفصل الثالث

فضل الصدق وقبح الكذب في نظر السلف الصالح — ٤٥ . ٩٠

- ٤٦ الصدق عند الصحابة رضي الله عنهم :
٤٦ الصحابي لغة :
٤٦ الصحابي في الاصطلاح :
٤٦ الثناء على الصَّحابة في القرآن والسنة :
٤٩ النموذج الأوَّل : أبو بكر الصديق رضي الله عنه :
٥٠ من فضائل أبي بكر رضي الله عنه :
٥١ مواقف وصور من صدق أبي بكر رضي الله عنه :
٥٧ النموذج الثاني : كعب بن مالك رضي الله عنه :
٥٨ حديث كعب بن مالك رضي الله عنه عندما تخلف عن غزوة تبوك :
٦٣ ما يمكن استنباطه من حديث كعب بن مالك رضي الله عنه :
٦٤ الصدق عند علماء السلف :
٦٤ السلف في اللغة :
٦٥ السلف في الاصطلاح :
٦٥ إمام أهل السنة والجماعة أحمد بن حنبل . رحمه الله . :
٦٦ صدق الإمام أحمد يتجلى عند تعرضه لبدعة القول بخلق القرآن :
٦٧ صدق الإمام أحمد من خلال ثناء الأئمة عليه :
٦٨ الصدق عند المربين المسلمين :
٦٩ ١ . الغزالي :
٧٢ ابن تيمية :

- ٧٦ ابن قيم الجوزية :
- ٨١ الكذب وخطورته :
- ٨١ تمهيد :
- ٨٢ الكذب في اللغة :
- ٨٢ الكذب في الاصطلاح :
- ٨٢ نماذج من الآيات الكريمة التي جاء النهي فيها عن الكذب ، والوعيد عليه :
- ٨٥ نماذج من الأحاديث الشريفة التي حذرت من الكذب ، وتوعدت عليه :
- ٨٨ دواعي الكذب :
- ٨٨ الحالات التي يجوز فيها الكذب :

الفصل الرابع

دور وسائل التربية الإسلامية في التأكيد على قيمة الصدق — ٩١ - ١٧٤

- ٩٢ تمهيد :
- ٩٥ معنى التربية الإسلامية وأهدافها :
- ٩٥ تعريف التربية في اللغة :
- ٩٥ تعريف التربية في اصطلاح علماء الإسلام :
- ٩٦ تعريف الإسلام في اللغة :
- ٩٧ تعريف الإسلام في الاصطلاح :
- ٩٨ علاقة الإسلام بالتربية :
- ٩٩ أهمية الأهداف :
- ١٠٠ أهداف التربية الإسلامية :
- ١٠٠ ١ - صون فطرة الناشئ من الانحراف وغرس عقيدة التوحيد في نفسه وحياته ومجتمعه :

- ٢ - توعية الناشئ بهدفه في الحياة ودوره فيها : ١٠٠
- ٣ - التربية المتكاملة لجميع جوانب شخصية الفرد : ١٠٠
- التربية الروحية : ١٠٥
- التربية العقلية : ١٠٧
- التربية الجسمية : ١٠٩
- التربية الأخلاقية : ١١٠
- التربية الاجتماعية : ١١٣
- أهمية مرحلة الطفولة الأولى في تكوين العادات والاتجاهات : ١١٥
- عناية الإسلام بالطفل : ١١٨
- المؤسسات التربوية والدور الذي يمكن أن تقوم به في تربية الأطفال على خلق الصدق : ١٢٣
- أولاً : الأسرة ودورها في تربية الأطفال على خلق الصدق : ١٢٣
- اهتمام الإسلام بالأسرة : ١٢٥
- الأهداف التربوية لتكوين الأسرة : ١٢٨
- ثانياً : دور المدرسة والمعلمين في تربية الأطفال على خلق الصدق : ١٣٠
- دور المعلم : ١٣١
- دور الكتاب المدرسي : ١٣٣
- دور المجتمع المدرسي : ١٣٤
- ثالثاً : المسجد ودوره التربوي في تربية الأطفال على خلق الصدق : ١٣٦
- دور المسجد التربوي : ١٣٧
- رابعاً : وسائل الإعلام ودورها في تربية المتعلم على خلق الصدق : ١٣٩
- خامساً : المجتمع ويمثله الرفقة والأصدقاء ، ودورهم في غرس خلق الصدق : ١٤٢
- الطرق والوسائل والأساليب التربوية التي يمكن الاستفادة منها في تكوين خلق الصدق في نفوس الأطفال : ١٤٤

(ك)

- أولاً : التربية بالقُدوة : ١٤٥
- ثانياً : التربية بالتعليم والتلقين : ١٥٢
- ثالثاً : التربية بالقراءة ومطالعة الكتب : ١٥٦
- رابعاً : التربية بالمناقشة والحوار : ١٥٩
- خامساً : التربية بالترغيب والترهيب : ١٦٢
- سادساً : التربية بالقصص : ١٦٦
- خاتمة البحث ١٧٢
- نتائج البحث وتوصياته : ١٧٣
- أولاً : النتائج : ١٧٣
- ثانياً التوصيات : ١٧٥
- المصادر والمراجع ١٧٧
- أولاً : المصادر : ١٧٨
- ثانياً : المراجع : ١٨٠
- ثالثاً : الرسائل الجامعية : ١٩١
- رابعاً : الصحف والندوات : ١٩٢

الفصل الأول

{ الإطار العام للبحث }

ويشمل :

- المقدمة
- موضوع البحث
- تساؤلات البحث
- أهمية البحث
- أهداف البحث
- منهج البحث
- الدراسات السابقة

المقدمة :

الحمد لله الذي جعل التربية القويمة في القرآن العظيم ، وأبان لعباده الهدى والخير في أحكام الشرع الحنيف .

والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين ، والمجبول على الخلق العظيم ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، ومن استنّ بسنته واهتدى بهداه إلى يوم الدين .

أما بعد :

فإنّ مما يميّز به ديننا الإسلامي العظيم أنّه منهج متكامل صالح لكلّ زمان ومكان ، فيه سعادة المرء في دنياه وآخرته .

وكان من أعظم ما أهداه الإسلام للإنسانية ، ومنحه للبشرية : ما جاءهم به من كريم الأخلاق ، وعظيم الفضائل ، وكان في مقدّماتها الصدق الذي هو ركيزة الإيمان .

ولقد اتّصف المولى تبارك وتعالى بالصدق ، فليس في الوجود كلّ من هو أصدق من الله وعدًا ولا حديثًا ولا قولاً .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [سورة التوبة ، الآية ١١١] .

وقال تعالى : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لِيَجْمَعَ بَيْنَكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴾ [سورة النساء ، الآية ٨٧] .

وقال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ﴾

[سورة النساء ، الآية ١٢٢] .

ولقد اتَّصف كذلك بهذه الفضيلة الكبرى جميع الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، فغدت في حياتهم صفتهم البارزة وعلامتهم التي لا تفارقهم في أي أمر من الأمور .

قال تعالى : ﴿ هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴾ [سورة يس ، الآية ٥٢] .

وعرف نبينا ورسولنا محمد ﷺ بهذه الصفة قبل بعثته ، وأصبحت علما عليه ، فكانوا يلقبونه بالصادق الأمين .

قال تعالى : ﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾

[سورة الزمر ، الآية ٣٣] .

ثم أمر الله عباده المؤمنين أن يتحلَّوا بالصدق في جميع أمور حياتهم ، فقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ [سورة التوبة ،

الآية ١١٩] .

قال (ابن كثير ، ١٤٠١ هـ) في تفسير هذه الآية : « أي اصدقوا والزموا الصدق تكونوا من أهله ، وتنجوا من المهالك ، ويجعل لكم فرجا من أموركم ومخرجا » ج ٢ ، ص ٤٠٠ .

ورغب في ذلك نبيه محمد ﷺ ، حيث يقول ﷺ : « عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ ، فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدِّيقًا ، وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ ، فَإِنَّ الْكَذِبَ

يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ
وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يَكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَابًا » (رواه مسلم ، رقم ٢٦٠٧ ، ك البر والصلة ، باب
قبح الكذب وحسن الصدق وفضله ، ج٤ ، ص ١٥٩٧ ، ط ١ ، ١٤١٦ هـ ، من حديث عبد الله بن مسعود ؓ) .

قال الإمام النووي - رحمه الله - : « قال العلماء : هذا فيه حثٌّ على تحري الصدق ، وهو قصده والاعتناء به ، وعلى التحذير من الكذب والتساهل فيه ، فإنه إن تساهل فيه كثر منه فعرّف به ، وكتبه الله لمبالغته صديقاً إن اعتاده ، أو كذاباً إن اعتاده » . (صحيح مسلم بشرح النووي ، ج ١٦ ، ص ١٦٠) .

إِنَّ الْبِرَّ الَّذِي يَهْدِي إِلَيْهِ الصَّدَقُ هُوَ جَامِعُ الْخَيْرِ الَّذِي لَا يَرْقَى إِلَيْهِ إِلَّا أُولُو الْعِزِّ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَإِنَّ الْفُجُورَ الَّذِي يَهْدِي إِلَيْهِ الْكَذِبُ هُوَ جَامِعُ الشَّرِّ وَضَعَةُ النَّفْسِ ، وَضِياعُ الْإِيمَانِ .

والحديث عن خلق الصدق لا يتم ولا يتضح إلا بإلقاء الضوء على نقيضه وهو الكذب ، إذ جاءت معظم نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية التي يذكر فيها الصدق محذرة من الكذب ، متوعدة صاحبه والمتحري له بالعذاب الشديد . ومن تلك النصوص :

قوله تعالى : ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَبَ بِالصَّدَقِ إِذْ جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴾ [سورة الزمر ، الآية ٣٢] .

وقول الرسول ﷺ : « آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثُ : إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ ، وَإِذَا أُؤْتِمِنَ خَانَ » (رواه البخاري ، رقم ٦٠٩٥ ، ك الأدب ، باب ... وما ينهى عن الكذب ، ج ٧ ، ص ١٢٤ ، ١٤١١ هـ ، من حديث أبي هريرة ؓ) .

وللأهمية التي يحتلها الصدق في الإسلام ، والتركيز الذي يلقيه القرآن الكريم

والسنة النبوية على ضرورة الالتزام به ؛ لا بُدَّ أن يكون لها آثارها ونتائجها في تكوين الفرد المسلم والمجتمع المسلم .

وهذا ما حدا بالباحث أن يختار هذا الموضوع « الصدق في التربية الإسلامية » ، ويتناول أبعاده وعلاقته بالتربية الإسلامية .

والذي يهمّ كلّ مسلم بصفة عامة ، ويهمّ المريّين والدعاة إلى الله ﷻ بصفة خاصة ، لا سيّما في واقعنا المعاصر الذي تغيّرت فيه عند كثير من الناس المفاهيم ، وانقلبت عندهم الموازين .

موضوع البحث :

للصدق منزلة عظيمة في دين الإسلام ، لا لأنّه خلقٌ من الأخلاق الحميدة فحسب ، بل لأنّه أصل الإيمان المقبول عند الله تعالى ، وهو أساس النجاة من عذاب الله ، وبه يتميّز أهل الحقّ من المنافقين الكاذبين .

يقول الإمام (ابن القيم ، ١٤٠٢ هـ) - رحمه الله تعالى - في منزلة الصدق : « وهو منزل القوم الأعظم الذي منه تنشأ جميع منازل السالكين ، والطريق الأقوم الذي من لم يسر عليه فهو من المنقطعين الهالكين ... إلى أن يقول : فهو روح الأعمال ، ومحكّ الأحوال ، والحامل على اقتحام الأهوال ، والباب الذي دخل منه الواصلون إلى حضرة ذي الجلال ، وهو أساس بناء الدين ، وعمود فسطاط اليقين ، ودرجته تالية لدرجة النبوة التي هي أرفع درجات العالمين » ج ٢ ص ٢٧٩ .

ولقد تضافرت الأدلة من الكتاب والسنة وآثار السلف في فضل الصدق ، وعلوّ شأنه ، وخطورة إهماله ... وهناك الكثير مما ورد في هذا المقام .

فمن القرآن الكريم ؛ يقول الله تعالى : ﴿ لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ [سورة البقرة ، الآية ١٧٧] .

يقول (قطب ، ١٤١٢ هـ) : « وفي هذه الآية يضع المولى تبارك وتعالى قواعد التصوّر الإيماني الصحيح ، وقواعد السلوك الإيماني الصحيح ، ويحدّد صفة الصادقين المتّقين ... إلى أن يقول : أولئك الذين صدقوا ربّهم في إسلامهم ، صدقوا في إيمانهم واعتقادهم ، وصدقوا في ترجمة هذا الإيمان والاعتقاد إلى مدلولاته الواقعة في الحياة » ص ١٥٨ .

ومن السنّة النبوية الشريفة يقول ﷺ : « مَنْ سَأَلَ اللَّهَ الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ بَلَغَهُ اللَّهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ » (رواه مسلم ، رقم ١٩٠٩ ، ك الإمارة ، باب استحباب طلب الشهادة في سبيل الله تعالى ، ج ٣ ، ص ١٢٠٤ ، ١٤١٦ هـ) .

ومن أقوال السلف ما ذكره (ابن القيم ، ١٤٠٢ هـ) :

قال عبدالواحد بن يزيد : الصدق : الوفاء لله بالعمل .

وقيل : موافقة السر النطق .

وقيل : استواء السر والعلانية .

وقيل : كلمة الحق عند من تخافه وترجوه . ج ٢ ، ص ٢٨٥ .

ويتناول البحث موضوع الصدق في التربية الإسلامية في ضوء الكتاب والسنة وآثار السلف الصالح الذين اتخذوا الصدق شرعة ومنهاجاً ، وما يتصل بجانب الصدق وآثاره على الفرد المسلم ومجتمعه ، وكذلك دور التربية الإسلامية في غرس الصدق وترسيخه في نفوس الناشئة من خلال وسائطها المختلفة ، وإيضاح مدى تميز التربية الإسلامية عن غيرها من الاتجاهات التربوية الأخرى .

تساؤلات البحث :

تعتبر التساؤلات موجهات للدراسة وأهدافاً تسعى لتحقيقها ، ولذا يطرح الباحث التساؤلات التالية :

التساؤل الرئيس :

ما دور التربية الإسلامية في التأكيد على قيمة الصدق وتعليمه ؟
ويتفرّع منه التساؤلات التالية :

- ١ - ما مكانة الصدق في الإسلام ؟
- ٢ - ما الصور المضيئة لأهل الصدق عبر العصور ؟
- ٣ - ما دور وسائط التربية في التأكيد على قيمة الصدق ؟

أهمية البحث :

تنبثق أهمية البحث من الوجوه الآتية :-

- ١ - إنّ البحث يرتبط بالصدق الذي يعتبر أساس الإيمان وركنه الركين ، وأساس قبول الطاعات والقربات عند الله ﷻ ، وعليه يترتب الأجر والثواب

يوم القيامة ، قال الله تعالى : ﴿ لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ [سورة الأحزاب ، الآية ٢٤] .

وقال تعالى : ﴿ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ ﴾ [سورة المائدة ، آية ١١٩] .

٢ - يحتلّ الصدق مكانة كبيرة في الشريعة الإسلامية حيث جاءت التأكيدات عليه في القرآن الكريم ، والسنة النبوية المطهرة .

٣ - أهمية الصدق في المعاملات إلى جانب أهميته في العبادات .

٤ - دور الصدق ومنزلته الكبيرة في المجتمع الإسلامي وعلاقات الناس على كل المستويات (السياسية والاجتماعية والاقتصادية) ، وحاجة المجتمعات الإسلامية إليه .

٥ - خطورة الدور الذي يمكن أن تدعمه التربية في غرس هذه القيمة خاصة في مرحلة الطفولة الأولى ، وهي مرحلة تكوين العادات والاتجاهات .

٦ - إنَّ البحث يمكن أن يفيد قطاعات عريضة من الناس كالأباء والمدرسين والمربين والدعاة في توجيه الصغار والكبار إلى خلق الصدق والتمسك به . كما يمكن أن تنتفع به مؤسسات مختلفة كالمؤسسات التربوية والدعوية والإعلامية في الدعوة إلى الصدق وجعله خلقاً عاماً على المستوى الاجتماعي بأكمله .

أهداف البحث :

نظراً لأهمية الصدق في الإسلام ، وعظيم منزلته ، فإنَّ أهداف البحث يمكن إجمالها فيما يلي :

١ - إبراز مكانة الصدق في الإسلام من خلال نصوص الكتاب والسنة .

٢ - إيضاح الصور المضيئة لأهل الصدق عبر العصور .

٣ - توضيح دور التربية الإسلامية بمؤسساتها المختلفة - الأسرة والمسجد والمدرسة والإعلام - في جعل الصدق أحد مقومات شخصية الطفل المسلم .

منهج البحث :

قام الباحث باستخدام المنهج الوصفي وهو ذلك المنهج الذي يعرفه (عبيدات وآخرون ، ١٩٨٨ م) بأنه : « الطريقة التي تعتمد على دراسة الواقع أو الظاهرة كما توجد في الواقع ، ويهتم بوصفها وصفاً دقيقاً ويعبر عنها تعبيراً كيفياً يصف لنا الظاهرة ويوضح خصائصها » . ص ١٨٧ .

ويكون استخدامه في دراسة الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة ذات الصلة الوثيقة بخلق الصدق ، وذلك بالرجوع إلى أمهات كتب التفسير والحديث لإيضاح التوجيهات والتطبيقات التربوية للإفادة منها في حياة المسلم وفي ميادين التربية على وجه الخصوص .

كما اعتمد المنهج التاريخي في تتبع سيرة بعض الصحابة - رضوان الله عليهم - وبعض علماء السلف - رحمهم الله - لجمع المعلومات عن صدقهم للخروج بتوجيهات يستفيد منها أبناء الأمة الإسلامية في حياتهم العامة والخاصة .

الدراسات السابقة :

بناءً على مخاطبة معهد البحوث العلمية بجامعة أم القرى ، والكتابة لمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض . اتضح للباحث أنه ليس هناك دراسة تربوية منهجية عن « الصدق في التربية الإسلامية » ، ولكن وجد دراسة بعنوان « الصدق في القرآن الكريم » ، وهي رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير ، من إعداد الطالب : مذكر بن محمد عارف ، قدمت بكلية أصول

الدين قسم القرآن وعلومه بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض
عام ١٤١٦ هـ .

وكان الهدف من تلك الدراسة هو إبراز خلق الصدق في القرآن الكريم ،
وبيان أنواعه وأساليبه ، والمتّصفين به ، وأهم آثاره وثمراته .

وقد استخدم الباحث في دراسته المنهج التاريخ والمنهج الاستنباطي .

وأهم النتائج : التي خرج بها الباحث مذكر من دراسته ما يلي : -

١ - الصدق : مطابقة القول للاعتقاد والواقع بصفة مستمرة ، مع تحري
الاستقامة في كلّ الأحوال .

٢ - أنّ لخلق الصدق جوانب متعددة وتطبيقات كثيرة تشمل علاقة المسلم
بربّه وبنفسه وبعلاقاته الاجتماعية .

٣ - أنّ التخلّق بالصدق يجلب السعادة والاستقرار النفسي ، ويقود صاحبه
إلى فعل الخير دائماً . وعلى مستوى المجتمع فإنّ الصدق أساس الأمن
والسلام الاجتماعي .

٤ - أنّ التخلّق بالصدق وسيلة مهمّة لنيل المغفرة والأجر العظيم ، كما أنّه
الطريق إلى الجنة والفوز العظيم برحمة الله وفضله .

موقع الدراسة الحالية من الدراسة السابقة :

ركّزت دراسة عارف على جمع المادة العلمية عن خلق الصدق من القرآن
الكريم وتفسيره المعتمدة .

وفي الدراسة الحالية تناول الباحث موضوع الصدق في التربية الإسلامية في

ضوء الكتاب والسنة وآثار السلف الصالح ، وكذا دور التربية الإسلامية في غرس خلق الصدق في نفوس الناشئة من خلال وسائطها المختلفة وأساليبها المتنوعة ، وإيضاح مدى تميز التربية الإسلامية عن غيرها من الاتجاهات التربوية الأخرى في هذا الجانب .



٢٣٠٣

الفصل الثاني

معنى الصدق ومنزلته في الإسلام

ويتضمن :

- تمهيد .
- التعريف اللغوي والإصطلاحي للصدق .
- منزلة الصدق في الإسلام .
- حقيقة الصدق .
- دواعي الصدق .
- أنواع الصدق .
- الصدق في القرآن الكريم .
- الصدق في السنة النبوية المطهرة .

تمهيد :

للأخلاق مكانة في دين الله وشرعه ، ورسول الله ﷺ يحدّد الهدف من رسالته ويكاد يحصره في مكارم الأخلاق .

يقول ﷺ : « إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ » (رواه أحمد ، انظر الفتح الرباني للبنا ، ك الأخلاق الحسنة وما جاء فيها ، باب الترغيب في محاسن الأخلاق ، ج ١٩ ، ص ٧٥) .

يقول (العودة ، ١٤١١ هـ) : ولا غرابة في أهميّة الأخلاق لكونها تحدّد علاقة العبد مع خالقه ومع الخلق ، وهذا هو الدين كلّ . ص ٨ .

ومما لا ريب فيه أنّ الأخلاق الإسلاميّة مستمدّة من كتاب الله تعالى ومن سنّة رسوله ﷺ . يقول (التوم ، ١٤٠٣ هـ) : « وهي لذلك مفروضة على المسلمين وهم ملزمون بتطبيق مبادئها ومقاييسها ، وهي ثابتة لا تتغير مع الظروف لأنّ الله ﷻ جعلها مناسبة لكلّ زمان ومكان ، وهي معتدلة وملائمة لطبيعة الإنسان كما خلقها الله ، وهي شاملة توجه حياة الإنسان كلّها » . ص ١٤ .

وبما أنّ القرآن الكريم هو أصل ومصدر للأخلاق الإسلامية ، وكذلك السنة النبوية المطهرة فإنّهما قد رسّما للناس قواعد العمل الصالح الذي ينبغي أن يسيروا عليه في شؤون حياتهم ليتحقّق لهم الفوز في الدارين الدنيا والآخرة .

ولا يتّسع المقام هنا لحصر الأخلاق التي حثّ الإسلام أتباعه على الالتزام بها ، إذ لا تكاد تخلو آية كريمة أو حديث شريف من مغزى أخلاقي ، وإنّما القصد هو إرشاد المسلم إلى التزوّد من ينبوع الصافي من مكارم الأخلاق ومحاسنها في الإسلام ، وتطبيقها في أفعاله وسلوكه .

وقد تكفّل الله تعالى بإصلاح النفس حين رسم لها منهج السير في هذه الحياة إن

هي سلك سبل الهداية وجاهدت في الوصول إلى رضوانه ، قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [سورة العنكبوت ، الآية ٦٩] .

والله يثبت العبد على عمله حين يكون موقناً بثمار العمل لله تعالى وإن طال أمد نضوجها ، لأنّ العبد بالصبر والصدق والإخلاص يصل إلى مناه وإلى مرضاة ربّه في الدارين .

ويتحدّث الباحث في هذا الفصل عن الصدق من حيث معناه اللغوي والاصطلاحي ، ومنزله ، وحقيقته ، ودواعيه ، وأقسامه ، والصدق في القرآن الكريم وفي السنة النبوية المطهرة .

التعريف اللغوي والاصطلاحي للصدق :

الصدق في اللغة :

يقول (ابن منظور) :

الصدق : نقيض الكذب . صدق يصدق صدقاً وصدقاً وتصدقاً . وصدقه : قبل قوله ، وصدقه الحديث : أنبأ بالصدق . ويقال : صدقت القوم : أي قلت لهم صدقاً . والمصدق : الذي يصدقك في حديثك .

والصديق : الدائم التصديق ، ويكون الذي يصدق قوله بالعمل ، وفي التنزيل : ﴿ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ ﴾ [سورة المائدة ، آية ٧٥] أي مبالغة في الصدق والتصديق .

وهذا مصداق هذا : أي ما يصدق . ورجل مصدق بالفتح : أي صادق الحملة ، يقال ذلك للشجاع والفرس الجواد ، وصادق الجري . ومصداق الأمر : حقيقته . جـ ١٠ ، ص ١٩٣ ، ١٩٤ .

ويقول (ابن فارس) :

الصاد والdal والقاف : أصل يدل على قوّة في الشيء قولاً وغيره . ومن ذلك الصدق : خلاف الكذب ، سُمِّيَ لقوته في نفسه ، ولأنّ الكذب لا قوّة له وهو باطل . وأصل هذا من قولهم شيء صدّق : أي صلب .

والصدّيق : الملازم للصدق . ج ٣ ، ص ٣٣٩ .

ويقول (مصطفى وآخرون) :

صدق فلان في الحديث يصدق صدقاً : أخبر بالواقع ، وصدق في القتال : أقبل عليه في قوّة .

وصدق فلاناً : أنبأه بالصدق ، ويقال صدقه الحديث .

وصدق فلاناً النصيحة والإخاء : أخلصهما له . وصدق فلاناً الوعد : أوفى به . قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ ﴾ [سورة آل عمران ، آية ١٥٢] .

والصدّيق : مَنْ لا يكون إلا صادقاً في قول أو فعل أو صحبة ، قال تعالى : ﴿ وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴾ [سورة مريم ، الآية ٤١] . والصدّيق : لقب أبي بكر رضي الله عنه .

الصدّق : مطابقة الكلام للواقع بحسب اعتقاد المتكلّم .

والصدّق : الأمر الصالح لاشية فيه من نقص أو كذب . قال تعالى : ﴿ وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ ﴾ [سورة الإسراء ، آية ٨٠] . ج ١ ، ص ٥١٣ .

والخلاصة أنّ الصدق في كتب اللغة يدل على القوّة والصلابة ، وعلى المطابقة بين القول والفعل من غير زيادة ولا نقصان .

الصدق في الاصطلاح الشرعي:

يعرّف العلماء الصدق بتعريفات كثيرة ، ولكنها متقاربة في دلالتها . ومن هذه التعريفات :

يقول (الراغب ، ١٤١٨ هـ) :

أصل الصدق والكذب في القول ماضيًا كان أو مستقبلًا ، وعدًا كان أو غيره .

والصدق : مطابقة القول الضمير والمخير عنه ، فإن انخرم شرط لم يكن صدقًا ، بل إمّا أن يكون كذبًا أو مترددًا بينهما على اعتبارين كقول المنافق : محمد رسول الله ﷺ ، فإنه يصحّ أن يقال : « صدق » لكون المخبر عنه كذلك ، ويصحّ أن يقال : « كذب » لمخالفة قوله ضميره ، والصدّيق : من كثر منه الصدق . وقد يستعمل الصدق والكذب في كلّ ما يحق ويحصل في الاعتقاد ، نحو : صدق ظني ، وفي الفعل نحو : صدق في القتال ، ومنه قوله تعالى : ﴿ قَدْ صَدَّقَ الرُّؤْيَا ﴾ [سورة الصافات ، آية ١٠٥] . ص (٤٧٨ ، ٤٧٩) .

يقول (الماوردي ، ١٤١٥ هـ) :

الصدق : هو الإخبار عن الشيء على ما هو عليه . ص ١٩١ .

ويقول (ابن القيم ، ١٤٠٢ هـ) :

الصدق : اسم لحقيقة الشيء بعينه حصولاً ووجوداً . ج ٢ ، ص ٢٩٠ .

ويقول (الغزالي ، ١٤١٢ هـ) :

من حفظ لسانه عن الإخبار عن الأشياء على خلاف ما هي عليه فهو صادق . ج ٤ ، ص ٥٩٣ .

ويقول (محمود ، ١٤١٠ هـ) :

الصدق مطابقة الخبر للواقع ، والمظهر للمخبر ، والشكل للجوهر . ص ٢٤ .

ويقول (مبيض ، ١٤١١ هـ) :

الصدق : التزام الحقيقة قولاً وعملاً . ص ٦١ .

وعلى هذا يكون معنى الصدق في الاصطلاح الشرعي : هو التوافق بين القول والفعل والاعتقاد . أو هو موافقة العمل لمقتضى أوامر الشرع .

والإنسان إذا صدّق عمله نيته وابتغى بعمله مرضاة الله كان ذلك صدقاً وإخلاصاً .

منزلة الصدق في الإسلام :

أما منزلة الصدق في الإسلام فمنزلة عظيمة ، وقد أمر الله تعالى أهل الإيمان أن يكونوا مع الصادقين ، وخصّ المنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، فقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ [سورة التوبة ، الآية ١١٩] .

وقال تعالى : ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴾ [سورة النساء ، الآية ٦٩] .

يقول (الغزالي ، ١٤٠٨ هـ) : ومن هنا كان الاستمسك بالصدق في كل شأن ، وتحريه في كل قضية ، والمصير إليه في كل حكم دعامة ركينة في خلق المسلم ، وصبغة ثابتة في سلوكه ، وكذلك كان بناء المجتمع في الإسلام قائماً على محاربة الظنون وطرح الريب . ص ٣٥ .

قال ﷺ : « إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ » (رواه البخاري ، رقم ٦٠٦٦ ، ك الأدب ، باب قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ ﴾ ، ج ٧ ، ص ١١٧ ، ١٤١١ هـ ، من حديث أبي هريرة ؓ) .

يقول الإمام (ابن تيمية - رحمه الله - في الفتاوى) : « الصدق أساس الحسنات وجماعها ، والكذب أساس السيئات ونظامها ، وإنَّ الصفة المميزة بين النبي والمنتبئ هو الصدق والكذب ، فإنَّ محمدًا رسول الله الصادق الأمين ، ومسيلمة الكذاب ، وأن الصفة الفارقة بين المؤمن والمنافق هو الصدق ، وأنَّه أصل البر ، وقرين الإخلاص » . ج ٢٠ ، ص ٧٤ .

ويقول (ابن القيم - رحمه الله - ، ١٤٠٢ هـ) : « وبالصدق تميّز أهل النفاق من أهل الإيمان ، وسكان الجنان من أهل النيران ، وهو سيف الله في أرضه ، ما وضع على شيءٍ إلاَّ قطعه ، ولا واجه باطلاً إلاَّ أرداه وصرعه ، من صال به لم ترد به صولته ، ومن نطق به علت على الخصوم كلمته » . ج ٢ ، ص ٢٧٩ .

حقيقة الصدق :

إنَّ الصدق لا يقتصر على صدق الحديث فقط ، وإنَّما حقيقة الصدق شاملة لصدق النية والعزيمة ، وصدق اللسان ، وصدق الأعمال . يقول شيخ الإسلام (ابن تيمية) - رحمه الله - في الفتاوى :

« وما ينبغي أن يعرف أنَّ الصدق والتصديق يكون في الأقوال وفي الأعمال ، كقول النبي ﷺ في الحديث الصحيح : « إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ حَظَّهُ مِنَ الزُّنَا أَدْرَكَ ذَلِكَ لَا مَحَالَةَ ، فَرَزْنَا الْعَيْنَ النَّظْرُ ، وَزَنَا اللِّسَانَ الْمَنْطِقُ ، وَالنَّفْسُ تَمْنَى

وَتَشْتَهِي ، وَالْفَرْجُ يُصَدِّقُ ذَلِكَ كُلَّهُ وَيَكْذِبُهُ » (رواه البخاري ، رقم ٦٢٤٣ ، ك الاستئذان ، باب زنا الجوارح دون الفرج ، ج ٧ ، ص ١٦٨ ، من حديث أبي هريرة ؓ) .

ويقال : حملوا على العدو حملة صادقة ، إذا كانت إرادتهم للقتال ثابتة جازمة ، ويقال : فلان صادق الحب والمودة ونحو ذلك .

ولهذا يريدون بالصادق : الصادق في إرادته وقصده وطلبه ، وهو الصادق في عمله ، ويريدون الصادق في خبره وكلامه ، والمنافق ضدّ المؤمن الصادق ، وهو الذي يكون كاذباً في خبره أو كاذباً في عمله كالمرائي في عمله .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [سورة النساء ، الآية ١٤٢] . ج ١٠ ، ص ١٤ .

وبهذا يتضح أنّ الصدق أساس الإيمان وركنه الركين ، وأساس قبول الطاعات والقربات عند الله ﷻ .

ويقول (ابن القيم ، ١٤٠٢ هـ) :

والإيمان أساسه الصدق ، والنفاق أساسه الكذب ، فلا يجتمع كذب وإيمان إلاّ وأحدهما محارب للآخر .

وأخبر الله تعالى : أنّه في يوم القيامة لا ينفع العبد وينجيه من عذابه إلاّ صدقه ، قال تعالى : ﴿ قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [سورة المائدة ، الآية ١١٩] .

وقال تعالى : ﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصَّدَقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ [سورة الزمر ، الآية ٣٣] .

فالذي جاء بالصدق : هو مَنْ شأنه الصدق في قوله وعمله وحاله . فالصدق في هذه الثلاثة :

الصدق في الأقوال : استواء اللسان على الأقوال كاستواء السنبلة على ساقها .
والصدق في الأعمال : استواء الأفعال على الأمر والمتابعة كاستواء الرأس على الجسد .

والصدق في الأحوال : استواء أعمال القلب والجوارح على الإخلاص واستفراغ الوسع وبذل الطاقة . ج ٢ ، ص ٢٨٠ ، ٢٨١ .

ومما سبق تظهر حقيقة الصدق في أنه عمل قلبي ومن أعظم أعمال القلوب وأهم أصول الإيمان ، ويظهر ذلك على الأقوال والأفعال . وهو الفرقان بين الإيمان والنفاق . والأعمال التي رأسها « شهادة أن لا إله إلا الله » لا تقبل إلا بتحقيق الصدق والإخلاص . ومن هنا كانا شرطين من شروطها ، وأكد الله المنافقين في دعوى الإيمان وقول الشهادة لانتفاء الصدق فقال تعالى : ﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴾ [سورة المنافقون ، الآية ١] .

وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴾ [سورة العنكبوت ، الآية ٣] .

دواعي الصدق :

يقول (الغزالي ، ١٤٠٨ هـ) :

لكل عمل من الأعمال بواعث ودواعٍ تغري الإنسان بتحمل التعب والجد في العمل كحب العبد لنفسه ، أو طلبه للسلامة أو حرصه على المال .. ومن هذه الدواعي ما يختفي في أعماق النفس وقد لا يدركه العامل المتأثر به مع أنه سرّ اندفاعه إلى العمل . ص ٦٩ .

والإسلام يوجّه أتباعه إلى أن تقترن أعمالهم ودواعيها بمَرْضَاة الله تعالى وتتجرّد من أهواء أنفسهم ونزعاتها . يقول الرسول ﷺ : « إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى ، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ » (رواه البخاري ، رقم ١ ، ك بدء الرّوحى ، باب كيف كان بدء الرّوحى إلى رسول الله ﷺ ، ج ١ ، ص ٣ ، من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه) .

وقد ذكر (الماوردي ، ١٤١٥ هـ) أهم دواعي الصدق ، وهي :

١ - العقل : فالعقل موجب لقبح الكذب ، وبخاصة إذا لم يجلب نفعاً أو يدفع ضرراً ، والعقل يدعو إلى فعل ما كان مستحسناً مقبولاً يوافق الشرع ، ويمتنع من إتيان ما كان مستقبحاً مذموماً .

٢ - الدين : فالدين أمر باتّباع الصدق ، وحظر الكذب ، لأنّ الدين لا يجوز الكذب وإن جرّ نفعاً أو دفع ضرراً .

٣ - المروءة : فإنّها مانعة من الكذب باعثة على الصدق ، لأنّها قد تمنع من فعل ما كان مستكرهاً ، فأولى أنْ تمتنع من فعل ما كان مستقبحاً .

٤ - حبّ الشاء والاشتهار بالصدق : إِنَّ الَّذِي يَتَمَتَّعُ بِهَذَا الْاِشْتِهَارِ بَيْنَ النَّاسِ لَا يَرِدُ عَلَيْهِ قَوْلٌ ، وَلَا يَلْحَقُهُ ذَمٌّ وَلَا نَدَمٌ . ص ١٩٢ ، ١٩٣ .

ويرى الباحث أهمية هذه الدواعي جميعاً وأن أهمها على الإطلاق هو الدين والإيمان ، لأنّ المؤمن يقدّم أمر الله على هوى نفسه ، ويعلم يقيناً بأنه لا يحق له المخالفة فيما قضى الله ورسوله . قال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا ﴾ [سورة الأحزاب ، الآية ٣٦] .

وكذلك ما يترتب على الصدق من الأجر العظيم وتسهيل الوصول إلى البر والجنة .

أنواع الصدق ومراتبه على مقامات وروده عند الإمام الغزالي :

قسّم (الإمام الغزالي ، ١٤١٢ هـ) الصدق في كتابه « إحياء علوم الدين » إلى الأقسام التالية :-

١- صدق اللسان :

وذلك لا يكون إلا في الإخبار أو ما يتضمّن الإخبار وينبّه عليه ، والخبر إمّا أن يتعلّق بالماضي أو بالمستقبل ، وفيه يدخل الوفاء بالوعد والخلف فيه ، وحق على كل عبد أن يحفظ ألفاظه فلا يتكلّم إلا بالصدق ، وهذا هو أشهر أنواع الصدق وأظهرها . فمن حفظ لسانه عن الإخبار عن الأشياء على خلاف ما هي عليه فهو صادق .

٢- صدق النية والإرادة :

ويرجع ذلك إلى الإخلاص ، وهو أن لا يكون له باعث في الحركات والسكنات إلا الله تعالى ، فإن مازجه شيء من حظوظ النفس بطل صدق النية ، وصاحبه يجوز أن يُسمّى كاذبًا . وقد قال بعضهم : الصدق صحّة التوحيد في القصد . قال تعالى : ﴿ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ كَاذِبُونَ ﴾ [سورة المنافقون ، آية ١] .

وقد قالوا : إنك لرسول الله وهذا صدق ، ولكن كذبهم لا من حيث نطق اللسان ، بل من حيث ضمير القلب . وهذا القول يتضمن إخباراً بقرينة الحال على ما في قلبه ، فإنه كذب في ذلك ولم يكذب فيما يلفظ به فيرجع أحد معاني الصدق إلى خلوص النية ، وهو الإخلاص ، فكل صادق فلا بُدَّ وأن يكون مخلصًا .

٣- صدق العزم :

فإنَّ الإنسان قد يقدم العزم على العمل فيقول في نفسه : إن رزقني الله رزقًا مالا تصدّقت بجميعه على الفقراء والمساكين أو بشطره ، أو إن لقيت عدوًا في سبيل الله تعالى قاتلت ولم أبال وإن قتلت . وهذه العزيمة قد يصادفها من نفسه ، وهي عزيمة صادقة جازمة ، والصدق فيها أن لا يكون في العزم تردد ، فالصدق هنا عبارة عن التمام والقوة للنفس لكي لا تضعف النفس أو يتغيّر العزم وقت التنفيذ .

٤- صدق الوفاء بالعزم :

فإنَّ النفس قد تسخو بالعزم في الحال إذ لا مشقة في الوعد والعزم ، والمؤنة فيه خفيفة ، فإذا حقّت الحقائق وحصل التمكّن وهاجت الشهوات انحلت العزيمة وغلبت الشهوات ولم يتفق الوفاء بالعزم ، وهذا يضاد الصدق فيه ، ولذلك

قال الله تعالى : ﴿ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴾ [سورة الأحزاب ، الآية ٢٣] .

وعند البخاري - رحمه الله - أنَّ هذه الآية نزلت في أنس بن النضر رضي الله عنه (رواه البخاري ، رقم ٤٧٨٣ ، ك التفسير ، باب " فمنهم من قضى نحبه " ، ج ٦ ، ص ٢٦ ، من حديث أنس ابن مالك رضي الله عنه) .

٥- الصدق في الأعمال :

وهو أن يجتهد حتى لا تدل أعماله الظاهرة على أمر في باطنه لا يتصف به ، لا بأن يترك الأعمال ، ولكن بأن يستجر الباطن إلى تصديق الظاهر كيما تستوي السريرة والعلانية ، ويكون باطنه مثل ظاهره .

٦- الصدق في مقامات الدين :

وهو أعلى أنواع الصدق وأعزها ، كالصدق في الخوف والرجاء والتعظيم والزهد والرضا والتوكل والحب . والصادق المحقق من نال حقيقتها . قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ [سورة الحجرات ، الآية ١٥] . ج ٤ ، ص ٥٩٣ - ٦٠٠ .

ولكي يحظى المسلم ويظفر بهذه المراتب ينبغي عليه أن يوطد علاقته بربه ويجعل الصدق دأبه في قوله وفعله ، ويتحرر من الكذب في سائر أحواله حتى يكتب عند الله صديقاً .

أقسام الصدق باعتبار علاقات الإنسان بغيره :

ويمكن تقسيم الصدق باعتبار علاقات الإنسان بغيره إلى ثلاثة أقسام ، وهي : -

١ - صدق العبد مع الله ﷻ .

٢ - صدق العبد مع نفسه .

٣ - صدق العبد مع الخلق .

وهذه الأقسام لا تخرج عن المراتب والأقسام التي ذكرها الإمام الغزالي - رحمه الله - ، بل تعود إليها في الجملة .

١- صدق العبد مع الله ﷻ .

إذا عرف العبد ربه ﷻ حق المعرفة بربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته ، كما عرفنا هو سبحانه بنفسه ، وعرفه رسوله ﷺ ، أذعن بقلبه وقالبه له تعالى فيمتلئ القلب بالمحبة والإجلال والخضوع والإخلاص والصدق وبقية أعمال القلوب ، ويظهر مصداق ذلك على استسلام الجوارح وانقيادها لطاعة الله تعالى ، وبذلك يتوزع الصدق على قلبه ولسانه وجوارحه .

ومن أمثلة الصدق مع الله ما جاء في سبب نزول قوله تعالى : ﴿ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴾ [سورة الأحزاب ، الآية ٢٣] .

روى الترمذي عن أنس رضي الله عنه قال : « قَالَ عَمِّي أَنَسُ بْنُ النَّضْرِ - سُمِّيَتْ بِهِ - لَمْ يَشْهَدْ بَدْرًا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَكَبُرَ عَلَيَّ ، فَقَالَ : أَوَّلُ مَشْهَدٍ شَهِدَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ غِبْتُ عَنْهُ ، أَمَا وَاللَّهِ لَئِنْ أَرَانِي اللَّهَ مَشْهَدًا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِيمَا بَعْدَ لَيْرَيْنِ اللَّهُ مَا أَصْنَعُ ، قَالَ : فَهَابَ أَنْ يَقُولَ غَيْرَهَا ، فَشَهِدَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ »

يَوْمَ أَحَدٍ مِنَ الْعَامِ الْقَابِلِ ، فَاسْتَقْبَلَهُ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ فَقَالَ : يَا أَبَا عَمْرٍو أَيْنَ ؟
 قَالَ : وَاهَا لِرِيحِ الْجَنَّةِ أَجِدُهَا دُونَ أَحَدٍ ، فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ ، فَوُجِدَ فِي جَسَدِهِ
 بَضْعٌ وَثَمَانُونَ مِنْ بَيْنِ ضَرْبَةٍ وَطَعْنَةٍ وَرَمِيَةٍ . فَقَالَتْ : عَمَّتِي الرَّبِيعُ بِنْتُ النَّضْرِ :
 فَمَا عَرَفْتُ أَخِي إِلَّا بَيْنَانِهِ ، وَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ : ﴿ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ
 عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴾ [سورة الأحزاب ،

آية ٢٣] (رواه الترمذي ، رقم ٣٢٠٠ ، ك التفسير ، باب ٣٤ من سورة الأحزاب ، ج ٥ ، ص ٣٢٥ ، من
 حديث أنس بن مالك رضي الله عنه) .

وقد علم الله ﷻ صدق أنس بن النضر رضي الله عنه في عهده مع ربه فحقق له ما
 يريد من الشهادة في سبيل الله والفوز برضوانه .

ومما يعتبر من الصدق مع الله تعالى قيام العبد بالفرائض والواجبات واجتنابه
 للمحرّمات في العسر واليسر والمنشط والمكره .

يقول (ابن القيم ، ١٤٠٧ هـ) :

« ومن صدق الله في جميع أموره صنع له فوق ما يصنع لغيره ، وهذا الصدق
 معنى يلتزم من صحة الإخلاص وصدق التوكل ، فأصدق الناس مَنْ صَحَّ
 إخلاصه وتوكله » . ص ٣٢٨ .

٢- صدق العبد مع نفسه .

والصدق مع النفس من أصعب الأمور وأشقها ولا يطيق ذلك إِلَّا مَنْ أَنْصَفَ
 من نفسه واستمسك بالصدق في كلّ قضية وتحراه في جميع شؤونه .

قال (ابن الجوزي ، ١٤١٨ هـ) عن جعفر بن برقان قال : « بلغني عن
 يونس بن عبيد فضل وصلاح ، فكتبت إليه : يا أخي بلغني عنك فضل وصلاح
 فأحببت أن أكتب إليك ، فاكذب إليّ بما أنت عليه . فكتب إليّ : أتاني كتابك

تسألني أن أكتب إليك بما أنا عليه ، وأخبرك أنني عرضت على نفسي أن تحب للناس ما تحب لها وأن تكره لهم ما تكره لها ، فإذا هي من ذلك بعيد ، ثم عرضت عليها مرة أخرى ترك ذكرهم إلا من خير فوجدت الصوم في اليوم الحار الشديد الحر بالهواجر بالبصرة أيسر عليها من ترك ذكرهم ، هذا أمري يا أخي والسلام » . جـ ٣ ، ص ٨١٧ .

وهكذا يعبر الصالحون عن ما يدور في خواج نفوسهم بكل صدق دون أن يزكوا أنفسهم أو ينسبوا إليها ما ليس لها .
إنَّ المسلم لا ينظر إلى الصدق على أنه خلق فاضل يجب التخلُّق به لا غير ، بل إنه يذهب إلى أبعد من ذلك ، يذهب إلى أنَّ الصدق من مميزات إيمانه ومكملات إسلامه ، فلا يظهر في غير مظهره ، ولا يظهر خلاف ما يبطنه .

٣- صدق العبد مع الخلق .

إنَّ صدق العبد مع الخلق هو دلالة على سلامة الفطرة ونقاء السريرة ، وقد عُرف نبي الأمة نبينا محمد ﷺ قبل بعثته بصفة الصدق ، وأصبحت علماً عليه ، فكان يلقَّب في قومه بالصادق الأمين .

وكان الصَّحابة - رضوان الله عليهم - يتحرَّون الصدق في كلِّ شؤونهم ، عن جرير بن عبد الله البجلي ؓ قال : « بَايَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى إِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ » (رواه البخاري ، رقم ٥٧ ، ك الإيمان ، باب قول النبي ﷺ « الدين النصيحة » جـ ١ ، ص ٢٤ ، من حديث جرير بن عبد الله البجلي ؓ) .

ومن مقتضى النصيحة الصدق فيها ، وهذا يعتبر من النصح للمسلم والصدق مع الناس . ومن عامل الناس بالصدق كسب ثقتهم وعظَّم شأنه فيهم ، ونال رضوان الله وثوابه .

الصدق في القرآن الكريم:

القرآن في اللغة :

يقول (الرازي ، ١٤٠١ هـ) :

قرأ : بمعنى الضم والجمع ، ومنه سُمِّي القرآن لأنه يجمع السور ويضمها ،
والقرآن في الأصل كالقراءة : قرأ قراءة وقرآنًا . قال تعالى : ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ
وَقُرْآنَهُ ﴾ [سورة القيامة ، الآية ١٧] . ص ٥٢٦ .

القرآن في الاصطلاح :

يذكر العلماء للقرآن تعريفاً يقرب معناه ويميزه عن غيره ، ومن ذلك ما
ذكره (الصابوني ، ١٤٠٠ هـ) :

« هو كلام الله المعجز ، المنزل على خاتم الأنبياء والمرسلين ، بواسطة الأمين
جبريل عليه السلام ، المكتوب في المصاحف ، المنقول إلينا بالتواتر ، المتعبد بتلاوته ،
المبدوء بالفاتحة ، المختتم بسورة الناس » . ص ٦ .

القرآن الكريم هو معجزة الإسلام الخالدة التي لا يزيدنها التقدم العلمي إلا
رسوخاً في الإعجاز ، أنزله الله تعالى على رسولنا محمد ﷺ ليخرج الناس من
الظلمات إلى النور ، ويهديهم إلى الصراط المستقيم . يقول تعالى :

﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ . يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ
السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾

[سورة المائدة ، الآيتان ١٥ ، ١٦] .

وقد اشتمل القرآن الكريم على أمور العقيدة والشرعية والأخلاق والمعاملات .

والصدق من السمائل الأخلاقية التي جاء الحديث عنها كثيراً في القرآن الكريم . فقد وردت كلمة الصدق واشتقاقاتها في القرآن عند (عبد الباقي ، ١٤٠٨ هـ) في أكثر من مائة وخمسين موضعاً . (ص ٥١٣ - ٥١٦) وهذا يدل على أهمية الصدق ومكانته في الإسلام . فمن ذلك :

أولاً : أن الله تعالى وصف نفسه بالصدق :

قال تعالى : ﴿ قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [سورة آل عمران ، الآية ٩٥] .

يقول (ابن كثير ، ١٤٠١ هـ) :

قل يا محمد صدق الله فيما أخبر به ، وفيما شرعه في القرآن ، واتبعوا ملة إبراهيم التي شرعها الله في القرآن على لسان محمد ﷺ فإنه الحق الذي لا شك فيه ولا مرية ، وهي الطريقة التي لم يأت نبي بأكمل منها ولا أبين ولا أوضح ولا أتم . ج ١ ، ص ٣٨٣ .

وقال تعالى : ﴿ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴾ [سورة الأحزاب ، الآية ٢٢] .

يقول (قطب ، ١٤١٢ هـ) :

﴿ هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ ﴾ : هذا الهول وهذا الكرب - والحديث في الآية الكريمة عن غزوة الأحزاب - وهذه الزلزلة وهذا الضيق وعدنا عليه النصر .. فلا بُدَّ أن يجيء النصر ، ﴿ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ﴾ : صدق الله ورسوله في الأمانة ، وصدق الله ورسوله في دلالتها . ومن ثمَّ اطمأنت قلوبهم لنصر الله ووعدده . ج ٥ ، ص ٢٨٤٤ .

وقال تعالى : ﴿ لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ
إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا
فَجَعَلَ مِنْ ذُوْنِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيْبًا ﴾ [سورة الفتح ، الآية ٢٧] .

يقول (قطب ، ١٤١٢ هـ) :

وفي الآية الكريمة يؤكد المولى تعالى للمؤمنين صدق رؤيا الرسول ﷺ في
دخول المسجد الحرام ، ويخبرهم أَنَّهَا مِنْهُ ، وَأَنَّهَا واقعة ولا بد . وقد تمَّ لهم بعد
ذلك فتح مكة وغلبة دين الله عليها . ج ٦ ، ص ٣٣٢٩ ، ٣٣٣٠ .

وقال تعالى : ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴾ [سورة النساء ، الآية ٨٧] .

وقد جاء في تفسير الآية الكريمة عند (ابن كثير ، ١٤٠١ هـ) : أي لا أحد
أصدق من الله تعالى في حديثه وخبره ووعدده ووعيدده . ج ١ ، ص ٥٣٣ .

وقال تعالى : ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ
السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [سورة الأنعام ، الآية ١١٥] .

يقول (ابن كثير ، ١٤٠١ هـ) :

قال قتادة في تفسير هذه الآية : « صَدَقًا فيما قال وعدلاً فيما حكم ، يقول
صَدَقًا في الأخبار وعدلاً في الطلب ، فكل ما أخبر به فحق لا مريّة فيه ولا
شك ، وكلّ ما أمر به فهو العدل الذي لا عدل سواه ، وكل ما نهى عنه فباطل
فإنه لا ينهى إلا عن مفسدة ، وليس أحد يعقب حكمه تعالى لا في الدنيا ولا في
الآخرة » . ج ٢ ، ص ١٦٨ .

ثانيًا : أَنَّ الصِّدْقَ مِنْ صِفَاتِ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ :

ولقد اتصف بهذه الفضيلة الكبرى جميع الأنبياء والمرسلين صلوات الله عليهم وسلامه ، إذ الرسالة تقتضي صدق المرسلين ، والمولى الحكيم تبارك وتعالى أعلم حيث يجعل رسالته فيصطفى لها صفوة خلقه من الناس ليبلغوا الرسالة كما تلقوها من ربهم ، وليكونوا أسوة حسنة لأقوامهم في سائر أحوالهم . قال تعالى :

﴿ قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴾ [سورة يس ، الآية ٥٢] .

فالصدق صفة ملازمة للنبوة والرسالة ، فطرية في الأنبياء والرسل ، فلا يمكن أن يصدر من أي نبي ما يخلّ بالأخلاق والمروءة ، كالكذب والخيانة ، وغير ذلك من الصفات المذمومة القبيحة ، فهذه الصفات الشنيعة لا تليق بإنسان عادي ، فكيف تليق برسول كريم ؟ ولو جاز عدم الصدق من الأنبياء لما أصبح هناك ثقة فيما يخبرون به من شرائع . لذا فإننا نقرأ في القرآن الكريم الحكم الفاصل فيمن يكذب على الله . قال تعالى : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾ [سورة الأنعام ، الآية ٩٣] .

يقول (ابن كثير ، ١٤٠١ هـ) :

أي لا أحد أظلم ممن كذب على الله فجعل له شركاء أو ولدًا أو ادعى أَنَّ الله أرسله إلى الناس ولم يرسله . ج ٢ ، ص ١٥٨ .

وبهذا يتّضح أنّ الرسل عليهم صلوات الله وسلامه معصومون من الكذب مجبولون على الصدق في أقوالهم وأفعالهم .

ومن الرسل الذين قصّ الله قصصهم في كتابه الكريم ووصفهم بالصدقية :

إدريس عليه السلام :

أحد رسل الله الذين قصّ الله قصصهم في القرآن الكريم ، وقد ورد ذكره في أكثر من موضع من القرآن ، وأثنى المولى ﷺ عليه ووصفه بالصدقية والنبوة ، قال تعالى : ﴿ وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا . وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾ [سورة مريم ، الآية ٥٦ ، ٥٧] .

وقد ثبت في حديث الإسراء : أنّ رسول الله ﷺ مرّ به وهو في السماء الرابعة . (رواه مسلم ، رقم ٢٥٩ ، ك الإيمان ، باب الإسراء برسول الله ﷺ ، ج ١ ، ص ١٢٩ ، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه) .

إبراهيم عليه السلام :

هو خليل الرحمن وإمام الأتقياء وأبو الأنبياء ، ورمز الإيمان وشعار الصدق ، قال الله تعالى في حقّه : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴾ [سورة النساء ، الآية ١٢٥] . وأثنى عليه بقوله : ﴿ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى ﴾ [سورة النجم ، الآية ٣٧] . كما امتدحه الله تعالى بصفة الصدقية والنبوة ، فقال ﷺ : ﴿ وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴾ [سورة مريم ، الآية ٤١] .

يقول (ابن كثير ، ١٤٠١ هـ) في تفسير هذه الآية :

يقول تعالى لنبه محمد ﷺ : واذكر في الكتاب إبراهيم واتل على قومك

هؤلاء الذي يعبدون الأصنام واذكر لهم ما كان من خبر إبراهيم خليل الرحمن الذين هم من ذريته ويدعون أنهم على ملته ، وقد كان صديقاً نبياً مع أبيه كيف نهاه عن عبادة الأصنام . ج ٢ ، ص ١٢٤ .

لقد أضاء الإيمان الحق فؤاد إبراهيم عليه السلام وعمر الصدق نفسه فأورثه ذلك طاعة لله ﷻ ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ . شَاكِرًا لِّأَنْعَمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ . وَءَاتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ [سورة النحل ، الآيات ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٢٢] .

ومع الصادقين والصديقين تظهر قصة إبراهيم عليه السلام في القصص القرآني لتكون دروساً عظيمة لدعاة الإصلاح والتوجيه والتربية إلى أن يخلصوا نياتهم ، ويصدقوا في توجههم ، ويتقوا ربهم ، ويعمروا قلوبهم بالإيمان الصادق والثقة بالله وتأيدته ، ليتقدموا ويحملوا النور والهدى إلى الناس جميعاً .

إسماعيل عليه السلام :

هو إسماعيل بن إبراهيم - عليهما السلام - ، أحد أنبياء الله ورسله الذين أثنى الله عليهم في كتابه العزيز . قال تعالى : ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا . وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ﴾ [سورة مريم ، الآيتان ٥٤ ، ٥٥] .

يقول (ابن كثير ، ١٤٠١ هـ) : هذا ثناء من الله تعالى على إسماعيل بن إبراهيم الخليل - عليهما السلام - وهو والد عرب الحجاز كلهم بأنه كان صادق الوعد ، وكذلك ما خصّه الله به من النبوة والرسالة والثناء الجميل عليه بطاعة ربه وأمر أهله بها . ج ٣ ، ص ١٢٦ .

لقد خصّه الله تعالى بصدق الوعد - وإن كانت هذه الصفة لغيره من الأنبياء والرسل - وهذه الخصوصية إنما هي تشريف وتكريم لإسماعيل الذي عُرف واشتهر بوفاء الوعد .

يوسف الطيّب :

نسبه : يقول (ابن كثير ، ١٤١١ هـ) : هو يوسف بن يعقوب بن إسحاق ابن إبراهيم عليهم جميعاً صلوات الله وسلامه . ج ١ ، ص ٢٧٠ .

قال عنه الرسول ﷺ : « الْكَرِيمُ ابْنُ الْكَرِيمِ ابْنُ الْكَرِيمِ يُوسُفُ بْنُ يَعْقُوبَ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ » (رواه البخاري ، ٣٣٨٢ ، ك أحاديث الأنبياء ، باب : « أم كتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت » ، ج ٤ ، ص ١٤٦) .

ذكر يوسف الطيّب في القرآن الكريم في ثلاث سور : في الأنعام ، ويوسف ، وغافر ، وقد وصفه الله تعالى بالصدقية ، ولذا فإنه يُسمّى : « يوسف الصديق » قال تعالى : ﴿ يُوسُفُ أَيُّهَا الصَّادِقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنبُلَاتٍ خُضِرٍ وَأُخْرَى يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعَ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [سورة يوسف ، الآية ٤٦] .

وفي سورة « يوسف » ذكر الله قصة يوسف بأتم تفصيل ، وفيها عبرة وعظة وعفة وتصديق وإيمان لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .

﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهَدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [سورة يوسف ، الآية ١١١] .

محمد رسول الله ﷺ :

نسبه : جاء ذكر نسبه ﷺ في كتب السير والتاريخ ، ومن ذلك ما ذكره (الطبري) : هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب .. إلى أن ينتهي نسبه إلى إسماعيل بن إبراهيم عليهم جميعاً صلوات الله وسلامه . ج ٢ ، ص ١٩١ .

نشأة الرسول ﷺ وبيئته :

نشأ محمد بن عبد الله ﷺ في بيئة يعبد أهلها الأصنام ، ولكن الله حماه من رجسها وبقي على فطرته ، ويدل على ذلك ما قاله (ابن هشام ، ١٤١٠ هـ) : « قام إليه بحيرى فقال : يا غلام أسألك بحق اللات والعزى إلا ما أخبرتني عما أسألك عنه ، قال : لا تسألني باللات والعزى شيئاً فوالله ما أبغضت شيئاً بغضهما » . ج ١ ، ص ٢٠٦ .

والذي يقرأ سيرة محمد ﷺ يجد الصدق ماثلاً في حياته كلها قبل البعثة وبعدها .

يقول (ابن هشام ، ١٤١٠ هـ) :

« لقد شب رسول الله ﷺ ، والله تعالى يكلؤه ويحفظه ويحوطه من أقدار الجاهلية لما يريد به من كرامته ورسالته ، حتى بلغ أن كان رجلاً أفضل قومه مروءة ، وأحسنهم خلقاً ، وأكرمهم حسباً ، وأحسنهم جواراً ، وأعظمهم حلمًا ، وأصدقهم حديثاً ، وأعظمهم أمانة ، وأبعدهم من الفحش والأخلاق التي تدنس الرجال ، تنزهًا وتكرماً حتى ما اسمه في قومه إلا الأمين ، لما جمع الله فيه من الأمور الصالحة » . ج ١ ، ص ٢٠٧ .

ومن هنا كان رسول الله ﷺ إمام الخلق أجمعين ومعلمهم في حسن الخلق وكرم النفس ، وصدق الحديث . قال الله تعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [سورة القلم ، الآية ٤] .

يقول (الندوي ، ١٣٩٩ هـ) :

« لقد مثلت حياة النبي ﷺ أعمالاً كثيرة متنوعة بحيث تكون فيها الأسوة الصالحة والمنهج الأعلى للحياة الإنسانية في جميع أطوارها ، لأنها جمعت بين الأخلاق العالية ، والعادات الحسنة ، والعواطف النبيلة المعتدلة ، والنوازع العظيمة القويمة » . ص ٣٨٥

والقرآن الكريم حافل بوصف النبي ﷺ بالصدق في مواضع شتى ، منها :
قول الله تعالى : ﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ [سورة الزمر ، الآية ٣٣] . وقد جاء في تفسير هذه الآية عند (ابن كثير ، ١٤٠١ هـ) :
« أَنَّ قَتَادَةَ وَمُجَاهِدَ وَالرَّبِيعَ وَابْنَ زَيْدٍ قَالُوا : إِنَّ الَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ هُوَ الرَّسُولُ مُحَمَّدٌ ﷺ » . ج ٤ ، ص ٥٤ .

وقوله تعالى : ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ [سورة الأنعام ، الآية ٣٣] .

يقول (ابن كثير ، ١٤٠١ هـ) :

قد أحطنا علماً بتكذيبهم لك يا محمد وحزنك وتأسفك عليهم ، فهم لا يتهمونك بالكذب في نفس الأمر ولكنهم يعاندون الحق ويدفعونه بصدورهم . ج ٢ ، ص ١٣٠ .

وزيادة على مزية الصدق ، فقد حبا الله رسوله محمدًا ﷺ مزايا ارتقى من خلالها في سماء الفضيلة والكمال ، وبلغ ذروة السؤدد ، فوصفه بأوصاف زكية فريدة ، ومنها الرأفة والرحمة .

قال تعالى :

﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ [سورة التوبة ، الآية ١٢٨] .

إن رسول الله ﷺ إمام الأمة في عقيدتها وعبادتها وأخلاقها ومعاملاتها وجميع شؤونها ، والأسوة الحسنة لكل مؤمن بالله واليوم الآخر .

قال تعالى :

﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ
الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [سورة الأحزاب ، الآية ٢١] .

وستُخصَّ السنة النبوية بحديث خاص عن الصدق فيها ، ولكن جاء الحديث هنا تبعًا لوصف الله تعالى الأنبياء والرسل بالصدق في القرآن الكريم .

ثالثًا : أَنَّ الصدق وصف للمؤمنين الذين خالط الإيمان بشاشة قلوبهم :

لقد جاء الصدق في القرآن الكريم وصفًا لعباد الله المؤمنين في مواضع كثيرة ، ومنها :

قول الله تعالى : ﴿ لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ

وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُؤْفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ
وَالضَّرَاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ [سورة البقرة ،
الآية ١٧٧] .

يقول (ابن كثير ، ١٤٠١ هـ) :

« اشتملت الآية الكريمة على جمل عظيمة ، وقواعد عميقة ، وعقيدة
مستقيمة ، ومن اتصف بهذه الآية فقد دخل في عرى الإسلام كلها ، وأخذ
بمجامع الخير كله ... والذين اتصفوا بهذه الصفات هم الذين صدقوا في إيمانهم
لأنهم حققوا الإيمان القلبي بالأقوال والأفعال ، فهؤلاء هم الذين صدقوا لأنهم
اتقوا المحارم وفعلوا الطاعات » . ج ١ ، ص ٢٠٨ .

ويقول (قطب ، ١٤١٢ هـ) :

« وفي آية واحدة يضع المولى تبارك وتعالى قواعد التصور الإيماني الصحيح ،
وقواعد السلوك الإيماني الصحيح ، ويحدد صفة الصادقين المتقين ...
وتجمع آية واحدة بين أصول الاعتقاد وتكاليف النفس والمال . ومن اتصف
بهذه الصفات فأولئك الذين صدقوا في إسلامهم ، وصدقوا في إيمانهم
واعتقادهم ، وصدقوا في ترجمة هذا الإيمان والاعتقاد إلى مدلولاته الواقعة
في الحياة » . ج ١ ، ص ١٥٨ - ١٦٢ .

وقول الله تعالى :

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ
وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ [سورة الحجرات ، الآية ١٥] .

يقول (قطب ، ١٤١٢ هـ) :

« ... أولئك الذين سبقت صفاتهم هم الصادقون في عقيدتهم ، الصادقون حين يقولون إنهم مؤمنون ، فإذا لم تتحقق تلك المشاعر في القلب ولم تتحقق آثارها في الحياة فالإيمان لا يتحقق والصدق في العقيدة وفي ادعائها لا يكون » .
ج ٦ ، ص ٣٣٤٩ ، ٣٣٥٠ .

وقول الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ [سورة التوبة ، الآية ١١٩] . يقول (ابن كثير ، ١٤٠١ هـ) :

« أي اصدقوا والزموا الصدق تكونوا من أهله وتنجوا من المهالك ، ويجعل لكم فرجاً من أموركم ومخرجاً » . ج ٢ ، ص ٤٠٠ .

وقول الله تعالى : ﴿ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴾ [سورة النساء ، الآية ٦٩] .

إنَّ المرتبة التالية لمرتبة الأنبياء في الجنة هي مرتبة الصديقين الذين جعلوا الصدق شعار أقوالهم وأفعالهم ، وأساس إسلامهم وإيمانهم .

يقول (ابن كثير ، ١٤٠١ هـ) :

« إِنَّ من عمل بما أمر الله به ورسوله وترك ما نهاه الله عنه ورسوله ، فَإِنَّ اللَّهَ يَجْعَلُ لِكُلِّ يَسْكُنُهُ دَارَ كَرَامَتِهِ ، ويجعله مرافقاً للأنبياء ثُمَّ لمن بعدهم في المرتبة وهم الصديقون ... » . ج ١ ، ص ٥٢٣ .

الصدق في السنة النبوية المطهرة :

السنة في اللغة :

يقول (ابن منظور) :

تطلق السنة في اللغة على الطريقة .. قال في التهذيب : السنة هي الطريقة الحمودة المستقيمة . ج ١٣ ، ص ٢٢٦ .

ويقول (ابن فارس ، ١٤٠٢ هـ) :

السين والنون أصل واحد مطّرد ، وهو جريان الشيء واطراده في سهولة . والأصل قولهم : سنتت الماء على وجهي أسنّه سنّاً إذا أرسلته إرسالاً . ومما اشتق منه السنة وهي السيرة ، وسنة الرسول ﷺ : سيرته .

قال الهذلي :

فلا تجزعن من سنة أنت سرتها ⊕ فأول راضٍ سنة من يسيرها

ج ٣ ، ص ٦٠ ، ٦١ .

السنة في الشرع :

يختلف معنى السنة في اصطلاح العلماء حسب اختلاف فنونهم وأغراضهم ، فهي عند الأصوليين غيرها عند المحدثين والفقهاء .

يقول (الخطيب ، ١٣٨٣ هـ) :

أمّا إذا أطلقت السنة في الشرع فيراد بها : ما أمر به النبي ﷺ ونهى عنه ، وندب إليه قولاً وفعلاً . ولهذا يقال في أدلة الشرع الكتاب والسنة . ص ١٥ .

موضوع السنة ومكانتها من القرآن الكريم :

إنَّ العالم المتبع لسنة النَّبي ﷺ وسيرته العطرة يجد أنَّها جاءت موافقة لكتاب الله تعالى ، مفصلة لما جاء فيه مجملًا من الأحكام وتطبيقًا عمليًا لأحكام الإسلام وتشريعاته .

يقول (الخطيب ، ١٣٨٣ هـ) : لم يكن للأحكام في عهد رسول الله ﷺ مصدر سوى الكتاب والسنة . ففي كتاب الله تعالى الأصول العامة للأحكام دون التعرض إلى تفصيلها جميعها والتفريع عليها ، إلا ما كان متفقًا مع الأصول ثابتًا بثبوتها لا يتغير بمرور الزمن ، ولا يتطور باختلاف الناس في بيئاتهم وأعرافهم ، كل هذا حتى يسائر القرآن الكريم كل زمن ويبقى صالحًا لكل قرن وجيل مهما كانت بيئتهم وأعرافهم ، فيجد فيه كل جيل ما يكفل حاجته التشريعية في سبيل النهوض والتقدم ، وإلى جانب هذه الأصول في القرآن الكريم نجد العقائد والعبادات وقصص الأمم الغابرة والآداب العامة والأخلاق .

وقد جاءت السنة النبوية في الجملة موافقة للقرآن الكريم ، تفسر مبهمه ، وتفصل مجمله ، وتقيد مطلقه ، وتخصص عامه ، وتشرح أحكامه ، كما جاءت بأحكام لم ينص عليها القرآن الكريم . فكانت في الواقع تطبيقًا عمليًا لما جاء به القرآن العظيم . ص ٢٣ ، ٢٤ .

ومن جملة الجوانب الأخلاقية والركائز الإيمانية التي جاء الحديث عنها كثيرًا في سنة الرسول ﷺ خلق الصدق .

وفيما يلي بعض أحاديث الرسول ﷺ التي تأمر بالصدق وتحث عليه ، وتحذر من الكذب وتشدد النكير عليه .

يقول الرسول ﷺ :

« عَلَيْكُمْ بِالصَّدَقِ فَإِنَّ الصَّدَقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصَّدَقَ حَتَّى يَكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدْقًا ، وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يَكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَابًا » (رواه مسلم ، رقم ٢٦٠٧ ،

ك البر والصلة ، باب قبح الكذب وحسن الصدق وفضله ، ج٤ ، ص ١٥٩٧ ، ط ١ ، ١٤١٦ هـ ، من حديث عبد الله بن مسعود ؓ) .

هذا الحديث الشريف يأمر المؤمنين بالتحلي بالصدق في أقوالهم وأفعالهم وفي جميع شؤونهم ، ليظفروا بمنزلة البر ، ويكون لهم طريقاً إلى الجنة . وإذا ما تحرَّى العبد الصدق في كلِّ حركاته وسكناته كان عند الله تعالى من الصديقين ، وهي مرتبة تلي مرتبة النبوة ، كما قال تعالى :

﴿ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴾ [سورة النساء ، الآية ٦٩] .

أمَّا الشطر الثاني من الحديث فإنه يحذّر أشد التحذير من الكذب لكونه يجر إلى الفجور والآثام ، ويقلب الحقائق والموازن ، ويكون مآل صاحبه في الآخرة إلى النار ، ومن اتخذ الكذب له ديدناً وصار له خلقاً فإنه يكتب عند الله من الكذابين .

قال (النووي) :

« قال العلماء : هذا فيه حثٌّ على تحري الصدق ، وهو قصده والاعتناء به ، وعلى التحذير من الكذب والتساهل فيه ، فإنه إن تساهل فيه كثر منه فعرف به

وكتبه الله لمبالغته صديقاً إن اعتاده ، أو كذاباً إن اعتاده » . (مسلم : صحيح مسلم بشرح النووي ، ك البر والصلة ، باب قبح الكذب وحسن الصدق وفضله ، جـ ١٦ ، ص ١٦٠) .

وفي حديث أبي سفيان صخر بن حرب رضي الله عنه الطويل في قصة هرقل ، قال هرقل : « فَمَاذَا يَأْمُرُكُمْ ؟ قال أبو سفيان : قلت : يَقُولُ : اعْبُدُوا اللَّهَ وَحْدَهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ، وَاتْرَكُوا مَا يَقُولُ آبَاؤُكُمْ ، وَيَأْمُرُنَا بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصَّدَقِ وَالْعَفَافِ وَالصَّلَةِ » . (رواه البخاري ، رقم ٧ ، ك بدء الوحي ، جـ ١ ، ص ٦) .

وفي الحديث الشريف المتقدم يأمر الرسول ﷺ بأهم ما كلف به العباد وهو توحيد الله وعبادته وإفراده بأعمال العباد ، وينهى عن أهم ما حذر الله تعالى منه وهو الشرك وما كان عليه أهل الجاهلية من اتباع آبائهم في الباطل ، كما يأمر الرسول ﷺ بأهم أصول العبادات والأخلاق من إقامة الصلاة والالتزام بالصدق قولاً وعملاً ، والعفاف عن الشهوات المحرمة ، كما يأمر بصلة ما أمر الله به أن يوصل من الأقارب وذوي الأرحام .

وقول الرسول ﷺ : « إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ » (رواه البخاري ، رقم ٦٠٦٥ ، ك الأدب ، باب ما ينهى عن التحاسد والتدابير ، جـ ٧ ، ص ١١٦ ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه) .

يقول (ابن حجر) في الفتح :

« قال الخطابي وغيره : ليس المراد ترك العمل بالظن الذي تناط به الأحكام غالباً ، بل المراد ترك تحقيق الظن الذي يضر بالمظنون به » . وقال القرطبي أيضاً : « المراد بالظن هنا التهمة التي لا سبب لها كمن يتهم رجلاً بالفاحشة من غير أن يظهر عليه ما يقتضيها » . جـ ١٠ ، ص ٤٨١ .

ولا شك بأن الظن الذي لا سبب له ولا مسوغ يعتبر قرين الكذب ، وسبيل

إلى بناء الأمور على الوهم والخيال ، ولذلك نهى النبي ﷺ عن الظن لما يترتب على تحقيقه وتصديقه من مفسد تضرّ بالظانّ والمظنون به .

وقول الرسول ﷺ :

« مَنْ سَأَلَ اللَّهَ الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ بَلَغَهُ اللَّهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ وَإِنْ مَاتَ عَلَى

فِرَاشِهِ » (رواه مسلم ، رقم ١٩٠٩ ، ك الإمارة ، باب استحباب طلب الشهادة ، ج ٣ ، ص ١٢٠٤ ، من حديث سهل بن حنيف ؓ) .

وفي هذا الحديث الشريف يبيّن الرسول الكريم ﷺ أنّ صدق القلب في طلب الشهادة في سبيل الله سبب في الحصول على ثوابها ، وأنّ من نوى شيئاً من عمل البر أثيب عليه وإن لم يتحقق له عمله .

والسنة النبوية حافلة بالأحاديث الكثيرة التي تأمر بالصدق وتحثّ عليه ، وتندد بالكذب وتحذّر منه أشدّ التحذير .

الفصل الثالث

فضل الصدق وقبح الكذب في نظر السلف الصالح

ويتضمن :

- الصدق عند الصحابة رضي الله عنهم .
- الصدق عند علماء السلف .
- الصدق عند المربين المسلمين (الغزالي ، ابن تيمية ، ابن القيم) .
- الكذب وخطورته ، وضرورة تجنبه ؛ تأكيداً لقيمة الصدق .

الصدق عند الصحابة ﷺ :

الصحابي لغة :

يقول (ابن منظور) :

الصحابي : مشتق من الصحبة ، وتطلق على من صحب غيره قليلاً أو كثيراً . ج ١ ، ص ٥١٩ .

الصحابي في الاصطلاح :

يقول (ابن حجر) في الإصابة :

الصحابي : من لقي النبي ﷺ مؤمناً به ، ومات على الإسلام . ج ١ ، ص ٤ .
لقد اصطفى الله تعالى رسوله محمداً ﷺ لحمل الرسالة الخاتمة وإبلاغها للناس ، واختار تعالى صحابته رضوان الله عليهم لتلقي البلاغ منه وإبلاغ الدعوة .
وقد قام ﷺ بإبلاغ الرسالة وأداء الأمانة والجهاد في الله حق الجهاد حتى أتاه اليقين ، ومن ثم قام صحابته بحمل الأمانة من بعده والجهاد في سبيل الله لإبلاغ دعوة الإسلام إلى أمم الأرض في ذلك الوقت ، فصدقوا الله تعالى في إيمانهم وجهادهم فنصرهم الله ويسر لهم ما أرادوا فكانوا بحق الجيل الفريد بعد النبي ﷺ في إيمانهم وجهادهم وعدالتهم .

وقد جاء الثناء عليهم في كتاب الله تعالى وفي سنة الرسول ﷺ ، وورد فيهم ما يوجب لهم العدالة ويجعلهم في ذروة الثقة والائتمان ، فكانوا حريين بدراسة سيرهم والتعرف على آثارهم ، ومن الآيات الكريمة التي وردت في عموم فضلهم :

قول الله تعالى : ﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [سورة التوبة ، الآية ١٠٠] .

وقوله تعالى : ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيُغَيِّظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [سورة الفتح ، الآية ٢٩] .

وقوله تعالى : ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ . وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَحْنَ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [سورة الحشر ، الآيتان ٨ ، ٩] .

يقول (قطب ، ١٤١٢ هـ) في تفسير الآيتين : -

« وهي صورة صادقة تبرز فيها أهم الملامح المميّزة للمهاجرين ... أخرجوا إخراجاً من ديارهم وأموالهم . أكرمهم على الخروج الأذى من قرابتهم وعشيرتهم في مكة . لا لذنوب إلا أن يقولوا ربنا الله ... وقد خرجوا تاركين ديارهم وأموالهم اعتماداً على الله في فضله ورضوانه : وينصرون الله بقلوبهم وسيوفهم ، وهم الذي قالوا كلمة الإيمان بألسنتهم وصدقوها بعملهم . وكانوا صادقين مع الله في أنهم اختاروه . وصادقين مع رسوله في أنهم اتبعوه .

وصادقين مع الحق في أنهم كانوا صورة منه تدب على الأرض ويراهم الناس .

والآية الثانية صورة وضيفة صادقة تبرز أهم الملامح المميزة للأنصار . هذه المجموعة التي تفرّدت بصفات ، وبلغت آفاقاً ، لولا أنها وقعت بالفعل لحسبها الناس أحلاماً ومثلاً علياً قد صاغها خيال محلق . ج ٦ ، ص ٣٥٢٦ .

وأما السنة النبوية فقد ورد فيها نصوص كثيرة في خيرية قرن النبي ﷺ من الصحابة وأنهم أفضل القرون على الإطلاق . ومن ذلك :

قول الرسول ﷺ :

« خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ » (رواه البخاري ،

رقم ٣٦٥١ ، ك فضائل أصحاب النبي ﷺ ، ج ٤ ، ص ٢٢٩) .

وقوله ﷺ : « لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي ، فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا

مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ » (رواه البخاري ، رقم ٣٦٧٣ ، ك فضائل أصحاب النبي ﷺ ،

ج ٤ ، ص ٢٣٦) .

وسيرة الرسول ﷺ وسيرة الصحابة وتاريخهم ﷺ من أقوى مصادر القوة الإيمانية التي لا تزال هذه الأمة تقتبس منها شعلة الإيمان التي تحرك القلوب ، وتبعث النفوس في طريق الصدق مع الله .

وإذا كان الرسل والأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين قد ربّاهم الله تعالى واختارهم فكانوا نموذجاً يحتذى في الصدق والإخلاص لله رب العالمين ، فإنّ الصحابة رضوان الله عليهم قد تربّوا في مدرسة نبيّ الأمّة محمد ﷺ ونهلوا من معين سيرته التي حفلت بها حياته ﷺ في الإيمان والجهاد والصدق والإخلاص .

وتاريخ الصحابة وأخبارهم يعتبر مادة التجديد والبعث في حياة المسلمين ، لأنهم وضعوا أيديهم في يد الرسول ﷺ بعدما آمنوا بدعوته وأفضى يقينهم إلى قلوبهم وسيطر على نفوسهم وعقولهم وصدرت منهم عجائب الإيمان والحب لله وللرسول ، والرحمة للمؤمنين ، والشدة على الكافرين ، وإشار الآخرة على الدنيا ، والحرص على دعوة الناس إلى الخير ، وعبادة الله وحده ، وبذل الأنفس والأموال في سبيل مرضاة الله .

ولذا اشتدت عناية دعاة الإسلام والمصلحين بسير الصحابة وأخبارهم في إيقاظ همم المسلمين وإلهاب جذوة الإيمان في قلوبهم .

ونحن في هذا العصر في أشد الحاجة إلى معرفة أخبار الصحابة وأحوالهم ، وإلى قيمة هذه الثروة الإصلاحية والتربوية لما لها من تأثير في القلوب للتأسي بسيرهم ، وأخذ القدوة من حياتهم .

ويعرض البحث في هذا الفصل نماذج من سيرة بعض هؤلاء الصحب الكرام يلقي الضوء فيها على ما تميزوا به من أخلاق نبيلة وصفات فاضلة ، ومن أبرزها الصدق .

النموذج الأول : أبو بكر الصديق ﷺ :

نسبه : يقول (ابن هشام ، ١٤١٠ هـ) :

هو : أبو بكر بن أبي قحافة ، واسمه عتيق ، واسم أبي قحافة عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد . وقيل اسمه : عبد الله ، وعتيق لقب لحسن وجهه . ج١ ، ص ٢٨٥ .

ويقول (ابن هشام ، ١٤١٠ هـ) أيضاً :

وقد أسلم أبو بكر ، وكانت له منزلة في قريش لعقله ومروءته واعتداله ،

وأظهر إسلامه ، وقد كان رجلاً محبباً سهلاً عالماً بأنساب قريش وبأخبارها ، وكان تاجراً ذا خلق معروف ، فجعل يدعو إلى الإسلام من وثق به من قومه ممن يغشاه ويجلس إليه . وأسلم بدعوته من لهم مكانة وسؤدد في قريش ، منهم عثمان بن عفان والزبير بن العوام وعبدالرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وطلحة بن عبيد الله ، فجاء بهم إلى رسول الله ﷺ فأسلموا .

وتلاهم رجال من قريش لهم شرف ومكانة منهم أبو عبيدة بن الجراح ، والأرقم ابن أبي الأرقم ، وعبد الله بن مسعود ، وغيرهم ﷺ . ج ١ ، ص ٢٨٦ ، ٢٨٧ .

من فضائل أبي بكر ﷺ :

من فضائل أبي بكر ﷺ ما خصّه النبي ﷺ به من جميل الصحبة وعظيم الثناء ، ومن ذلك :

قول الرسول ﷺ : « إِنْ مِنْ أَمْنٍ النَّاسِ عَلَيَّ فِي صُحْبَتِهِ وَمَالِهِ أَبَا بَكْرٍ وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا غَيْرَ رَبِّي لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ ، وَلَكِنْ أَخُوهُ الْإِسْلَامِ وَمَوَدَّتُهُ ، لَا يَبْقَيْنَ فِي الْمَسْجِدِ بَابٌ إِلَّا سُدَّ إِلَّا بَابَ أَبِي بَكْرٍ » (رواه البخاري ، رقم ٣٦٥٤ ، ك فضائل أصحاب النبي ﷺ ، ج ٤ ، ص ٢٣٠ من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ) .

وعن أبي الدرداء ﷺ قال : « كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ أَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ أَخِذًا بِطَرَفِ ثَوْبِهِ حَتَّى أَبْدَى عَنْ رُكْبَتِهِ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : أَمَّا صَاحِبُكُمْ فَقَدْ غَامَرَ ، فَسَلَّمَ وَقَالَ : إِنِّي كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ ابْنِ الْخَطَابِ شَيْءٌ فَأَسْرَعْتُ إِلَيْهِ ، ثُمَّ نَدِمْتُ فَسَأَلْتُهُ أَنْ يَغْفِرَ لِي فَأَبَى عَلَيَّ ، فَأَقْبَلْتُ إِلَيْكَ ، فَقَالَ : يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ (ثلاثاً) . ثُمَّ إِنَّ عُمَرَ نَدِمَ فَاتَى مَنْزِلَ أَبِي بَكْرٍ فَسَأَلَ : أَتَمَّ أَبُو بَكْرٍ ؟ فَقَالُوا : لَا ، فَاتَى إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَسَلَّمَ ، فَجَعَلَ وَجْهُ النَّبِيِّ ﷺ يَتَمَعَّرُ حَتَّى

أَشْفَقَ أَبُو بَكْرٍ فَجَثَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَاللَّهِ أَنَا كُنْتُ أَظْلَمَ (مَرَّتَيْنِ) فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : إِنَّ اللَّهَ بَعَثَنِي إِلَيْكُمْ فَقُلْتُمْ : كَذَبْتَ ، وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : صَدَقَ ، وَوَأَسَانِي بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ ، فَهَلْ أَنْتُمْ تَارِكُوا لِي صَاحِبِي ؟ (مَرَّتَيْنِ) فَمَا أُوذِيَ بَعْدَهَا » (رواه البخاري ، رقم ٣٦٦١ ، ك فضائل الصَّحابة ، باب فضائل أبي بكر ﷺ ، ج٤ ، ص ٢٣٢ من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ) .

وفي حديث أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ صَائِمًا ؟ قَالَ أَبُو بَكْرٍ : أَنَا ، قَالَ : فَمَنْ تَبَعَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ جَنَازَةً ؟ قَالَ أَبُو بَكْرٍ : أَنَا ، قَالَ : فَمَنْ أَطْعَمَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ مِسْكِينًا ؟ قَالَ أَبُو بَكْرٍ : أَنَا ، قَالَ : فَمَنْ عَادَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ مَرِيضًا ؟ قَالَ أَبُو بَكْرٍ : أَنَا ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : مَا اجْتَمَعَنَ فِي أَمْرِي إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ » (رواه مسلم ، رقم ٣٦٦١ ، ك فضائل الصَّحابة ، باب فضائل أبي بكر ﷺ ، ج٤ ، ص ١٤٨١) .

وفي حديث عمرو بن العاص ﷺ « أَنْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَعَثَهُ عَلَى جَيْشِ ذَاتِ السَّلَاسِلِ ، فَأَتَيْتُهُ فَقُلْتُ : أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيْكَ ؟ قَالَ : عَائِشَةُ ، قُلْتُ : مِنْ الرِّجَالِ ؟ قَالَ : أَبُوهَا ، قُلْتُ : ثُمَّ مَنْ ؟ قَالَ : عُمَرُ ، فَعَدَّ رِجَالًا » (رواه مسلم ، رقم ٢٣٨٤ ، ك فضائل الصَّحابة ، باب من فضائل أبي بكر ﷺ ، ج٤ ، ص ١٤٨٠) .

مواقف وصور من صدق أبي بكر ﷺ :

١ - أنه أوَّل من أسلم من الأحرار ، وصدق برسالة النبي محمد ﷺ . ويدل على ذلك ما جاء في حديث عمار بن ياسر ﷺ قال : « رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَمَا مَعَهُ إِلَّا خَمْسَةٌ أَعْبَدُوا وَأَمْرَاتَانِ وَأَبُو بَكْرٍ » (رواه البخاري ، رقم ٣٦٦٠ ، ك فضائل الصَّحابة ، باب فضل أبي بكر ﷺ ، ج٤ ، ص ٢٣٢) .

قال (ابن حجر) : وفيه دلالة على قدم إسلام أبي بكر إذ لم يذكر عمّار أنّه رأى مع النبي ﷺ غيره ، وقد اتفق الجمهور على أنّ أبا بكر أوّل من أسلم من الرجال ، وأن أبا بكر كان يتحقق أنّه سيبعث لما كان يسمعه ويرى من أدلّة ذلك ، فلمّا دعاه بادر إلى تصديقه من أوّل وهلة . ج ٧ ، ص ١٧٠ .

٢ - دفاعه عن النبي ﷺ عندما آذته قريش وأرادت قتله :

عن عروة بن الزبير قال : « سَأَلْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو عَنْ أَشَدِّ مَا صَنَعَ الْمُشْرِكُونَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، قَالَ : رَأَيْتُ عَقْبَةَ بْنَ أَبِي مُعَيْطٍ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ يُصَلِّي فَوَضَعَ رِجْلَهُ فِي عُنُقِهِ فَخَنَقَهُ بِهِ خَنْقًا شَدِيدًا ، فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ حَتَّى دَفَعَهُ عَنْهُ فَقَالَ : ﴿ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ [سورة غافر ، آية ٢٨] » (رواه البخاري ، رقم ٣٦٧٨ ، ك فضائل أصحاب النبي ﷺ ، باب فضائل أبي بكر ﷺ ، ج ٤ ، ص ٢٣٨) .

٣ - تصديق النبي ﷺ في حادث الإسراء والمعراج عندما كذّبه قريش :

عندما أسري برسول الله ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، ومنه إلى ما شاء الله تعالى من القرب والدنو والسير في السموات ومشاهدة الآيات الكبرى والاجتماع بالأنبياء وفرض الصلوات الخمس كذّبه قريش عندما حدّث بذلك ﷺ ، وكان أبو بكر ﷺ يقول : إن كان قاله فقد صدق .

يقول (ابن هشام ، ١٤١٠ هـ) :

فمضى رسول الله ﷺ ومضى جبريل معه حتّى انتهى به إلى بيت المقدس ، فوجد فيه إبراهيم وموسى وعيسى في نفر من الأنبياء ، فأمرهم رسول الله ﷺ فصلّى بهم ، ثمّ أتى يانائين في أحدهما خمر وفي الآخر لبن ، قال :

فأخذ رسول الله ﷺ إناء اللبن فشرب منه ، وترك إناء الخمر . قال : فقال جبريل : هديت للفطرة ، وهديت أمتك يا محمد ، وحرمت عليكم الخمر ، ثم انصرف رسول الله ﷺ إلى مكة ، فلما أصبح غدا على قريش فأخبرهم الخبر . فقال أكثر الناس : هذا والله الأمر البين ، والله إن العير لتطرد شهراً من مكة إلى الشام مدبرة ، وشهراً مقبلة ، أفيزهد ذلك محمد في ليلة واحدة ويرجع إلى مكة ؟! قال : فارتد كثير ممن كان أسلم ، وذهب الناس إلى أبي بكر ، فقالوا له : هل لك يا أبا بكر في صاحبك يزعم أنه قد جاء هذه الليلة بيت المقدس وصلى فيه ورجع إلى مكة ، قال : فقال لهم أبو بكر : إنكم تكذبون عليه ، فقالوا : بلى ، هاهو ذاك في المسجد يحدث به الناس ، فقال أبو بكر : والله لئن كان قاله لقد صدق ، فما يعجبكم من ذلك ، فوالله إنه ليخبرني أن الخبر ليأتيه من السماء إلى الأرض في ساعة من ليل أو نهار فأصدقه ، فهذا أبعد مما تعجبون منه . ج ٢ ، ص ٤٩ ، ٥٠ .

وقد ورد حديث الإسراء بطوله في الصحيحين . قال (ابن حجر) : ولقب الصديق بهذا اللقب لسبقه إلى تصديق الرسول ﷺ ، وقيل : كان ابتداء تسميته بذلك ضيحة الإسراء . ج ٧ ، ص ٩ .

وتصديق الرسول ﷺ في هذا الأمر العظيم يدل على رسوخ إيمانه وصدق يقينه ، ويظهر ذلك من قوله لقريش : « إني لأصدقه في خبر السماء ، فهذا أبعد مما تعجبون منه » .

٤ - صدقه ﷺ وإخلاصه وفداؤه في هجرته مع رسول الله ﷺ :

الصدق مع الله تعالى يجعل المؤمن يضحّي بكل شيء في سبيل مرضاة الله .

وأبو بكر ﷺ ترجم صدقه في إيمانه من خلال اتخاذ الأسباب الكفيلة بنجاة رسول الله ﷺ في هجرته إلى المدينة .

يقول (ابن هشام ، ١٤١٠ هـ) بتصرّف :

إِنَّ أَبَا بَكْرٍ اتَّخَذَ الْأَسْبَابَ الْكَفِيلَةَ بِنَجَاحِ الْهَجْرَةِ وَتَقْوِيَتِ الْفُرْصَةِ عَلَى قُرَيْشٍ أَنْ تَجِدَ مُحَمَّدًا ﷺ ، فَقَدْ أَعَدَّ رَاحِلَتَيْنِ لِلْهَجْرَةِ مِنْ قَبْلِ عِدَّةِ أَشْهُرٍ وَهُوَ لَا يَعْلَمُ بِخَبَرِهَا ، وَبَعْدَ أَنْ أَخْبَرَهُ الرَّسُولُ ﷺ نَرَاهُ يَتَّخِذُ الْأَسْبَابَ لِنَجَاحِ الْهَجْرَةِ ، وَمِنْ ذَلِكَ :

أ - كَانَ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ يَنْقُلُ أَخْبَارَ قُرَيْشٍ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ حَيْثُ يَكُونُ فِي قُرَيْشٍ نَهَارَهُ يَسْمَعُ مَا يَأْتُرُونَ بِهِ وَمَا يَقُولُونَ فِي شَأْنِ الرَّسُولِ ﷺ وَأَبِي بَكْرٍ ، ثُمَّ يَأْتِيهِمَا إِذَا أَمْسَى فَيُخْبِرُهُمَا الْخَبْرَ . ج ٢ ، ص ٩٣ .

ب - أَعَدَّ عَامِرُ بْنُ فَهَيْرَةَ مَوْلَاهُ لِيرْعَى غَنَمِهِ نَهَارًا وَيُرِيحُهَا عَلَيْهِمَا لَيْلًا لِيَسْتَفِيدَا مِنْ حَلِيبِ الْغَنَمِ ، وَلِتَعْفِيَ الْغَنَمُ آثَارَ قَدَمِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ فِي الطَّرِيقِ إِلَى الْغَارِ . ج ٢ ، ص ٩٤ .

ج - تَقْدِيمُ نَفْسِهِ إِلَى الْخَطَرِ فِدَاءً لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَعِنْدَمَا انْتَهَى الرَّسُولُ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ إِلَى الْغَارِ لَيْلًا دَخَلَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ قَبْلَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَلَمَسَ الْغَارَ ، لِيَنْظُرَ أَفِيهِ سَبْعَ أَوْ حَيَّةٍ يَقِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِنَفْسِهِ . ج ٢ ، ص ٩٤ .

وَصَدَقَ أَبِي بَكْرٍ ﷺ فِي إِيمَانِهِ وَتَصَدِيقِهِ لِلرَّسُولِ ﷺ يَتِمُّثَلُ فِي إِتِّفَاقِ مَالِهِ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ فِي سَبِيلِ نَجَاةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي هَجْرَتِهِ ، وَتَجْنِيدِ أَهْلِ بَيْتِهِ لِنَقْلِ الْأَخْبَارِ وَالطَّعَامِ وَالشَّرَابِ ، وَتَقْدِيمِ نَفْسِهِ فِي مَوَاطِنِ الْخَطَرِ حِمَايَةً لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ . فَأَيُّ صَدَقٍ أَعْظَمَ مِنْ صَدَقِ أَبِي بَكْرٍ ؟ وَأَيُّ فِدَاءٍ أَعْظَمَ مِنْ فِدَائِهِ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَرَضِي اللَّهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ .

٥ - موقف أبي بكر رضي الله عنه بعد وفاة رسول الله ﷺ :

حين توفي رسول الله ﷺ نزلت وفاته على الصحابة رضي الله عنهم كالصاعقة لشدة حُبهم له ، وما تعودوه من العيش في كنفه ، عيش الأبناء في حجر الآباء ، بل أكثر من ذلك . ولم يكذب بعضهم يصدق نبأ وفاته ﷺ ، وكان في مقدمتهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فأنكر على من قال : مات رسول الله ﷺ .

يقول (ابن هشام ، ١٤١٠ هـ) :

لما توفي رسول الله ﷺ قام عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال : إِنَّ رجلاً من المنافقين يزعمون أَنَّ رسول الله ﷺ قد توفي ، وإنَّ رسول الله ﷺ ما مات ولكن ذهب إلى ربِّه كما ذهب موسى بن عمران .. ثُمَّ جاء أبو بكر حتى نزل على باب المسجد حين بلغه الخبر ، وعمر يكلم الناس ، فلم يلتفت إلى شيء حتى دخل على رسول الله ﷺ في بيت عائشة ، فأقبل حتى كشف عن وجه رسول الله ﷺ ، قال : ثُمَّ أَقبل عليه فقبله ، ثُمَّ قال : بأبي أنت وأمي ، أما الموتة التي كتب الله عليك فقد ذقتها ، ثُمَّ لن تصيبك بعدها موتة أبداً ، ثُمَّ خرج يكلم الناس ، فقال : على رسلك يا عمر ، أنصت ، فأبى إلا أن يتكلم ، فلما رآه أبو بكر لا ينصت أقبل على الناس ، فلما سمع الناس كلامه أقبلوا عليه وتركوا عمر ، فحمد الله وأثنى عليه ثُمَّ قال :

« أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ ، وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ حَيٌّ لَا يَمُوت . قال : ثُمَّ تلا هذه الآية : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبِهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ [سورة آل عمران ، الآية ١٤٤] .

يقول عمر : والله ما هي إلا أن سمعت أبا بكر تلاها ففُعِرت حتى وقعت على الأرض ، وما تحملني رجلاي وعرفت أن رسول الله ﷺ قد مات . ج ٤ ، ص ٣٠٦ ، ٣٠٧ .

في هذا الحدث الجلل والمصيبة العظيمة يتجلى موقف أبي بكر ﷺ في صدق اليقين ورجاحة العقل والتذكير بآيات القرآن الكريم في موت الرسول ﷺ ومواجهة الموقف بإيمان وصدق وصبر .

٦ - صدقه ﷺ في قتال المرتدين وإعادتهم إلى حظيرة الإسلام :

وقف أبو بكر ﷺ كالجبل الشامخ في وجوه المرتدين ، فهو الرجل الذي هياه الله لخلافة النبوة ولعزة الإسلام أيام الردة .

يقول (ابن الأثير ، ١٣٨٧ هـ) :

لما مات النبي ﷺ وسير أبو بكر جيش أسامة ارتدت العرب وتضرمت الأرض ناراً ، وارتدت كل قبيلة عامة أو خاصة إلا قريشاً وثقيفاً . ج ٢ ، ص ٢٠٥ .

ويقول (ابن الأثير) أيضاً : قال عبد الله بن مسعود : لقد قمنا بعد رسول الله ﷺ مقاماً كدنا نهلك فيه لولا أن الله من علينا بأبي بكر ، أجمعنا على ألا نقاتل على ابنة مخاض وابنة لبون ، وأن نأكل قرى عربية ، ونعبد الله حتى يأتينا اليقين ، فعزم الله لأبي بكر على قتالهم ، فوالله ما رضي منهم إلا الخطة المخزية أو الحرب المحلية . فأما الخطة المخزية فأن يقرؤا بأن من قتل منهم في النار ، ومن قتل منا في الجنة ، وأن يدوا قتلانا ونغنم ما أخذنا منهم وأن ما أخذوا منا مردود علينا ، وأما الحرب المحلية فأن يخرجوا من ديارهم . ج ٢ ، ص ٢٠٥ .

وقد ذكر (البخاري) قول أبي بكر رضي الله عنه : « وَاللَّهِ لَأُقَاتِلَنَّ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ ، فَإِنَّ الزَّكَاةَ حَقُّ الْمَالِ ، وَاللَّهُ لَوْ مَنَعُونِي عَنَّا كَانُوا يُؤَدُّونَهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَقَاتَلْتُهُمْ عَلَى مَنَعِهَا ، قَالَ عُمَرُ : فَوَاللَّهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ رَأَيْتُ أَنْ قَدْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَ أَبِي بَكْرٍ لِلْقِتَالِ فَعَرَفْتُ أَنَّهُ الْحَقُّ » (رواه البخاري ،

رقم ٦٩٢٥ ، ك استاباة المرتدين ، باب من أبي قبول الفرائض وما نسبوا إلى الردة ، ج ٨ ، ص ٦٥) .

ومن هنا يتضح أَنَّ أبا بكر رضي الله عنه اتخذ القرار المناسب بحرب المرتدين في الوقت المناسب يدفعه الصدق والإخلاص لله والحب للرسول ﷺ في الوقوف بحزم وقوة أمام من فرّق بين الصلاة والزكاة ، ومن عطّل ركناً من أركان الإسلام ، مع أَنَّ بعض الصحابة ومنهم عمر رضي الله عنه قد عارض الحرب ، إِلَّا أَنَّ اللَّهَ قد شرح صدره لقول أبي بكر رضي الله عنه .

ومما سبق تظهر مقومات الصديقية عند أبي بكر رضي الله عنه منذ اللحظة الأولى لإسلامه وأثناء صحبته وملازمته لرسول الله ﷺ ، وخلال خلافته الراشدة بعد رسول الله ﷺ حتى وفاته رضي الله عنه وأرضاه .

النموذج الثاني : كعب بن مالك رضي الله عنه :

نسبه : يقول (ابن حجر) في الإصابة :

هو : كعب بن مالك بن أبي مالك بن القين بن كعب بن سواد الأنصاري السلمي . ج ٣ ، ص ٣٠٨ .

ويقول (الذهبي ، ١٤١٠ هـ) :

وهو شاعر رسول الله ﷺ وصاحبه ، وأحد الثلاثة الذي خلفوا فتاب الله عليهم .

شهد العقبة وهي منقبة عظيمة ، وله عدة أحاديث تبلغ الثلاثين . جـ ٢ ، ص ٥٢٣ .

وقد جاء حديثه الطويل في كتب السنة النبوية حين تخلف عن غزوة تبوك . وفي الحديث تمحيص له وإظهار لصدقه ، وتمييز له عن المنافقين الكاذبين .

عن عبد الله بن كعب قال : « سَمِعْتُ كَعْبَ بْنَ مَالِكٍ يُحَدِّثُ حَدِيثَهُ حِينَ تَخَلَّفَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ . قَالَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ لَمْ أَتَخَلَّفَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي غَزْوَةِ غَزَاهَا قَطُّ . إِلَّا فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ . غَيْرَ أَنِّي قَدْ تَخَلَّفْتُ فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ . وَلَمْ يَغَايِبْ أَحَدًا تَخَلَّفَ عَنْهُ . إِنَّمَا خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَالْمُسْلِمُونَ يُرِيدُونَ عِيرَ قُرَيْشٍ . حَتَّى جَمَعَ اللَّهُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ عَدُوِّهِمْ ، عَلَى غَيْرِ مِيعَادٍ . وَلَقَدْ شَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَيْلَةَ الْعَقَبَةِ . حِينَ تَوَاقَفْنَا عَلَى الْإِسْلَامِ . وَمَا أَحْبَبُ أَنْ لِي بِهَا مَشْهَدٌ بَدْرٍ . وَإِنْ كَانَتْ بَدْرُ أَدَكَرَ فِي النَّاسِ مِنْهَا . وَكَانَ مِنْ خَبْرِي ، حِينَ تَخَلَّفْتُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ ، أَنِّي لَمْ أَكُنْ قَطُّ أَقْوَى وَلَا أَيْسَرَ مِنِّي حِينَ تَخَلَّفْتُ عَنْهُ فِي تِلْكَ الْغَزْوَةِ . وَاللَّهُ مَا جَمَعْتُ قَبْلَهَا رَاغِبِينَ قَطُّ . حَتَّى جَمَعْتُهُمَا فِي تِلْكَ الْغَزْوَةِ . فَعَزَّاهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي حَرْ شَدِيدٍ . وَاسْتَقْبَلَ سَفَرًا بَعِيدًا وَمَقَارًا . وَاسْتَقْبَلَ عَدُوًّا كَثِيرًا . فَجَلَا لِلْمُسْلِمِينَ أَمْرُهُمْ لِيَتَأَهَّبُوا أَهْبَةً غَزْوِهِمْ . فَأَخْبَرَهُمْ بِوَجْهِهِ الَّذِي يُرِيدُ . وَالْمُسْلِمُونَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَثِيرٌ . وَلَا يَجْمَعُهُمْ كِتَابُ حَافِظٍ (يُرِيدُ ، بِذَلِكَ ، الدِّيْوَانُ) . قَالَ كَعْبٌ : فَقُلْ رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَتَغَيَّبَ ، يَظُنُّ أَنَّ ذَلِكَ سَيَخْفَى لَهُ ، مَا لَمْ يَنْزَلْ فِيهِ وَخِي مِنَ اللَّهِ ﷻ . وَغَزَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ تِلْكَ الْغَزْوَةَ حِينَ طَابَتِ الثَّمَارُ وَالظَّلَالُ فَأَنَا إِلَيْهَا أَصْعَرُ . فَتَجَهَّزَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَالْمُسْلِمُونَ مَعَهُ . وَطَفِقْتُ أَغْدُو لِكَيْ أَتَجَهَّزَ مَعَهُمْ . فَأَرْجِعُ وَلَمْ أَقْضِ شَيْئًا . وَأَقُولُ فِي نَفْسِي : أَنَا قَادِرٌ عَلَى ذَلِكَ ، إِذَا أَرَدْتُ . فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ يَتِمَادِي بِي حَتَّى اسْتَمَرَّ بِالنَّاسِ الْجِدُّ . فَأَصْبَحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ غَادِيًا وَالْمُسْلِمُونَ مَعَهُ . وَلَمْ أَقْضِ مِنْ جَهَازِي شَيْئًا . ثُمَّ غَدَوْتُ فَرَجَعْتُ وَلَمْ أَقْضِ شَيْئًا . فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ يَتِمَادِي بِي حَتَّى أَسْرَعُوا وَتَفَارَطَ الْغَزْوُ . فَهَمَمْتُ أَنْ أَرْتَحِلَ فَأَدْرِكَهُمْ . فَيَا لَيْتَنِي فَعَلْتُ . ثُمَّ لَمْ يَقْدُرْ ذَلِكَ لِي . فَطَفِقْتُ إِذَا خَرَجْتُ فِي النَّاسِ ،

بَعْدَ خُرُوجِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، يَحْزَنُنِي أَنِّي لَا أَرَى لِي أَسْوَةَ إِلَّا رَجُلًا مَفْهُوسًا عَلَيْهِ فِي
النَّفَاقِ . أَوْ رَجُلًا مِمَّنْ عَذَرَ اللَّهُ مِنَ الضُّعَفَاءِ . وَلَمْ يَذْكُرْنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى بَلَغَ تَبُوكًا .
فَقَالَ وَهُوَ جَالِسٌ فِي الْقَوْمِ يَتَبَوَّكُ : مَا فَعَلَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ ؟ قَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَلَمَةَ : يَا
رَسُولَ اللَّهِ حَبَسَهُ بُرْدَاهُ وَالنَّظَرُ فِي عَطْفِيهِ . فَقَالَ لَهُ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ : بِئْسَ مَا قُلْتَ ، وَاللَّهِ
يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا . فَسَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَبَيْنَمَا هُوَ عَلَى ذَلِكَ رَأَى
رَجُلًا مَبِيضًا يَزُولُ بِهِ السَّرَابُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : كُنْ أَبَا حَيْثَمَةَ ، فَإِذَا هُوَ أَبُو
حَيْثَمَةَ الْأَنْصَارِيِّ ، وَهُوَ الَّذِي تَصَدَّقَ بِصَاعِ التَّمْرِ حِينَ لَمَزَهُ الْمُنَافِقُونَ .

فَقَالَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ : فَلَمَّا بَلَغَنِي أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ تَوَجَّهَ قَافِلًا مِنْ تَبُوكَ ،
حَضَرَنِي بَنِي ، فَطَفِقْتُ أَتَذْكُرُ الْكَذِبَ وَأَقُولُ : بِمِ أُخْرِجُ مِنْ سَخَطِهِ غَدًا ؟ وَأَسْتَعِينُ عَلَى
ذَلِكَ كُلِّ ذِي رَأْيٍ مِنْ أَهْلِي . فَلَمَّا قِيلَ لِي إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ أَظَلَّ قَادِمًا ، زَاحَ عَنِّي
الْبَاطِلُ . حَتَّى عَرَفْتُ أَنِّي لَنْ أَنْجُو مِنْهُ بِشَيْءٍ أَبَدًا . فَأَجْمَعْتُ صِدْقَهُ . وَصَبَحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ
قَادِمًا . وَكَانَ إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ ، بَدَأَ بِالْمَسْجِدِ فَرَكَعَ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ . ثُمَّ جَلَسَ لِلنَّاسِ .
فَلَمَّا فَعَلَ ذَلِكَ جَاءَهُ الْمُخَلَّفُونَ . فَطَفِقُوا يَعْذِرُونَ إِلَيْهِ . وَيَحْلِفُونَ لَهُ . وَكَانُوا بِضَعَةِ
وَتَمَانِينَ رَجُلًا . فَقَبِلَ مِنْهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عِلَانِيَتَهُمْ . وَبَيَّاعَهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمْ ، وَوَكَّلَ
سَرَائِرَهُمْ إِلَى اللَّهِ ، حَتَّى جِئْتُ ، فَلَمَّا سَلَمْتُ تَبَسُّمَ تَبَسُّمِ الْمُغْضَبِ ثُمَّ قَالَ : تَعَالَ فَجِئْتُ
أَمْشِي حَتَّى جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ . فَقَالَ لِي : مَا خَلَفَكَ ؟ أَلَمْ تَكُنْ قَدِ ابْتِغَيْتَ ظَهْرَكَ ؟ قَالَ
قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي وَاللَّهِ ! لَوْ جَلَسْتُ عِنْدَ غَيْرِكَ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا ، لَرَأَيْتُ أَنِّي
سَأُخْرِجُ مِنْ سَخَطِهِ بِعَذْرِ ، وَلَقَدْ أُعْطِيتُ جَدَلًا . وَلَكِنِّي وَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُ ، لَئِنْ حَدَّثْتُكَ
الْيَوْمَ حَدِيثَ كَذِبٍ تَرْضَى بِهِ عَنِّي لَيُوشِكَنَّ اللَّهُ أَنْ يُسَخِّطَكَ عَلَيَّ . وَلَئِنْ حَدَّثْتُكَ حَدِيثَ
صِدْقٍ تَجِدُ عَلَيَّ فِيهِ إِنِّي لَأَرْجُو فِيهِ عَفْوَ اللَّهِ . وَاللَّهِ ! مَا كَانَ لِي عَذْرُ . وَاللَّهِ ! مَا كُنْتُ
قَطُّ أَقْوَى وَلَا أَيْسَرَ مِنِّي حِينَ تَخَلَّفْتُ عَنْكَ . قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : أَمَّا هَذَا فَقَدْ صَدَقَ .
فَقُمْ حَتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ فِيكَ فَقُمْتُ . وَثَارَ رِجَالُ مِنْ بَنِي سَلَمَةَ فَاتَّبَعُونِي فَقَالُوا لِي : وَاللَّهِ
مَا عَلِمْنَاكَ أَنْ تَنْبِتَ ذَنْبًا قَبْلَ هَذَا . لَقَدْ عَجَزْتَ فِي أَنْ لَا تَكُونَ اعْتَذَرْتَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ
بِمَا اعْتَذَرَ بِهِ إِلَيْهِ الْمُخَلَّفُونَ . فَقَدْ كَانَ كَافِيكَ ذَنْبَكَ اسْتِغْفَارُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَكَ .

قَالَ : فَوَاللَّهِ مَا زَالُوا يُؤْتُونَنِي حَتَّى أَرَدْتُ أَنْ أَرْجِعَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَكْذَبَ نَفْسِي .
 قَالَ ثُمَّ قُلْتُ لَهُمْ : هَلْ لَقِيَ هَذَا مَعِيَ مِنْ أَحَدٍ قَالُوا نَعَمْ لَقِيَهِ مَعَكَ رَجُلَانِ . قَالَا مِثْلَ مَا
 قُلْتُ . فَقِيلَ لَهُمَا مِثْلَ مَا قِيلَ لَكَ . قَالَ قُلْتُ : مَنْ هُمَا ؟ قَالُوا : مُرَارَةُ بْنُ رَبِيعَةَ الْعَامِرِيُّ ،
 وَهَلَالُ بْنُ أُمَيَّةَ الْوَاقِفِيُّ . قَالَ فَذَكَرُوا لِي رَجُلَيْنِ صَالِحَيْنِ قَدْ شَهِدَا بِدَرَا ، فِيهِمَا أَسْوَةٌ .
 قَالَ فَمَضَيْتُ حِينَ ذَكَرُوهُمَا لِي .

قَالَ : وَنَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمُسْلِمِينَ عَنْ كَلَامِنَا أَيْهَا الثَّلَاثَةُ ، مِنْ بَيْنِ مَنْ تَخَلَّفَ عَنْهُ .
 قَالَ فَاجْتَنَبْنَا النَّاسَ . وَقَالَ تَغَيَّرُوا لَنَا حَتَّى تَتَكَرَّرَ لِي فِي نَفْسِي الْأَرْضُ . فَمَا هِيَ
 بِالْأَرْضِ الَّتِي أَعْرِفُ . فَلَبِثْنَا عَلَى ذَلِكَ خَمْسِينَ لَيْلَةً . فَأَمَّا صَاحِبَايَ فَاسْتَكْنَا وَقَعَدَا فِي
 بُيُوتِهِمَا يَبْكِيَانِ . وَأَمَّا أَنَا فَكُنْتُ أَشْتَبُ الْقَوْمَ وَأَجْلِدُهُمْ . فَكُنْتُ أَخْرُجُ فَأَشْهَدُ الصَّلَاةَ
 وَأَطُوفُ فِي الْأَسْوَاقِ وَلَا يَكْلُمُنِي أَحَدٌ . وَآتَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَأَسْلَمَ عَلَيْهِ ، وَهُوَ فِي
 مَجْلِسِهِ بَعْدَ الصَّلَاةِ . فَأَقُولُ فِي نَفْسِي : هَلْ حَرَكَ شَفَتَيْهِ بِرَدِّ السَّلَامِ ، أَمْ لَا ؟ ثُمَّ أَصْلِي
 قَرِيبًا مِنْهُ وَأَسَارِقُهُ النَّظَرَ . فَإِذَا أَقْبَلْتُ عَلَى صَلَاتِي نَظَرَ إِلَيَّ . وَإِذَا التَفْتُ نَحْوَهُ أَعْرَضَ
 عَنِّي . حَتَّى إِذَا طَالَ ذَلِكَ عَلَيَّ مِنْ جَفْوَةِ الْمُسْلِمِينَ ، مَشَيْتُ حَتَّى تَسَوَّرْتُ جِدَارَ حَائِطِ
 أَبِي قَتَادَةَ ، وَهُوَ ابْنُ عَمِّي وَأَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ . فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ . فَوَاللَّهِ مَا رَدَّ عَلَيَّ السَّلَامَ .
 فَقُلْتُ لَهُ : يَا أَبَا قَتَادَةَ ! أَنْشُدْكَ بِاللَّهِ ! هَلْ تَعْلَمَنَّ أَنِّي أَحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ؟ قَالَ فَسَكَتَ .
 فَعُدْتُ فَنَاشِدْتُهُ . فَسَكَتَ فَعُدْتُ فَنَاشِدْتُهُ . فَقَالَ : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ . فَفَاضَتْ عَيْنَايَ ،
 وَتَوَلَّيْتُ ، حَتَّى تَسَوَّرْتُ الْجِدَارَ .

فَبَيْنَمَا أَنَا أَمْشِي فِي سُوقِ الْمَدِينَةِ ، إِذَا نَبْطِيٌّ مِنْ نَبْطِ أَهْلِ الشَّامِ ، مِنْ قَدِيمٍ بِالطَّعَامِ
 يَبِيعُهُ بِالْمَدِينَةِ . يَقُولُ : مَنْ يَدُلُّ عَلَى كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ . قَالَ فَطَفِقَ النَّاسُ يُشِيرُونَ لَهُ إِلَيَّ .
 حَتَّى جَاءَنِي فَدَفَعَ إِلَيَّ كِتَابًا مِنْ مَلِكِ غَسَّانَ . وَكُنْتُ كَاتِبًا . فَقَرَأْتُهُ فَإِذَا فِيهِ : أَمَّا بَعْدُ .
 فَإِنَّهُ قَدْ بَلَغَنَا أَنَّ صَاحِبَكَ قَدْ جَفَاكَ . وَلَمْ يَجْعَلْكَ اللَّهُ بِدَارِ هَوَانٍ وَلَا مَضْيَعَةٍ . فَالْحَقَّ بِنَا
 نُوَاسِكَ . قَالَ فَقُلْتُ حِينَ قَرَأْتُهَا : وَهَذِهِ أَيْضًا مِنَ الْبَلَاءِ . فَتَيَآمَمْتُ بِهَا التَّنَوُّرَ فَسَجَرْتُهَا
 بِهَا . حَتَّى إِذَا مَضَتْ أَرْبَعُونَ مِنَ الْخَمْسِينَ ، وَاسْتَلْبِثَ الْوَحْيُ ، إِذَا رَسُولُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ
 يَأْتِينِي فَقَالَ : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَأْمُرُكَ أَنْ تَعْتَزَلَ امْرَأَتَكَ . قَالَ فَقُلْتُ : أَطْلُقُهَا أَمْ مَاذَا

أَفْعَلَ ؟ قَالَ : لا ، بَلِ اعْتَزَلَهَا ، فَلَا تَقْرَبْنَهَا . قَالَ فَأَرْسَلَ إِلَى صَاحِبِي بِمِثْلِ ذَلِكَ . قَالَ فَقُلْتُ لَامْرَأَتِي : الْحَقِّي بِأَهْلِكَ فَكُونِي عِنْدَهُمْ حَتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ فِي هَذَا الْأَمْرِ . قَالَ فَجَاءَتِ امْرَأَةُ هِلَالِ بْنِ أُمَيَّةَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ . فَقَالَتْ لَهُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! إِنَّ هِلَالَ بْنِ أُمَيَّةَ شَيْخُ ضَائِعٍ لَيْسَ لَهُ خَادِمٌ . فَهَلْ تَكْرَهُ أَنْ أَخْدُمَهُ ؟ قَالَ : لا . وَلَكِنْ لَا يَقْرَبَنَّكَ . فَقَالَتْ : إِنَّهُ وَاللَّهِ ! مَا بِهِ حَرَكَةٌ إِلَى شَيْءٍ . وَوَاللَّهِ مَا زَالَ يَبْكِي مُنْذُ كَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَا كَانَ . إِلَى يَوْمِهِ هَذَا .

قَالَ فَقَالَ لِي بَعْضُ أَهْلِي : لَوْ اسْتَأْذَنْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي امْرَأَتِكَ ؟ فَقَدْ أَذِنَ لَامْرَأَةَ هِلَالِ بْنِ أُمَيَّةَ أَنْ تَخْدُمَهُ . قَالَ فَقُلْتُ : لَا اسْتَأْذِنُ فِيهَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَمَا يُدْرِينِي مَاذَا يَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، إِذَا اسْتَأْذَنْتُهُ فِيهَا ، وَأَنَا رَجُلٌ شَابُ . قَالَ فَلَبِثْتُ بِذَلِكَ عَشْرَ لَيَالٍ . فَكَمَلْنَا خَمْسُونَ لَيْلَةً مِنْ حِينَ نَهَيْ عَنْ كَلَامِنَا . قَالَ ثُمَّ صَلَّيْتُ صَلَاةَ الْفَجْرِ صَبَاحَ خَمْسِينَ لَيْلَةً عَلَى ظَهْرِ بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِنَا . فَبَيْنَمَا أَنَا جَالِسٌ عَلَى الْحَالِ الَّتِي ذَكَرَ اللَّهُ ﷻ مِنَّا . قَدْ ضَاقَتْ عَلَيَّ نَفْسِي وَضَاقَتْ عَلَيَّ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ، سَمِعْتُ صَوْتَ صَارِخٍ أَوْفَى عَلَى سَلْعٍ يَقُولُ بِأَعْلَى صَوْتِهِ : يَا كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ ! أَبْشِرْ . قَالَ : فَخَرَرْتُ سَاجِدًا . وَعَرَفْتُ أَنْ قَدْ جَاءَ فَرَجٌ .

قَالَ فَأَذِنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ النَّاسَ بِتَوْبَةِ اللَّهِ عَلَيْنَا ، حِينَ صَلَّى صَلَاةَ الْفَجْرِ . فَذَهَبَ النَّاسُ يَبْشُرُونَنَا . فَذَهَبَ قِبَلَ صَاحِبِي مُبَشِّرُونَ . وَرَكَضَ رَجُلٌ إِلَيَّ فَرَسًا . وَسَعَى سَاعٍ مِنْ أَسْلَمَ قِبَلِي . وَأَوْفَى الْجَبَلِ . فَكَانَ الصَّوْتُ أَسْرَعَ مِنَ الْفَرَسِ . فَلَمَّا جَاءَنِي الَّذِي سَمِعْتُ صَوْتَهُ يَبْشُرُنِي . فَنَزَعْتُ لَهُ ثَوْبِي فَكَسَوْتُهُمَا إِيَّاهُ بِبِشَارَتِهِ . وَاللَّهِ ! مَا أَمْلِكُ غَيْرَهُمَا يَوْمَئِذٍ . وَاسْتَعَرْتُ ثَوْبَيْنِ فَلَبِسْتُهُمَا . فَاَنْطَلَقْتُ أَتَأْمُمُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَتَلَقَانِي النَّاسُ فَوْجًا فَوْجًا ، يَهْتَنُونَنِي بِالتَّوْبَةِ وَيَقُولُونَ : لَتَهْنُتْكَ تَوْبَةُ اللَّهِ عَلَيْكَ . حَتَّى دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ ، وَحَوْلَهُ النَّاسُ . فَقَامَ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدٍ اللَّهِ يَهْرُولُ حَتَّى صَافَحَنِي وَهَنَانِي . وَاللَّهِ ! مَا قَامَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ غَيْرَهُ .

قَالَ فَكَانَ كَعْبٌ لَا يَنْسَاهَا لِطَلْحَةَ .

قَالَ كَعْبٌ : فَلَمَّا سَلِمْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ ، وَهُوَ يَبْرُقُ وَجْهُهُ مِنَ السُّرُورِ

وَيَقُولُ : أَبَشِّرْ بِخَيْرِ يَوْمٍ مَرَّ عَلَيْكَ مُنْذُ وَلَدْتِكَ أُمُّكَ ، قَالَ فَقُلْتُ : أَمِنْ عِنْدِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ أَمْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ؟ فَقَالَ : لَا ، بَلْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ . وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا سُرَّ اسْتَنَارَ وَجْهُهُ . كَانَ وَجْهُهُ قِطْعَةً قَمَرٍ . قَالَ وَكُنَّا نَعْرِفُ ذَلِكَ .

قَالَ فَلَمَّا جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ مِنْ تَوْبَتِي أَنْ أَنْخَلَعَ مِنْ مَالِي صَدَقَةً إِلَى اللَّهِ وَإِلَى رَسُولِهِ ﷺ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : أَمْسِكْ بَعْضَ مَالِكَ . فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ . قَالَ فَقُلْتُ : فَإِنِّي أَمْسِكُ سَهْمِي الَّذِي بِخَيْبَرَ . قَالَ وَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! إِنْ اللَّهُ إِنَّمَا أَنْجَانِي بِالصَّدَقِ . وَإِنْ مِنْ تَوْبَتِي أَنْ لَا أَحْدَثَ إِلَّا صِدْقًا مَا بَقِيَتْ . قَالَ فَوَاللَّهِ ! مَا عَلِمْتُ أَنْ أَحَدًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَبْلَاهُ اللَّهُ فِي صِدْقِ الْحَدِيثِ ، مُنْذُ ذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى يَوْمِي هَذَا ، أَحْسَنَ مِمَّا أَبْلَانِي اللَّهُ بِهِ . وَاللَّهِ ! مَا تَعَمَّدْتُ كَذِبَةً مُنْذُ قُلْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى يَوْمِي هَذَا . وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَحْفَظَنِي اللَّهُ فِيمَا بَقِيَ .

قَالَ فَانْزَلَ اللَّهُ ﷻ : ﴿ لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ ﴾ [سورة التوبة ، الآيتان ١١٧ و ١١٨] حَتَّى بَلَغَ ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ [سورة التوبة ، الآية ١١٩] .

قَالَ كَعْبُ : وَاللَّهِ مَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ مِنْ نِعْمَةٍ قَطُ ، بَعْدَ إِذْ هَدَانِي اللَّهُ لِلْإِسْلَامِ أَعْظَمَ فِي نَفْسِي ، مِنْ صِدْقِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنْ لَا أَكُونَ كَذَبْتُهُ فَأَهْلَكَ كَمَا هَلَكَ الَّذِينَ كَذَبُوا . إِنْ اللَّهُ قَالَ لِلَّذِينَ كَذَبُوا حِينَ أَنْزَلَ الْوَحْيَ ، شَرُّ مَا قَالَ لِأَحَدٍ . وَقَالَ اللَّهُ : ﴿ سَيَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رَجَسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ . يَخْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾ [سورة التوبة ، الآيتان ٩٥ و ٩٦] .

قَالَ كَعْبُ : كُنَّا خَلَفْنَا أَيُّهَا الثَّلَاثَةُ عَنْ أَمْرِ أُولَئِكَ الَّذِينَ قَبِلَ مِنْهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ خَلَفُوا لَهُ

فَبَايَعَهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمْ . وَأَرْجَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَمْرَنَا حَتَّى قَضَى فِيهِ . فَبِذَلِكَ قَالَ اللَّهُ ﷻ : ﴿ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا ﴾ وَلَيْسَ الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ مِمَّا خَلَفْنَا ، تَخَلَّفْنَا عَنِ الْغَزْوِ . وَإِنَّمَا هُوَ تَخْلِيفُهُ إِيَّانَا ، وَإِرْجَاؤُهُ أَمْرَنَا ، عَمَّنْ حَلَفَ لَهُ وَاعْتَذَرَ إِلَيْهِ فَقَبِلَ مِنْهُ » (رواه مسلم ، رقم ٢٧٦٩ ، ك التوبة ، باب حديث كعب بن مالك وصاحبيه ، ج ٤ ، ص ١٦٨ - ١٦٩ ، ط ١ ، ١٤١٦ هـ) .

وَيَتَضَحَّ مِنْ خِلَالِ حَدِيثِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ أُمُورٌ كَثِيرَةٌ ، مِنْهَا :

- ١ - أَنَّ كَعْبًا ﷺ مِمَّنْ حَضَرَ بَيْعَةَ الْعُقْبَةِ ، وَهَذِهِ مَتَقَبَّةٌ عَظِيمَةٌ ، إِذْ يُعْتَبَرُ وَمِنْ كَانَ مَعَهُ مِنَ الْأَنْصَارِ مِنَ السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ إِلَى الْإِسْلَامِ مِنْ أَهْلِ يَثْرِبَ ﷺ .
- ٢ - أَنَّ الْمُسْلِمَ قَدْ يَحْدُثُ مِنْهُ تَقْصِيرٌ وَتَفْرِيطٌ ، وَأَنَّهُ يَجُوزُ لَهُ أَنْ يُخْبِرَ بِذَلِكَ وَبَسْبِيهِ وَمَا آلَ إِلَيْهِ أَمْرُهُ تَحْذِيرًا وَنَصْحًا لغيره .
- ٣ - يَتَجَلَّى فِي حَدِيثِ كَعْبِ إِيْمَانِهِ الْعَمِيقِ وَتَوْبَتِهِ الصَّادِقَةِ ، وَأَظْهَرَ مَا يَتَضَحُّ ذَلِكَ حِينَ طَمَعَ مَلِكُ غَسَّانَ فِيهِ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ لِيَفْتِنَهُ ، وَلَكِنْ إِيْمَانُ كَعْبِ الصَّادِقِ وَفَهْمُهُ الْعَمِيقُ لِلْإِسْلَامِ ، جَعَلَهُ يَرْفُضُ بِكُلِّ إِبَاءِ الْعَرْضِ الَّذِي قُدِّمَ إِلَيْهِ ، مَفْضَلًا مَرَارَةَ الْعَيْشِ الَّتِي كَانَ فِيهَا مَعَ الْإِسْلَامِ عَلَى نَعِيمِ الْقُصُورِ الَّذِي عَرَضَ عَلَيْهِ مَعَ الْكُفْرِ .

- ٤ - أَنَّ الصَّدْقَ نَجَاةً وَطَمَئِينَةً وَإِنْ تَرْتَّبَ عَلَيْهِ تَأْدِيبٌ وَأَنَّ عَاقِبَتَهُ مَحْمُودَةٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَأَنَّ الْكَذِبَ هَلَاكٌ وَشَوْمٌ ، وَأَنَّ عَاقِبَتَهُ سَيِّئَةٌ فِي الدَّارَيْنِ .

وَقَدْ تَجَلَّتْ مِنْ خِلَالِ النَّصِّ شَخْصِيَّةُ كَعْبِ الصَّادِقَةِ النَّقِيَّةِ الْمُسْتَقِيمَةِ الَّتِي لَا تَعْرِفُ الْإِتِّوَاعَ وَلَا التَّذَيُّبَ وَلَا الْإِحْتِيَالَ ، وَلَا تَلْمَسُ الْأَعْذَارَ الْكَاذِبَةَ ، لِأَنَّهَا شَخْصِيَّةٌ مُسْتَقِيمَةٌ عَلَى أَمْرِ اللَّهِ ، مُسْتَضِيئةٌ بِمَشْكَاتِ الْوَحْيِ ، مُسْتَهْدِيَةٌ بِهَدْيِ النُّبُوَّةِ .

٥ - ينبغي على المسلم أن يلتزم بالصدق دائماً ، سواء كان رب أسرة أو معلماً أو كاتباً أو صحفياً أو أمّاً كانت فإن المجتمع يتأثر بعضه ببعض ، فالأطفال يتأثرون بالأسرة وما تتصف به من أخلاق ، وما تتجاذب من أطراف الحديث ، وما يدور داخل البيت من أقوال وأفعال .

والمعلم في نظر طلابه هو الرجل المثالي في علمه وخلقه ، فما رأوه منه حسناً كان أو سيئاً أثر فيهم ، أو كان له بصمات في شخصيات أكثرهم ربما تمتد طوال الحياة . وكذلك ما يقرأ ويشاهد ويسمع في وسائل الإعلام المختلفة سيكون له الأثر في تربية الناشئة والمجتمع إيجاباً وسلباً .

٦ - إن التزام المسلم بالصدق في قوله وفعله وسلوكه هو اقتداء برسول الله ﷺ إمام الأمة وقودتها ، فليس الالتزام بالصدق خلقاً اجتماعياً تديره المصلحة كما هو الحال في المجتمعات الكافرة ، بل خلق اجتماعي يحمده المرء عليه ، ودين ندين الله به ، ويترتب عليه الثواب ، وعلى مخالفته العقوبة والعذاب .

الصدق عند علماء السلف :

السلف في اللغة :

يقول (ابن منظور) :

السلف : سلف ، يسلف سلفاً وسلوفاً : تقدّم .

والسلف والسليف والسلفة : الجماعة المتقدمون . جـ ٩ ، ص ١٥٨ .

ويقول (ابن فارس ، ١٤٠٢ هـ) :

السلف : السين واللام والفاء أصل يدل على تقدّم وسبق ، ومن ذلك

السلف : الذين مضوا وتقدّموا . جـ ٣ ، ص ٩٥ .

السلف في الاصطلاح :

يقول (السفاريني ، ١٤٠٥ هـ) :

السلف : من كان على ما كان عليه الصَّحابة الكرام رضوان الله عليهم وأعيان التابعين لهم بإحسان وأتباعهم وأئمة الدين ممن شهد له بالإمامة وعُرفَ عظم شأنه في الدين ، وتلقى الناس كلامهم خلف عن سلف دون من رُمي ببدعة أو شهر بلقب غير مرضي . جـ ١ ، ص ٢٠ .

ومن هنا يتبين أنَّ السلف هم : أصحاب الفضل والإيمان من الصَّحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان من أئمة الدين وأعلام الهدى الَّذِينَ التزموا نهج النبي ﷺ بالدليل من الكتاب والسنة ولم تعصف بهم الأهواء ولا المذاهب المخالفة .

وسيقصر الحديث هنا على أحد علماء السلف إمام أهل السنة والجماعة أحمد بن حنبل - رحمه الله - لصدقه وثباته على الحقِّ أمام السلطان الجائر عند تعرضه لفتنة القول بخلق القرآن وصبره على السجن والجلد والتعذيب بما لم يتعرض لمثله غيره من الأئمة .

أحمد بن حنبل - رحمه الله - :

نسبه : يقول (ابن حنبل ١٤١٥ هـ) :

هو : أحمد بن محمد بن حنبل بن أسد بن إدريس . ولد ببغداد سنة ١٦٤ هـ ، وبها نشأ وترعرع . ص ٢٩ .

طلبه العلم :

قال (الذهبي ، ١٤١٠ هـ) :

طلب العلم وهو ابن خمس عشرة سنة ، حضر أوّل طلبه العلم مجلس أبي يوسف صاحب الإمام أبي حنيفة ، ثُمَّ انتقل إلى طلب الحديث وما زال يجد في

طلبه ويلقى الشيوخ ويكتب عنهم حتى بلغ الذروة في حفظ السنة والإحاطة بها ، وحتى أصبح إمام السنة في عصره غير منازع . أخذ عن الشافعيّ الفقه أولاً ، ثم أخذ عنه الشافعيّ الحديث ، وكان من تلاميذه البخاريّ ومسلم . وكان من الورع والزهد والأمانة ، والصدق والتشدد في الحق على جانب عظيم .

تعرض لمحنة القول بخلق القرآن ، وصبر عليها منذ عهد المأمون حتى عهد المتوكل ، وكان لموقفه العظيم أثر خالد في تثبيت قلوب الناس على الحق . وقد زاد ثباته على المحنة - في نظر المسلمين - مكانته في قلوبهم واعترافهم بإمامته ، وشهادات العلماء في حقه كثيرة متوافرة ، توفي - رحمه الله - سنة ٢٤١ هـ . جـ ١٠ ، ص ١٨٠ ، ١٨١ .

صدق الإمام أحمد يتجلى عند تعرضه لبدعة القول بخلق القرآن :

يقول (الذهبي ، ١٤١٠ هـ) :

كان الخليفة العباسي المأمون قد استحوذ عليه جماعة من المعتزلة فأزاغوه عن طريق الحق إلى الباطل ، وزينوا له القول بخلق القرآن الكريم ونفي الصفات عن الله ﷻ . فأمر الناس بالقول بخلق القرآن فامتنع أئمة الحديث فتهددهم بالضرب وقطع الأرزاق ، فأجاب أكثرهم مكرهين واستمر على الامتناع من ذلك الإمام أحمد ومحمد بن نوح ، فحملا على بغير واحد وهما مقيدان . وقد مات محمد بن نوح وهما في الطريق . ولما كان أحمد بن حنبل ببلاد الرحبة جاء رجل من الأعراب من عبّادهم يقال له جابر بن عامر ، فسلم على الإمام أحمد وقال له : يا هذا إنك وافد على الناس فلا تكن شؤماً عليهم ، إنك رأس الناس اليوم فإياك أن تجيئهم إلى ما يدعونك إليه فيجيئوا فتحمل أوزارهم يوم القيامة ،

وإن كنت تحبّ الله فاصبر على ما أنت فيه فإنّه ما بينك وبين الجنة إلا أن تموت ، وإنك إن لم تقتل تمت ، وإن عشت عشت حميداً . قال أحمد : وكان كلامه مما قوى عزمي على ما أنا فيه من الامتناع من ذلك الذي يدعوني إليه ، ثمّ مات المأمون وولي الخلافة بعده المعتصم ، وكان على نهج المأمون ، وضرب الإمام أحمد في عهده مرات حتّى أُغميَ عليه وهو ثابت على الحق أنّ القرآن كلام الله غير مخلوق ، ولم يزل كذلك في مدّة خلافته ، وكذلك في أيام ابنه الواثق ، فلمّا ولي المتوكل الخلافة استبشر الناس بولايته ، فإنّه كان محبّاً للسنة وأهلها ، وقد دفع المحنة عن الناس ، وكتب إلى الآفاق أن لا يتكلّم أحد في القول بخلق القرآن . ثمّ استدعى المتوكل الإمام أحمد وعظّمه ورفع المحنة عنه . جـ ١١ ، ص ٢٣٢ ، ٢٣٣ ، ٢٣٤ .

ويظهر من خلال تعرّض الإمام أحمد بن حنبل - رحمه الله - لفتنة القول بخلق القرآن وصبره على الابتلاء وثباته على الحق أنّ ذلك دليل صدق إيمانه بالله تعالى وبكتابه وبصفاته .

صدق الإمام أحمد من خلال ثناء الأئمة عليه :

ذكر (ابن كثير ، ١٤٠٨ هـ) الشيء الكثير من ثناء العلماء على الإمام أحمد - رحمه الله - ، ومن ذلك :

قول المزمي : أحمد بن حنبل يوم المحنة ، وأبو بكر يوم الردة .

قول الشافعيّ : خرجت من العراق فما تركت رجلاً أفضل ولا أعلم ولا أروع ولا أصدق ولا أتقى من أحمد بن حنبل .

قول قتيبة : مات سفيان الثوري ومات الورع ، ومات الشافعيّ ومات السنن ، ويموت أحمد بن حنبل وتظهر البدع ، ولقد قام في الأمة مقام النبوة .

قول يحيى بن معين : كان في أحمد بن حنبل خصال ما رأيتها في عالم قط :
كان محدثاً ، وكان عالماً ، وكان ورعاً ، وكان زاهداً ، وكان صادقاً ،
وكان عاقلاً . ج ١٠ ، ص ٣٣٥ .

ومما سبق يتضح فضل الإمام أحمد - رحمه الله - في ثباته على الحق أمام الفتنة
العظيمة في القول بخلق القرآن من قبل المعتزلة وأعوانهم من خلفاء بني العباس ،
كما يتجلى صدقه أمام السلطان الجائر والوقوف كالجبل الشامخ في إثبات أن
القرآن كلام الله تعالى المنزل على رسوله محمد ﷺ ، وتحمله في سبيل ذلك
الجلد والتعذيب .

الصدق عند المربين المسلمين :

من نعم الله على عباده أن جعل العلماء ورثة الأنبياء ، يعلمون الناس الخير ،
وينيرون لهم طريق الحق وسبل الرشاد ، ويقتدون برسول الله ﷺ في تربية الأمة
على الإيمان بالله والإخلاص له ، والصدق معه ، والجهد في سبيله ، لتسعد الأمة
بتطبيق شريعة الإسلام في شتى جوانب الحياة .

وسيتناول الباحث ثلاثة من رجال العلم والتربية من السلف الصالح ، لنرى
صوراً من صدق إيمانهم وفيضاً مما كتبوه عن الصدق وأهله مما حوته كتبهم في
المكتبة الإسلامية ، ولقد أصبح أولئك الثلاثة من مشاهير العلماء في التربية
والإصلاح في العالم الإسلامي قديماً وحديثاً .

وفيما يلي نبذة عن حياة كلٍّ منهم ، وبعض ما كتبوه عن الصدق في
كتاباتهم ومؤلفاتهم :

١- الغزالي :

نسبه : يقول (ابن كثير ، ١٤٠٨ هـ) :

هو : أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الطوسي ، ولد بطوس من إقليم خراسان سنة ٤٥٠ هـ . ج ١٢ ، ص ١٧٣ .

طلبه العلم :

يقول (الذهبي ، ١٤١٠ هـ) :

تفقه ببلده أولاً ، ثم تحوّل إلى نيسابور في مرافقة جماعة من الطلبة ، فلامز إمام الحرمين الجويني ، وجدّ واجتهد حتّى برع في المذهب الشافعيّ ، والخلاف والجدل ، وأصول الفقه ، وقرأ الحكمة والفلسفة وأحكم ذلك ، وفهم كلام أرباب هذه العلوم وتصدّى للردّ عليهم وإبطال دعاويهم . ثمّ سار أبو حامد إلى المخيم السلطاني فأقبل عليه نظام الملك الوزير وسرّ بوجوده فولّاه تدريس نظامية بغداد وسنّه أربع وثلاثون . ج ١٩ ، ص ٣٢٣ .

وقد ذكر (ابن كثير ، ١٤٠٨ هـ) :

أنّه تولى التدريس بنظامية بغداد وحضر عنده رؤوس العلماء ، وكان طالباً الجاه والشهرة ، ثمّ إنّه خرج عن الدنيا بالكلية وأقبل على العبادة وأعمال الآخرة ، ثمّ رحل إلى الشام فأقام بها بدمشق وبيت المقدس مدّة ، وصنّف في هذه المدّة كتابه « إحياء علوم الدين » ثمّ ألزمه بعض الوزراء بالخروج إلى نيسابور فدرس بنظاميتها ، ثمّ عاد إلى بلده طوس وأقام بها وأقبل على تلاوة القرآن وحفظ الأحاديث الصحاح إلى أن توفي رحمه الله سنة خمس وخمسمائة للهجرة . ج ١٢ ، ص ١٧٤ .

ومن مؤلفات الغزالي :

- ١ - إحياء علوم الدين : وهو كتاب جامع في الكلام والفقه والأخلاق .
- ٢ - رسالة كتبها إلى أحد تلاميذه إجابة لبعض مسائل توجه بها إليه .
- ٣ - تهافت الفلاسفة : وهو الكتاب الذي دحض به الفلسفة .
- ٤ - المنقذ من الضلال : وصف فيه الغزالي حياته الفكرية في تطورها من الدراسة المستفيضة إلى الشك والحيرة ، ثمّ اليقين وطمأنينة النفس .

بعض ما ذكر من ثناء العلماء عليه :

يقول (ابن كثير ، ١٤٠٨ هـ) :

برع في علوم كثيرة ، وله مصنّفات في فنون منتشرة ، فكان من أذكى العالم في كل ما يتكلّم فيه . ج ١٢ ، ص ١٧٣ .

ويقول (الذهبي ، ١٤١٠ هـ) :

الشيخ الإمام البحر ، حجة الإسلام ، أعجوبة الزمان ، زين الدين أبو حامد صاحب التصانيف والذكاء المفرط . ج ١٩ ، ص ٣٢٢ .

والحديث عنه - رحمه الله - بعد التعريف به سيقصر على بعض ما يخص منزلة الصدق في كتابه الشهير « إحياء علوم الدين » .

يقول - رحمه الله - :

ويكفي في فضيلة الصدق أنّ الصديق مشتقّ منه ، والله تعالى وصف الأنبياء في معرض المدح والثناء فقال تعالى : ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴾ [سورة مريم ، الآية ٤١] .

وقال تعالى : ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴾ [سورة مريم ، الآية ٥٤] .

وقال تعالى : ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴾ [سورة مريم ، الآية ٥٦] .

وقد نقل أقوال بعض الصَّحابة والسلف عن الصدق في العبارات التالية :

قول (ابن عباس) : أربع من كنّ فيه فقد ربح : الصدق ، والحياء ، وحسن الخلق ، والشكر .

قول (أبي سليمان) : اجعل الصدق مطيّتك ، والحق سيفك ، والله تعالى غاية طلبتك .

قول (محمد بن عليّ الكتاني) : وجدنا دين الله تعالى مبنياً على ثلاثة أركان : على الحق ، والصدق ، والعدل ، فالحقّ على الجوارح ، والعدل على القلوب ، والصدق على العقول .

وقول (بعضهم) : أجمع الفقهاء والعلماء على ثلاث خصال أنّها إذا صحّت ففيها النجاة - ولا يتم بعضها إلاّ ببعض - الإسلام الخالص عن البدعة والهوى ، والصدق لله تعالى في الأعمال ، وطيب المطعم .

وقول (أبي بكر الوراق) : احفظ الصدق فيما بينك وبين الله تعالى والرفق فيما بينك وبين الخلق .

وقد ذكر الغزالي - رحمه الله - أنّ الصدق يستعمل في ستة معانٍ :

صدق في القول ، وصدق في النية والإرادة ، وصدق في العزم ، وصدق في

الوفاء ، وصدق في العمل ، وصدق في مقامات الدين ، وأن من اتّصف بالصدق في جميع ذلك فهو صدّيق . ج٤ ، ص ٥٩١ ، ٥٩٢ .

صدقه - رحمه الله - في إقباله على الآخرة وتركه للجاه والشهرة :

وعندما تولى الغزالي التدريس بنظامية بغداد ، وحضر عنده رؤوس العلماء وكان طالباً الجاه والشهرة ، ثُمَّ إِنَّهُ خرج عن الدنيا وأقبل على العبادة وأعمال الآخرة .

إِنَّ ترك الغزالي لما كان فيه من الجاه والشهرة والإشارة إليه بالبنان يدل على صدق إيمانه وإخلاصه لله طلباً لمرضاة ربّه وهرباً من زينة الدنيا .

وذكر (ابن كثير ، ١٤٠٨ هـ) :

أَنَّ أحد أصحاب الغزالي سأله وهو في السياق (في الاحتضار) عند الموت ، فقال : أوصني ، فقال : عليك بالإخلاص ، فما زال يكررها حتّى مات رحمه الله . ج١٢ ، ص ١٧٤ .

وهذا الأمر مما يدل على تعلّقه بالله وعودته الصادقة إلى ربّه ، وقطع الصلة بما سوى الله تعالى .

ابن تيمية :

يقول (ابن حجر) في الدرر الكامنة :

ولد تقي الدين أحمد بن عبدالحليم بن تَيْمِيَّة في مدينة حرّان سنة ٦٦١ هـ ، وينحدر من عائلة اشتهر فيها عالمان هما : عمّه فخر الدين ، وجدّه لوالده مجد الدين . ج١ ، ص ١٤٤ .

وعلى هذا فقد تربي ابن تَيْمِيَّة - رحمه الله - في بيت علم ودين ، وأثمرت تلك التربية عالماً قلَّ أن نجد له نظيراً في عالمنا الإسلامي قديماً وحديثاً .

صور من صدقه - رحمه الله - :

ويعرض البحث الحديث عن صدق ابن تَيْمِيَّة - رحمه الله - على المحورين التاليين :

أ (الصدق في أقواله . ب (الصدق في أفعاله .

أولاً : الصدق في أقواله :

ويظهر ذلك من خلال كتاباته في الفتاوى وغيرها .

يقول في (الفتاوى) - رحمه الله - :

الصدق أساس الحسنات وجماعها ، والكذب أساس السيئات ونظامها ،
ويظهر ذلك من الوجوه التالية :

١ - أنَّ الإنسان حيّ ناطق ، فالوصف المقوم له الفاصل له عن غيره من الدواب هو المنطق ، والمنطق قسمان : خير وإنشاء ، والخير صحته الصدق ، وفساده بالكذب . ولهذا قيل : لا مروءة لكذوب .

٢ - أنَّ الصفة المميزة بين النبي ﷺ والمتبئى هو الصدق والكذب ، فإنَّ محمداً ﷺ رسول الله الصادق الأمين ، ومسيلمة هو الكذاب .

٣ - الصفة الفارقة بين المؤمن والمنافق هو الصدق ، فإنَّ أساس النفاق الذي بني عليه الكذب ، وعلى كلِّ خلق يطبع المؤمن ليس الخيانة والكذب .

٤ - أنَّ الصدق أصل البر ، والكذب أصل الفجور .

٥ - أنَّ الصادق تنزل عليه الملائكة ، والكاذب تنزل عليه الشياطين .

٦ - أَنَّ الفارق بين الصديقين والشهداء والصالحين وبين المتشبه بهم من المرائين والمسمعين هو الصدق والكذب .

٧ - أَنَّ الصدق مقرون بالإخلاص الذي هو أصل الدين في الكتاب والسنة .

٨ - أَنَّ الصدق ركن الشهادة الخاصة عند الحكام التي هي قوام الحكم والقضاء ، والشهادة العامة في جميع الأمور ، وركن الإقرار الذي هو شهادة المرء على نفسه ، وركن الأحاديث والأخبار التي بها يقوم الإسلام ، وركن النبوة والرسالة . جـ ٢٠ ، ص ٧٤ - ٧٦ .

ومن كلام شيخ الإسلام ابن تيمية المتقدم يمكن أن يستنتج عدة أمور :

١ - أَنَّ الصدق والإخلاص قرينان في الإيمان ، فلا بُدَّ من الاتصاف بهما لكل من يؤمن بالله ربًّا وبالإسلام دينًا وبمحمد ﷺ نبيًّا ورسولاً .

٢ - إِنَّ من أهم شروط النبوة والرسالة الصدق ، فَإِنَّ كلَّ أنبياء الله ورسله عليهم صلوات الله وسلامه صادقون فيما جاءوا به من عند الله .

٣ - أَنَّ الصدق صفة الأبرار الأتقياء ، وأن الكذب صفة الفجار الأشقياء .

٤ - أَنَّ علماء المسلمين - رحمهم الله - قد بينوا مكانة الصدق في العبادات والمعاملات منذ فجر الإسلام ، وكان لهم شرعة ومنهاجًا ، وقد رغبوا الناس في التزامه قولاً وعملاً .

٥ - إِنَّ الخلل الذي يظهر في معاملات بعض المسلمين اليوم ، وبعدهم عن الاتصاف بالصدق لا يطعن في مبادئ الإسلام الخالدة وعلمائه المخلصين ، وإنما يرجع إلى ضعف أولئك الذي أخلّوا بالصدق ولم يجعلوه واقعًا عمليًا لهم وسلوكًا يتعاملون به مع الغير .

ثانياً : الصديق في أفعاله :

ويتمثل في محاربته الانحرافات في الدولة الإسلامية في عهد المماليك ،
ومشاركته في مقاومة أخطار المغول :

١ - لقد كان هدف ابن تيمية - رحمه الله - محاربة الانحرافات في الدولة الإسلامية في عهد المماليك حتى تصبح الدولة قوية بإيمانها وأخلاقها ، فلا تنخرها الأمراض من داخلها ، وتصمد أمام الخطر الخارجي من التتارى والمغول وغيرهم .
يقول (الكيلاني ، ١٤٠٧ هـ) :

حمل ابن تيمية على كاهله محاربة الانحرافات في الدولة الإسلامية ، ودعا إلى الإصلاح السياسى من خلال كتابيه « السياسة الشرعية » ، و « الحسبة في الإسلام » ، وخلاصة هذا الجانب أنه لا يكفي أن تكون الدولة الإسلامية والإدارة فيها قوية فحسب ؛ وإنما يجب أن تكون منسجمة أيضاً مع الأصول الواردة في القرآن والسنة ، وكما طبّقها السلف الصالح . فالدين والدولة لا يمكن الفصل بينهما ، وبدون قوة الدولة يتعرض الدين للخطر ، وبدون دعائم الشريعة تنقلب الدولة إلى مؤسسة ظالمة . ص ٦٧ ، ٦٨ .

٢ - أما ما يخص مشاركة ابن تيمية في مقاومة الأخطار الخارجية ، فيقول (ابن كثير ، ١٤٠٨ هـ) بتصرف :

في سنة ٧٠٠ هـ اشتد الخطر على الشام من المغول فأصبح الناس بين هارب أو لا يجد بداً من الاستسلام فيخرج ابن تيمية إلى نائب الشام وجنوده يثبتهم ويقوي جأشهم ويعدّهم النصر إن صبروا وأعدوا العدة للقاء الأعداء ، وبات عند العسكر . ج ٣ ، ص ١٥ .

ومن هنا يتبين أنَّ صدق ابن تيمية في إيمانه وإخلاصه لله جعله يدعو إلى أن تكون الدولة قوية في عدتها وفي تمسكها بشريعة الإسلام حتى لا تتعرض لعوامل الهلاك من داخلها ، وإلى دعوته ومشاركته في بعث روح الجهاد في نفوس المسلمين لمقاومة أخطار الغزو العسكري الخارجي .

ابن قيم الجوزية :

نسبه : يقول (ابن حجر) :

هو : محمد بن أبي بكر بن أيوب الدمشقي الحنبلي ، ولد سنة ٦٩١ هـ .
ج ٣ ، ص ٤٠٠ .

يعتبر ابن قيم الجوزية من تلاميذ شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمهما الله - فقد سمع الحديث واشتغل بالعلم ، وبرع في علوم متعددة ، وقد لازم شيخه ابن تيمية فترة طويلة ، فأخذ عنه علماً جماً . ومن مؤلفاته : أعلام الموقعين ، وبدائع الفوائد ، الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي ، وزاد المعاد في هدي خير العباد ، ومدارج السالكين ، وغيرها كثير .

ويعتبر - رحمه الله - أحد الأعلام الذين قاموا بنشر السنة والذود عنها والوقوف في وجوه الفرق الضالة والمخالفة .

والحديث عن هذا الإمام العظيم يقتصر على ما يخص البحث عن منزلة الصديق في كتابه المعروف بـ « مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين » .

يقول - رحمه الله - :

« ومن منازل إياك نعبد وإياك نستعين منزلة الصدق ، وهي منزلة القوم الأعظم ، الذي منه تنشأ جميع منازل السالكين ، والطريق الأقوم الذي من لم يسر عليه فهو من المنقطعين الهالكين ، وبه تميز أهل النفاق من أهل الإيمان ، وسكان الجنان من أهل النيران ، وهو سيف الله في أرضه الذي ما وضع على شيء إلا قطعه ، ولا واجه باطلاً إلا أرداه وصرعه .

من صال به لم ترد صولته ، ومن نطق به علت على الخصوم كلمته ، فهو روح الأعمال ومحك الأحوال ، والحامل على اقتحام الأهوال ، والباب الذي دخل منه الواصلون إلى حضرة ذي الجلال ، وهو أساس بناء الدين وعمود فسطاط اليقين ، ودرجته تالية لدرجة النبوة التي هي أرفع درجات العالمين . ومن مساكنهم تجري الأنهار والعيون إلى مساكن الصديقين كما كان في قلوبهم إلى قلوبهم مدد ومعين ... » . ج ٢ ، ص ٢٧٩ .

وقد جاء في كتابه آنف الذكر معارف ولطائف عظيمة ، ومن أهمها :

١ - لقد أمر الله أهل الإيمان أن يكونوا مع الصادقين ، وخص المنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين . قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ [سورة التوبة ، الآية ١١٩] .

وقال تعالى : ﴿ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴾ [سورة النساء ، الآية ٦٩] .

٢ - ثم أخبر تعالى أنه من صدقه فهو خير له ، قال تعالى : ﴿ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ ﴾ [سورة محمد ، آية ٢١] .

٣ - وأخبر تعالى عن أهل البر وأثنى عليهم بأحسن أعمالهم من الإيمان والإسلام والصدقة والصبر بأنهم أهل الصدق حقاً . قال تعالى : ﴿ لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُّوا وُجُوهَكُمْ قَبْلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ [سورة البقرة ، الآية ١٧٧] .

وهذا صريح في الصدق في الأعمال الظاهرة والباطنة ، وأن الصدق هو مقام الإسلام والإيمان .

٤ - وقسم الله تبارك وتعالى الناس إلى صادق ومنافق ، فقال تعالى : ﴿ لَيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ﴾ [سورة الأحزاب ، آية ٢٤] .

٥ - وأخبر تعالى أنه لا ينفع العبد يوم القيامة وينجيه من عذاب الله إلا صدقه ، قال تعالى : ﴿ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ ﴾ [سورة المائدة ، آية ١١٩] .
جـ ٢ ، ص ٢٧٩ ، ٢٨٠ .

والصدق عند ابن القيم - رحمه الله - لا يخرج عن كونه صدقاً في الأقوال أو الأعمال أو الأحوال . وقد مثل للصدق في هذه الحالات بالأمثلة التالية :

١ - الصدق في الأقوال : استواء اللسان على الأقوال كاستواء السنبلة على ساقها .

٢ - الصدق في الأفعال : استواء الأفعال على الأمر والمتابعة كاستواء الرأس

على الجسد .

٣ - الصدق في الأحوال : استواء أعمال القلب على الإخلاص ، واستفراغ
الوسع ، وبذل الطاقة . ج ٢ ، ص ٢٨١ .

ويقصد في استواء اللسان على الأقوال كاستواء السنبلة على ساقها : أي التطابق
التام بين أقواله ، فلا يناقض بعضها بعضاً ولا يتضح خلاف ما أخبر به في قوله .

واستواء الأفعال على الأمر والمتابعة كاستواء الرأس على الجسد : فيراد به ألا
يحدث بدعة في شرع الله ، وأن يستقيم في أفعاله على نهج الرسول ﷺ .

وأما استواء أعمال القلب على الإخلاص واستفراغ الوسع وبذل الطاقة :
فيراد به التطابق بين النية والعمل حتى يسلم من النفاق والرياء .

ومما نقله ابن القيم في حقيقة الصدق التعريفات والكلمات التالية :

قال عبدالواحد بن زيد : الصدق : الوفاء لله بالعمل .

وقيل : الصدق موافقة السر النطق .

وقيل : الصدق القول بالحق في مواطن الهلكة .

وقيل : الصدق كلمة الحق عند من تخافه وترجوه .

وقيل : حقيقة الصدق أن تصدق في موطن لا ينجيك منه إلا الكذب .

ج ٢ ، ص ٢٨٩ .

ومما سبق يتبين أن كلام ابن القيم - رحمه الله - يتضمن أموراً يمكن أن

تعرض في النقاط التالية :

١ - أن الصدق منزلة عظيمة لا ينالها ويثبت عليها في أحواله كلها إلا من

كان أهلاً لهذه المنزلة الرفيعة ، ومن ليس كذلك فليس له إليها سبيل .

٢ - أنَّ قيمة الأعمال بما تتصف به من الصدق ، وأن ركوب الخطوب والأهوال لا تتأتى إلا لمن صدق في قوله وفعله وحاله .

٣ - يعتبر الصدق أساس الإسلام وركيزة الإيمان وأصل ينتقض الإيمان بزواله وذهابه .

٤ - أنَّ الله تعالى اصطفى واختار للنبوّة والرسالة صفوة خلقه ، وثنى بعدهم بالصادقين في الدرجة والفضل .

٥ - على المؤمن أن ينتمي إلى حزب المؤمنين الصادقين في كلّ أحواله ، وأن يقطع صلته بالأحزاب الجاهلية والمذاهب الإلحادية التي تبني قوامها على أساس اعتقاد فاسد أو عادة جاهلية قديمة أو حديثه .

٦ - أنَّ طريق الفلاح والنجاة في الدنيا والآخرة هو ملازمة الصدق قولاً وفعلاً واعتقاداً .

وعلى المسلم أن يحسن النية والقصد في الالتزام بالصدق ، وأن يكون قدوته في ذلك رسول الهدى والصادق الأمين محمد بن عبد الله عليه صلوات الله وسلامه .

يقول (ابن القيم ، ١٩٧٣ م) :

« والمعول في ذلك على حسن النية ، وخلوص القصد ، وصدق التوجّه في الاستمداد من المعلّم الأوّل ﷺ » . ج ٤ ، ص ٢٥٨ .

الكذب وخطورته :

تمهيد :

إذا كان الصدق من أعظم منازل الإيمان وفضائل الخصال ، فإنَّ الكذب يعتبر من الأخلاق المذمومة والخصال القبيحة ، وأنَّه يتنافى مع طبيعة المؤمن وأساس تكوينه .

إنَّ مواضع الزلل والتقصير عند الإنسان لا تكاد تنحصر في جانب دون الجوانب الأخرى ، ولكن من أخطر وأسوأ ما يقع فيه الناس الكذب ، فهو صفة مذمومة تسقط فيها المروءة وتظهر فيها الخيانة . وعندما يقلب المرء الأمور ويغيّر الواقع ، ويزوّر الحقائق تصير العيوب محاسن ، والمحاسن عيوباً ، ويجعل الحسن قبيحاً ، والقبيح حسناً ، وينسب إلى الناس خلاف ما قالوا أو فعلوا .

يقول (ابن القيم ، ١٤٠٧ هـ) :

« إياك والكذب فإنه يفسد عليك تصور المعلومات على ما هي عليه ، ويفسد عليك تصويرها وتعليمها للناس ، فإنَّ الكذب يصوّر المعدوم موجوداً ، والموجود معدوماً ، والحقّ باطلاً ، والباطل حقاً ، والخير شراً ، والشرّ خيراً ، فيفسد عليه تصوّره وعلمه ، عقوبة له ، ثمَّ يصوّر ذلك في نفس المخاطب المغترّ به الراكن إليه فيفسد عليه تصوّره وعلمه » . ص ٢٤٤ .

والَّذي يظهر أنَّ الكذب عندما يشيع وينتشر يكون ناتجاً عن تراكم مجموعة من الأخلاق المذمومة كقلة الدين والحقّد والحسد وغيرها . كما أنَّ الصدق ناتج عن عفة النفس ، ونبل المقصد وإرادة الحق .

ويتحدث الباحث فيما يلي عن معنى الكذب ، وبعض النصوص الواردة في التحذير منه ، ودواعيه ، والحالات التي يجوز فيها الكذب .

الكذب في اللغة :

يقول (مصطفى وآخرون) :

الكذب : مصدر كذب ، وكذب : أخبر عن الشيء بخلاف ما هو عليه في الواقع .
وكذب عليه : أخبر عنه ما لم يكن فيه ، والكذب : خلاف الصدق .
وكذب بالأمر : أنكره . ج ٢ ، ص ٧٨٦ .

الكذب في الاصطلاح :

يقول (الماوردي ، ١٤١٥ هـ) :

الكذب : الإخبار عن الشيء بخلاف ما هو عليه . ص ١٩٢ .
ويقول (النووي ، ١٤١٨ هـ) : واعلم أنَّ مذهب أهل السنة والجماعة أنَّ الكذب هو الإخبار عن الشيء بخلاف ما هو عليه ، سواء تعمّدت ذلك أم جهلته . ص ٤١٣ .

والحال أنَّ الكذب في معاجم اللغة وفي الاصطلاح بمعنى متقارب ، وهو الإخبار بخلاف الواقع والحقيقة ، أو هو قلب لميزان الحقيقة وتضييع لمعالمها .

نماذج من الآيات الكريمة التي جاء النهي فيها عن الكذب ، والوعيد عليه :

في القرآن الكريم لا يكاد يذكر الصدق ويمدح الصادقون إلا ويتبع ذلك التحذير من الكذب والوعيد عليه لكونه أصل في الكفر والنفاق .

فالإنسان في أساس فطرته وتكوينه مفطور على الخير وحب الحق ، فلا يكون

خائناً ولا كذاباً ، وإنما يتّصف بهذه الصفات المذمومة عن طريق الاكتساب من البيئة من حوله ومن تأثير الشهوات والأهواء وغيرها .

يقول (ابن القيم ، ١٤٠٢ هـ) :

« إِنَّ اللَّهَ فَطَرَ الْقُلُوبَ عَلَى قَبُولِ الْحَقِّ وَالانْقِيَادِ لَهُ ، وَالطَّمَأْنِينَةِ بِهِ ، وَالسَّكُونِ إِلَيْهِ ، وَلَوْ بَقِيَتِ الْفِطْرَةُ عَلَى حَالِهَا لَمَا آثَرَتْ عَلَى الْحَقِّ سِوَاهُ ، وَلَمَا سَكَنَتْ إِلَّا إِلَيْهِ ، وَلَا اطمأنت إِلَّا بِهِ ، وَلَا أَحَبَّتْ غَيْرَهُ » . ج ٣ ، ص ٤٧١ .

ومن الآيات الكريمة التي حذرت من الكذب وتوعّدت عليه :

قول الله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴾ [سورة الأنعام ، الآية ٢١] .

يقول (ابن كثير ، ١٤٠١ هـ) :

« أَيُّ لَا أَظْلَمُ مِمَّنْ يَقُولُ عَلَى اللَّهِ فَادْعَى أَنَّ اللَّهَ أَرْسَلَهُ وَلَمْ يَكُنْ أَرْسَلَهُ ، ثُمَّ لَا أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ وَحُجَّجَهُ وَبِرَاهِينِهِ وَدَلَالَاتِهِ فَلَا يُفْلِحُ الْمَفْتَرِي وَلَا الْمَكْذِبُ » . ج ٢ ، ص ١٢٧ .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴾ [سورة النحل ، الآية ١١٦] .

ويقول (ابن كثير ، ١٤٠١ هـ) أيضاً :

« ويدخل في هذا كلّ من ابتدع بدعة ليس له فيها مستند شرعي ، أو حلّل شيئاً مما حرّم الله ، أو حرّم شيئاً مما أباح الله بمجرد رأيه وتشهيه ، أي لا

تقولوا هذا لوصف ألسنتكم فعاقبته متاع قليل في الدنيا وفي الآخرة لهم عذاب أليم . جـ ٢ ، ص ٥٩١ .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴾ [سورة العنكبوت ، الآية ٣] .

وقوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [سورة الأعراف ، الآية ٣٣] .

وفي الآية الكريمة : من جملة ما حرّم الله سبحانه القول على الله بغير علم ، وهو الكذب عليه تعالى ، وهو من أعظم وأخطر الأمور .

وقوله تعالى : ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴾ [سورة الأنعام ، الآية ١١] .

يقول (ابن كثير ، ١٤٠١ هـ) :

أي فكروا في أنفسكم وانظروا ما أحلّ الله بالقرون الماضية الذين كذبوا رسله وعاندوه من العذاب والنكال والعقوبة في الدنيا مع ما ادّخر لهم من العذاب الأليم في الآخرة ، وكيف نجّى رسله وعباده المؤمنين . جـ ٢ ، ص ١٢٥ .

والآيات في النهي عن الكذب والتحذير منه كثيرة مشهورة .

والخلاصة : أنَّ الكذب والتكذيب في الآيات الكريمة يراد به القول على الله بغير علم ، وادعاء الولد والشريك له سبحانه ، أو ابتداع ما ليس له مستند شرعي ، أو التحليل والتحريم من دون الله ﷻ .

ويتبين أنَّ الكذب قرين الكفر والنفاق ، ولهذا جاءت الآيات الكريمة بذكره كثيراً للتحذير من خطره ، ولكونه أداة هدم للحقوق والقيم ، وطريق الوصول إلى كلِّ شرٍّ وفساد .

نماذج من الأحاديث الشريفة التي حذرت من الكذب ، وتوعدت عليه :

لقد حفلت سنة النبي ﷺ بأحاديث كثيرة تحثُّ على الصدق والتخلُّق به وملازمته في جميع الأحوال ، ويقابل تلك الأحاديث أحاديث كثيرة في النهي عن الكذب والتحذير منه أشدَّ الحذر ، وبيان عاقبة الكذب والمكذِّبين . ومن تلك الأحاديث النبوية الشريفة : -

١ - حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « عَلَيْكُمْ بِالصُّدْقِ فَإِنَّ الصُّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصُّدْقَ حَتَّى يَكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صَدِيقًا ، وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يَكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَابًا » (رواه مسلم ، رقم ٢٦٠٧ ، ك البر والصلة ، باب قبح الكذب وحسن الصدق وفضله ، ج٤ ، ص ١٥٩٨) .

وفي الحديث الشريف بيان لفضل الصدق وعاقبته الحميدة ، وذمَّ الكذب وعاقبته الوخيمة .

يقول (ابن حجر) في الفتح في معنى الشطر الثاني من الحديث :

« لا يزال العبد يكذب ويتحرى الكذب فينكت في قلبه نكتة سوداء حتى يسود قلبه فيكتب عند الله من الكاذبين » . ج١٠ ، ص ٥٠٨ .

٢ - حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « آيَةُ الْمُنَافِقِ

ثَلَاثٌ : إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ ، وَإِذَا أُؤْتِمِنَ خَانَ » (رواه البخاري ، رقمه ٦٠٩ ، ك الأدب ، باب قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ ، ج ٧ ، ص ١٢٤) .

وفي هذا الحديث الشريف يكون الكذب أول صفات المنافقين لكونهم يظهرُونَ ما لا يَظُنُّونَ ، ويخفون الحقائق ، ويغيرون معالمها ، ويكون الكذب دأبهم وعادتهم .

٣ - حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « كَفَى بِالْمَرْءِ كَذِبًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ » (رواه مسلم ، رقمه ، المقدمة ، باب النهي عن الحديث بكل ما سمع ، ج ١ ، ص ٢٤) .

يقول (النووي) في شرح صحيح مسلم :

ومعنى الحديث أَنَّ فيه الزجر عن التحديث بكل ما سمع الإنسان ، فَإِنَّهُ يسمع في العادة الصدق والكذب ، فإذا حَدَّثَ بكل ما سمع فقد كذب لإخباره بما لم يكن . ج ١ ، ص ٧٣ .

٤ - حديث عائشة - رضي الله عنها - قالت : « مَا كَانَ خُلُقُ أَنْبَاضَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْكَذِبِ ، وَلَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ يُحَدِّثُ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ بِالْكَذِبَةِ فَمَا يَزَالُ فِي نَفْسِهِ حَتَّى يَعْلَمَ أَنَّهُ قَدْ أَحْدَثَ مِنْهَا تَوْبَةً » (رواه الترمذي ، رقم ١٩٧٣ ، ك البر والصلة ، ج ٤ ، ص ٣٠٧) .

٥ - حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه ، قال : « كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا صَلَّى صَلَاةً أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ فَقَالَ : مَنْ رَأَى مِنْكُمْ اللَّيْلَةَ رُؤْيَا ؟ قَالَ : فَإِنْ رَأَى أَحَدٌ قَصَّهَا ، فَيَقُولُ مَا شَاءَ اللَّهُ . فَسَأَلْنَا : يَوْمًا فَقَالَ : هَلْ رَأَى أَحَدٌ مِنْكُمْ رُؤْيَا ؟ قُلْنَا : لَا . قَالَ : لَكِنِّي رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ رَجُلَيْنِ أَتَيَانِي ، فَأَخَذَا بِيَدِي فَأَخْرَجَانِي إِلَى

الأرض المقدسة ، فإذا رَجُلٌ جَالِسٌ وَرَجُلٌ قَائِمٌ بِيَدِهِ كَلُوبٌ مِنْ حَدِيدٍ . - قَالَ بَعْضُ أَصْحَابِنَا عَنْ مُوسَى : إِنَّهُ يُدْخِلُ ذَلِكَ الْكَلُوبَ فِي شِدْقِهِ - حَتَّى يَبْلُغَ قَفَاهُ ، ثُمَّ يَفْعَلُ بِشِدْقِهِ الْآخَرَ مِثْلَ ذَلِكَ ، وَيَلْتَمِسُ شِدْقَهُ هَذَا ، فَيَعُودُ فَيَصْنَعُ مِثْلَهُ . قُلْتُ : مَا هَذَا ؟ قَالَا : انْطَلِقْ ... إِلَى أَنْ قَالَ ﷺ لهما : لَقَدْ طَوَّقْتُمَانِي اللَّيْلَةَ فَأَخْبِرَانِي عَمَّا رَأَيْتُمْ . قَالَا : نَعَمْ ، أَمَّا الَّذِي رَأَيْتَهُ يُشَقُّ شِدْقَهُ فَكَذَّابٌ يُحَدِّثُ بِالْكَذِبَةِ فَتَحْمَلُ عَنْهُ حَتَّى تَبْلُغَ الْآفَاقَ ، فَيَصْنَعُ بِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ... »

(رواه البخاري ، رقم ١٣٨٦ ، ك الجنائز ، باب من رأى منكم الليلة رؤيا ، ج ٢ ، ص ١٢٧) .

وهذا الحديث العظيم فيه التحذير الشديد من اختلاق الصور الكاذبة وخاصة ما يتسم منها بالذئوع والانتشار ، والوعيد الشديد لمن لم يحفظ لسانه من الكذب وترويجه .

٦ - حديث أبي هريرة ؓ قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ » (رواه مسلم ، رقم ٣ ، المقدمة ، باب تغليظ الكذب على رسول الله ﷺ ، ج ١ ، ص ٢٤) .

وإذا كان الكذب على آحاد الناس مقطوعاً بجرمته فكيف بمن قوله شرع ، وكلامه وحي . ولذلك يعتبر الكذب على الرسول ﷺ من أعظم الكبائر ومن أعظم الطرق التي تؤدي بصاحبها إلى النار .

ومن الأحاديث الشريفة المتقدمة يتبين خطر الكذب ، وأنه جماع كل شر ، وأصل كل ذم لسوء عاقبته . فحري بالمسلم أن يترفع عن الكذب وأن يلتزم بالصدق في جميع أحواله وشؤونه .

دواعي الكذب:

إِنَّ الدَّوَاعِيَ الَّتِي تَسُوقُ الْمَرْءَ إِلَى الْعَمَلِ وَتَدْعُوهُ إِلَى إِجَادَتِهِ وَتَغْرِيه بِتَحْمَلِ التَّعَبِ فِيهِ أَوْ بِذَلِّ الْكَثِيرِ مِنْ أَجَلِهِ كَثِيرَةٌ مُتَبَايِنَةٌ ، وَقَدْ ذَكَرَ (الماوردي ، ١٤١٥ هـ) - رحمه الله - دواعي الكذب وبواعثه فيما يلي :

١ - اجتلاب النفع واستدفاع الضرر ، فيرى أَنَّ الكذب أسلم وأغنى ، فيرخص لنفسه فيه ، وربما كان الكذب أبعد لما يؤمل وأقرب لما يخاف .

٢ - الطمع في الحديث المستعذب والكلام المستظرف .

٣ - قصد التشفي من العدو وإرواء الغليل منه .

٤ - ترادف دواعي الكذب على الكاذب حتى ألفها ، فصار الكذب له عادة . ص ١٩٣ ، ١٩٤ .

وهذه الدواعي الَّتِي ذَكَرَهَا الماوردي - رحمه الله - يمكن للمسلم أن يتجنبها إذا وضع نصب عينيه عواقب الكذب العاجلة والآجلة ، وعلم أَنَّهُ لم يجتلب بالكذب ما لم يكتب له ، ولن يصرف بالصدق ما كتب له وَقُدِّرَ .

الحالات التي يجوز فيها الكذب:

الأصل في الكذب التحريم القاطع بنصوص الكتاب والسنة ، ولكن توجد حالات يجوز فيها الكذب تحقيقاً لمصلحة هي أعظم مما في الكذب من مضرة ، أو دفعاً لضرر هو أشدّ مما في الكذب من ضرر .

عن أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لَيْسَ الْكَذَّابُ الَّذِي يُصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ وَيَقُولُ خَيْرًا وَيَنْمِي خَيْرًا . قَالَ ابْنُ

شَهَابٍ : وَلَمْ أَسْمَعْ يُرَخِّصُ فِي شَيْءٍ مِمَّا يَقُولُ النَّاسُ كَذِبٌ إِلَّا فِي ثَلَاثٍ :
الْحَرْبُ ، وَالْإِصْلَاحُ بَيْنَ النَّاسِ ، وَحَدِيثُ الرَّجُلِ امْرَأَتَهُ وَحَدِيثُ الْمَرْأَةِ زَوْجَهَا «

(رواه مسلم ، رقم ٢٦٠٥ ، ك البر والصلة والآداب ، باب تحريم الكذب وبيان للمباح منه ، ج٤ ، ص ١٥٩٦) .

وبهذا تكون الحالات التي يجوز فيها الكذب ثلاث :

١ - الكذب على العدو في حالة حربه للمسلمين لتضليله لكي لا يصل إلى معلومات تضعف جانب قوّة المسلمين وقدرتهم في العدد والعدّة ، وحتى لا يعطي العدو فرصة معرفة ما يمكنه من النكاية بالمسلمين وكيدهم ، بل يكتم عنه الحقيقة ويعطيه تورية تضلله وتمكّن المسلمين منه .

٢ - الإصلاح بين فريقين متخاصمين : إذا لم يجد المسلم وسيلة للإصلاح بينهما أنجع من أن يركب مركب الكذب على مقدار الضرورة فهذا جائز لإصلاح ذات البين .

٣ - حديث الرجل امرأته وحديث المرأة زوجها : وهذا في الأمور التي تشد أواصر الوفاق والمودة بينهما لتوثيق روابط الأسرة واستقرارها ، وهذا في حالة الضرورة والحاجة .

وأما خلاف هذه الحالات الثلاث السابق ذكرها فليس للمسلم إليها سبيل إذ يعتبر الكذب من أهمّ عوامل هدم الصديق وتدميره في نفس صاحبه وفي نفوس من يكون لهم قدوة كالوالدين لأبنائهما مثلاً .

(يقول قطب ، ١٤١٤ هـ) :

« ومرة واحدة من القدوة السيئة يكفي مرة واحدة أن يجد الطفل أمّه تكذب على أبيه ، أو أباه يكذب على أمّه ، أو أحدهما يكذب على الجيران ، مرة

واحدة كفيلة بأن تدمر قيمة الصدق في نفسه ، ولو أخذنا كلّ يوم وكلّ ساعة يرددان على سمعه النصائح والمواعظ والتوصيات بالصدق .. وهكذا في كلّ القيم والمبادئ التي تقوم عليها الحياة الإنسانية السوية « . جـ ٢ ، ص ٣٥٤ .

ومن هنا يتبيّن أنّ الكذب من أقبح الخصال وأعظم الذنوب ، وأن من اعتاد الكذب وجُرّب عليه سقطت مروءته وزالت ثقته من قبل الناس ، وحقر نفسه وأهانها سواء شعر بذلك أو لم يشعر . وأمّا عقوبته في الآخرة ففي نار جهنّم إن لم يخرج بتوبة صادقة قبل موته أو يغفر الله له .

ولذا وجب على المسلم الالتزام بالصدق وتعويد أهل بيته عليه بالقول والفعل والقدوة . وأن يكون مقصده مرضاة الله وطلب ثوابه ، فمن صدق الله وأخلص له أمدّه بعونه وتوفيقه .

الفصل الرابع

دور وسائط التربية الإسلامية في التأكيد على قيمة الصدق

ويتضمن :

تمهيد .

١ - معنى التربية الإسلامية وأهدافها .

٢ - أهمية مرحلة الطفولة الأولى في تكوين العادات والاتجاهات .

٣ - المؤسسات التربوية والدور الذي يمكن أن تقوم به في تربية

الأطفال على خلق الصدق . وأهمّها :

أ . الأسرة ودورها .

ب . المدرسة والمعلمون ودورهم .

ج . المسجد .

د . وسائل الإعلام .

هـ . المجتمع (الرفقة والأصدقاء) .

٤ - الطرق والوسائل والأساليب التربوية التي يمكن الاستفادة منها

في تكوين خلق الصدق في نفوس الأطفال .

أ . القصوة .

ب . التعليم والتلقين .

ج . القراءة .

د . المناقشة .

هـ . الترغيب والترهيب .

و . القصص .

تمهيد :

لقد خلق الله الإنسان وأبدعه إبداعاً حكيماً قوياً ، وقد علم سبحانه كل جوانب النفس الإنسانية جزئياً وكلياً لأنها خلقتة . قال تعالى : ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ [سورة الملك ، الآية ١٤] .

وقال تعالى : ﴿ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ ﴾ [سورة النجم ، آية ٣٢] .

ثم شرع تبارك وتعالى للإنسان منهجاً قوياً شاملاً لجميع جوانب حياته . قال تعالى : ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ . يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [سورة المائدة ، آية ١٥ ، ١٦] .

فإن أخذ الإنسان بمنهج الله الذي شرعه سعد في الدنيا والآخرة ، وإن تنكّب الصراط واتبع هواه تفرقت به السبل وأحاطت به الحيرة والقلق من كل جانب في الحياة الدنيا ، وشقي الشقاوة الأبدية في الآخرة .

إن أجيال الأمة الإسلامية اليوم تعيش في زمن طغت فيه التربية الحديثة المعاصرة ، التي بنت نظامها على أسس مادية بحتة وأنكرت الروح وأعرضت عن الدين وتنكرت للقيم والأخلاق نتيجة انطلاقتها من فلسفة إلحادية .

وهذا الانحراف إنما كان بسبب النظرة المادية القاصرة التي بنيت عليها التربية الحديثة عن الإنسان والكون والحياة .

يقول (قطب ، ١٤١٤ هـ) عن نتيجة هذا الانحراف :

« وكانت النتيجة أن استمتع الناس بحياتهم الأرضية أعظم متاع ، واستفادوا بالتنظيمات من كل نوع : التنظيمات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والمادية .. ثم انهار المتاع كله نتيجة خواء الروح من الإيمان وخواء الحياة من العقيدة . وانقلب المتاع السهل الحلو إلى تكالب على شهوات الأرض يقض المضجع ويكدر الحياة ويجعلها سباقاً دائماً لا ينقطع ولا يترك فرصة للراحة : راحة الجسد أو النفس أو الضمير . ترايد الصراع فما عاد صراعاً في باطن النفس ولا صراع فرد مع فرد ، أو صراع جماعة مع جماعة . وإنما أصبح صراع نفوس وأفراد وجماعات ودول وجيوش ودمار رهيب يهدد وجه الأرض » . ج ١ ، ص ١٩ .

وهذه المحصلة ثمرة من ثمار التربية الحديثة المعاصرة التي تأثر بها المسلمون وجلبوها لبلادهم وأبنائهم مستبدلين الذي هو أدنى بالذي هو خير .

ومن هنا كانت الحاجة ماسة لأن تعلن الأمة الإسلامية عن استقلالها وعن تميزها بتربية أجيالها تربية تنبع من كتاب ربها وسنة نبيها ورسولها محمد ﷺ في أهدافها وأساليبها .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ [سورة الإسراء ، الآية ٩] .

ويقول الرسول ﷺ : « تَرَكْتُ فِيكُمْ أَمْرَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا مَا تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا : كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ » (أخرجه مالك ، الموطأ ، ك القدر ، باب النهي عن القول بالقدر ، ج ٢ ، ص ٨٩٩) .

والكتاب والسنة هما المنهج الذي أوحاه الله تعالى إلى نبيه محمد ﷺ لإصلاح الإنسان وتوجيهه إلى خالقه وهدايته إلى صراطه المستقيم .

قال تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [سورة الشورى ، الآية ٥٢] .

والوسيلة في تطبيق هذا المنهج الرباني القويم هي التربية لكي يصل الإنسان إلى الإصلاح المنشود فتطمئن به نفسه فلا يضل ولا يشقى .

وحتى تحافظ الأمة على أجيالها من الانحراف والتشوّه والضياع ، وحتى لا تظهر أجيال تنكر فكرها الأصيل وعقيدتها الصافية ، أصبحت وظيفة التربية الإسلامية في الأسرة والمدرسة والمجتمع محطّ الأنظار ومعقد الآمال في تمسك الأفراد بدينهم وثباتهم على عقيدتهم لصلاحهم وسعادتهم في العاجل والآجل .

وبهذا يظهر خطأ من يظن أنّ أهداف التربية الإسلامية لا علاقة لها بالدين ، لأنّ هذا الظن يفقدها معنى الهدف وسموه ، لأنّ الدين هو منهج الحياة كلّها .

قال تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [سورة الأنعام ، الآية ١٦٢] .

ولما كانت التربية الإسلامية تربية هادفة وضع الله تعالى أسسها في كتابه الكريم وفي سنة نبيه ﷺ لجميع البشر لتكون المنهج الذي ينير لهم الطريق في خضمّ هذه الحياة كان لا بُدّ من تعريفها وبيان أهدافها قبل الحديث عن مؤسساتها التربوية وطرقها وأساليبها .

معنى التربية الإسلامية وأهدافها :

تعريف التربية :

في اللغة :

ذكر (ابن منظور) أصولاً لغوية ثلاثة لكلمة التربية ، وهي باختصار :

الأصل الأول :

ربا يربو ، بمعنى : زاد ونما ، وفي هذا المعنى قوله تعالى : ﴿ وَمَا ءَاتَيْتُمْ مِنْ رَبٍّ لَّيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِنْدَ اللَّهِ ﴾ [سورة الروم ، الآية ٣٩]

الأصل الثاني :

ربي يربي على وزن خفي يخفى ، ومعناها : نشأ وترعرع . وعليه قول ابن الأعرابي :

فمن يك سائلاً عني فإني * بمكة منزلي وبها ربيت

الأصل الثالث :

رب يرب ، بوزن مدَّ يمدُّ ، بمعنى : أصلحه وتولى أمره وساسه وقام عليه ورعاه . ج٦ ، ص ١٧ - ٢٠ .

والخلاصة أنَّ لفظ التربية في معاجم اللغة : هو الزيادة والنمو والتنشئة والإصلاح والرعاية .

تعريف التربية في اصطلاح علماء الإسلام :

قال (الإمام البيضاوي) عند تفسير قوله تعالى : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [سورة الفاتحة ، الآية ٢] :

الربّ في الأصل بمعنى التربية ، وهي : تبليغ الشيء إلى كماله شيئاً فشيئاً ، ثمّ وُصِفَ به تعالى للمبالغة . ص ٣ .

وقال (الراغب ، ١٤١٨ هـ) في مفرداته :

الربّ في الأصل التربية ، وهو إنشاء الشيء حالاً فحالاً إلى حدّ التمام . ص ٣٣٦ .
وقد عرّف (الشوكاني) التربية : بأنها هي التنمية ، وذلك عندما تعرّض لتفسير قوله تعالى : ﴿ كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾ [سورة الإسراء ، آية ٢٤] . ج ٣ ، ص ٢٦١ .

وهذا المعنى الذي ذكره الشوكاني له صلة بالمعاني اللغوية إذ يعتبر أحد أصول كلمة (التربية) . والتنمية هنا لها معنى شامل إذ تشمل تنمية جميع جوانب الإنسان المختلفة من روح وعقل وجسم وخلق وصولاً إلى الكمال الإنساني .
ومن هنا يتبين أنّ التربية تعهّد الشيء ورعايته والقيام على إصلاحه بالزيادة والتنمية والتقوية ، والأخذ به في طريق النضج والكمال الذي يتناسب مع أهليته وطبيعته .

تعريف الإسلام في اللغة :

يقول (مصطفى وآخرون) :

الإسلام : من فعل أسلم : ومعناه : انقاد وخضع ودخل في دين الإسلام . ج ١ ، ص ٤٤٨ .

قال الله تعالى : ﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ [سورة آل عمران ، الآية ٨٣] .

تعريف الإسلام في الاصطلاح :

جاء في القرآن الكريم أَنَّ دِينَ اللَّهِ هُوَ الْإِسْلَامُ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ [سورة آل عمران ، الآية ١٩] .

وقد عُرِّفَ الْإِسْلَامُ بتعريفات كثيرة سواء ما صدر عن النَّبِيِّ ﷺ كحديث جبريل المشهور في الْإِسْلَامِ وَالْإِيمَانِ وَالْإِحْسَانَ ، أَوْ مَا جَاءَ عَنْ بَعْضِ عُلَمَاءِ الْإِسْلَامِ .

وفيما يلي بعض التعريفات التي تناسب مقام البحث :

يقول (البيضاوي) عند تفسير قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾ [سورة آل عمران ، آية ١٩] :

الْإِسْلَامُ هُوَ التَّوْحِيدُ وَالتَّدْرَعُ بِالْشَّرْعِ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ ﷺ . ص ٦٩ .

ويقول (زيدان ، ١٤٠٧ هـ) :

الْإِسْلَامُ هُوَ النِّظَامُ الْعَامُّ وَالْقَانُونُ الشَّامِلُ لِأُمُورِ الْحَيَاةِ وَمَنَاجِجِ السُّلُوكِ لِلْإِنْسَانِ الَّتِي جَاءَ بِهَا مُحَمَّدٌ ﷺ مِنْ رَبِّهِ وَأُمِرَ بِتَبْلِيغِهَا إِلَى النَّاسِ . ص ١٠ .

ويرى الباحث أَنَّ الْإِسْلَامَ : هُوَ مَجْمُوعُ مَا أَنْزَلَهُ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ مِنْ أَحْكَامِ الْعَقِيدَةِ وَالْأَخْلَاقِ وَالْعِبَادَاتِ وَالْمَعَامَلَاتِ وَالْأَخْبَارِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَالسُّنَّةِ الْمَطْهُرَةِ وَالَّتِي أُمِرَ بِتَبْلِيغِهَا إِلَى النَّاسِ .

علاقة الإسلام بالتربية :

الإسلام هو دين الله وشريعته ، وهو الروح الحقيقة للإنسان والنور الهادي له في درب الحياة ، والشفاء الكافي للأمراض البشرية والصراط المستقيم الذي لا يضلّ من سلكه وسار فيه ، أنزله المولى ﷺ للبشر ليحققوا عبادته في الأرض . وإن العمل بشريعة الإسلام ليقترض تهذيب الإنسان وتعديل انحراف سلوكه وتطويره ليصلح لحمل الأمانة وتحقيق الخلافة في الأرض ، قال تعالى :

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَيُّنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ [سورة الأحزاب ، الآية ٧٢] .

يقول (النحلاوي ، ١٤٠٣ هـ) :

« فلا تحقيق لشريعة الإسلام إلا بتربية النفس والجيل والمجتمع على الإيمان بالله ومراقبته والخضوع له وحده ، ومن هنا كانت التربية الإسلامية فريضة في أعناق جميع الآباء والمعلمين ، وأمانة يحملها الجيل للجيل الذي بعده ، ويؤديها المربون للناشئين وكان الويل لمن يخون هذه الأمانة أو ينحرف بها عن هدفها أو يسيء تفسيرها أو يغيّر محتواها » . ص ١٧ .

ومن هنا أصبحت المسؤولية في هذا العصر أعظم منها في أي عصر مضى على كاهل الآباء والمعلمين لتربية الأجيال على شريعة الإسلام في جميع الأحوال والتصرفات ، وذلك لكثرة الشهوات والمغريات والدعوات الباطلة للخروج عن الفطرة السوية والهدى المستقيم .

أهمية الأهداف :

معنى الهدف :

يقول (النحلاوي ، ١٤٠٣ هـ) :

والهدف هو الغاية التي يتصورها الإنسان ويضعها نصب عينيه وينظم سلوكه من أجل تحقيقها . ص ٩٦ .

أهمية تحديد الأهداف :

يقول (سرحان ، ١٤٠١ هـ) :

إنَّ تعيين الأهداف وتحديدَها يوجِّه النشاط ويدفع إلى الإنجاز ويساعد على اختيار المحتوى والطريقة والوسيلة وتقويم المنهج ومعرفة تحقيق الأهداف . ص ٥٣ .
والإنسان يندفع إلى العمل متى كانت أهدافه واضحة ومحددة ، ومقتنع بها ، ولكنه يظل في حيرة إن كان يجهل الهدف من العمل ، أو كان الهدف غير واضح ، أو لا يؤمن به ، مما يجعله يتخبط في اختيار الأساليب والوسائل القادرة على تحقيق الأهداف ، وقد لا يحققها .

ومن هنا كان للأهداف أهمية بالغة في التربية الإسلامية لكونها تختلف عن الأهداف الدنيوية النفعية التي درجت عليها التربية المادية المعاصرة والتي قطعت صلة أثرها بالآخرة .

يقول (الكيلاني ، ١٤٠٥ هـ) :

« أمّا أهداف التربية الإسلامية فإنَّها تبدأ بالفرد وتنتهي بالمجتمع في نظام متميز يصل الدنيا بالآخرة » . ص ٣٤ .

أهداف التربية الإسلامية :

إنَّ الغاية العظمى والهدف الأساسي من التربية الإسلامية هو الانقياد لأمر الله والسير على نهجه وهداه .

يقول (النحلاوي ، ١٤٠٣) :

« والغاية النهائية للتربية الإسلامية هي تحقيق العبودية لله في حياة الإنسان الفردية والاجتماعية . ص ٩٨ .

وقد بيّن المولى تبارك وتعالى هذا الهدف في كتابه الكريم ، فقال تعالى :

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [سورة الذاريات ، الآية ٥٦] .

فالهدف الأساسي لوجود الإنسان في هذا الكون هو عبادة الله وطاعته ، وتعمير الأرض بتحقيق شرع الله وعدالته . ولا يعني هذا أن ينسى الإنسان نصيبه من الدنيا وحقوق الآخرين من حوله ، بل العبادة المثلى تكون بعبادة الله وتحقيق عدالته في جميع شؤون الحياة الدينية والدينية الفردية والاجتماعية .

وعلى التربية تقع المسؤولية في إعداد الإنسان الصالح الذي يحقق العبودية لله في صورتها الدينية والدينية بطريقة متوازنة بحيث لا يطغى جانب على جانب . فالعبادة هدف واسع يسع الحياة كلّها ويشمل جميع جوانبها .

يقول (النحلاوي وآخرون) :

ولكي تحقق التربية إعداد الإنسان العابد لله فينبغي لها أن تحقق ثلاثة أهداف :

١ - صون فطرة الناشئ من الانحراف ، وذلك بغرس عقيدة التوحيد في نفسه وحياته ومجتمعه .

٢ - توعية الناشئ بهدفه في الحياة ودوره فيها .

٣ - التربية المتكاملة لجميع جوانب شخصية الفرد الروحية والعقلية والجسمية والخلقية والاجتماعية . ص ٣٠ ، ٣١ .

وسيتحدث الباحث عن هذه الأهداف الثلاثة بشيء من التفصيل :

أولاً : صون فطرة الناشئ من الانحراف وغرس عقيدة التوحيد في نفسه وحياته ومجتمعه .

وهذا الهدف يتضمن :

١ - صون فطرة الناشئ من الانحراف :

وقد ورد ذكر الفطرة في القرآن الكريم وفي السنة النبوية .

قال تعالى : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [سورة الروم ، الآية ٣٠] .

وقال ﷺ : « كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يَهُودَانِهِ أَوْ يَنْصَرَانِهِ أَوْ يَمَجْسَانِهِ ، كَمَثَلِ الْبَهِيمَةِ تُنْتَجُ الْبَهِيمَةُ هَلْ تَرَى فِيهَا جَدْعَاءَ » (رواه البخاري ، رقم ١٣٨٥ ، ك الجنائز ، باب ما قيل في أولاد المشركين ، ج ٢ ، ص ١٢٧) .

وقد فسّرت الفطرة بتفسيرات كثيرة ومتقاربة ، منها : الإسلام ، والإيمان ، والإخلاص .

وقد ذكر (الحنبازي ، ١٤٠٣ هـ) ما ذهب إليه ابن حزم والزجاج وغيرهما إلى القول بأنّ الفطرة هي الإيمان . ج ٣ ، ص ٣٦٢ .

وعلى عاتق التربية الإسلامية صيانة فطرة الناشئ من الانحراف وممارسة شعائر الإسلام بالعمل والتطبيق . يقول (التميمي وزميله ، ١٤٠٥ هـ) : « فوظيفة التربية تثبيت الناشئ على الإيمان وتنمية معارفه بالشرعية وأحكامها ، وممارسة الإسلام بصورة عملية ، شريعة ، وعقيدة ، ونظام حياة » . ص ٩٢ .

ويرى الباحث أنَّ علاقة الفطرة بالصدق تكمن في المحافظة على الفطرة سليمة من الانحراف عن دين الله بعيدة عن الكذب والخداع ، وفي تطبيق أحكام وشعائر الإسلام الظاهرة ليستدل بذلك على سلامة الفطرة واستقامتها .

٢ - غرس عقيدة التوحيد في نفس الناشئ وحياته ومجتمعه : ويكون ذلك بأمور :

أ - تعريف الناشئ بأركان الإيمان ، وتعليمه أركان الإسلام ، وتدريبه على ممارستها في حياته اليومية لتقوى صلته بالله ، وترسخ عقيدة التوحيد في نفسه .

يقول (سابق ، د . ت) :

« ومعرفة الله توقظ حواس الخير ، وتربي ملكة المراقبة ، وتجعله يقظاً حسن التصرف ، وهكذا يبدو أنَّ العقيدة إنما يقصد بها تهذيب السلوك » . ص ١٠ .

وهكذا تؤثر معرفة الإنسان بخالقه في خضوعه لمولاه وصدق توجهه إليه واستقامته على نهجه وشرعه .

ب - تعريف الناشئ بعلاقته بالكون من خلال تعريفه بآيات الله ومخلوقاته ونعمه التي لا تحصى .

يقول (الكيلاني ، ١٤٠٧ هـ) :

« وتعريف الناشئ بعلاقته بالكون من شأنه أن يصل بالمتعلم إلى الغاية

من معرفة دقة الصنعة الإلهية في المخلوقات وكثرة أصنافها وتنوع أحوالها .. » . ص ٨٥ .

ج - تعريف الناشئ بعلاقته بأخيه الإنسان من حيث الأخوة في الله ، والتعاون على البر والتقوى ، وتطبيق شرع الله . قال تعالى :

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [سورة الحجرات ، آية ١٠] .

وقال تعالى : ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى ﴾ [سورة المائدة ، آية ٢] .

وهذه المعرفة من شأنها أن تترجم العقيدة إلى سلوك يظهر أثره براءً ، وتعاوناً وصدقاً ، وإخلاصاً لله من خلال العلاقات الاجتماعية .

وعلى التربية أن تدرب المتعلمين الناشئين على ممارسة العبادة بمفهومها الواسع في الشعائر التعبدية ، وفي تسخير الكون ومعرفة سنن الله فيه ، وفي التعريف بأنواع التكامل الاجتماعي والفضائل الاجتماعية .

ثانياً : توعية الناشئ بهدفه في الحياة ودوره فيها :

إن توعية الناشئ بهدفه في الحياة ودوره فيها يتطلب جهد المربي وتوجيهه إلى منهج يوضح له ذلك . والقرآن الكريم منهج الإسلام الخالد يبان لهدف الإنسان في الحياة ودوره فيها .

والتربية لها الدور البارز في غرس حب القرآن في نفوس الناشئة ، ولنا في الصحابة رضي الله عنهم وسلف الأمة من بعدهم الأسوة الحسنة في تربية الناشئة على حب القرآن وحفظه وتهيئتهم للعمل بمقتضاه .

يقول (النجار ، ١٤٠٠ هـ) : « لقد كان السلف الصالح من المسلمين يسعون

لتحفيظ أبنائهم وبناتهم القرآن الكريم في سن مبكرة ، وكان عملاً أساسياً في تربيتهن ، به تكونت عقيدتهن ، ونمت أخلاقهم وانضبط سلوكهم » . ص ١٠٦ .
وباستقراء آيات القرآن الكريم يعرف الإنسان وظيفته في الأرض ، وهدفه في الحياة ودوره فيها لمواجهة متطلباتها . ومن الآيات في هذا المقام :

قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [سورة البقرة ، الآية ٣٠] .

فوظيفة الإنسان أنه خليفة في الأرض لتعميرها بالطاعة لله تعالى .
وقوله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ [سورة الأنبياء ، الآية ٢٥] .

وهذه الآية الكريمة تبين أن هدف الإنسان في الحياة عبادة الله .
ثالثاً : التربية المتكاملة لجميع جوانب شخصية الفرد الروحية والعقلية والجسمية والخلقية والاجتماعية :

لقد اهتم الإسلام بكل جوانب النفس الإنسانية الروحية والعقلية والجسمية والخلقية والاجتماعية ، واعتبرها وحدة متكاملة مترابطة تهدف كلها لتوحيد شخصية الإنسان وتوثيق صلته بخالقه .

وسوف يلقي الباحث الضوء على هذه الجوانب وطاقاتها التي أودعها الله فيها لتكون وسائل لتحقيق الغاية العظمى لوجود الإنسان في هذه الحياة ، وهي تحقيق العبودية لله تعالى .

التربية الروحية :

الروح هي ما أودعه الله في الإنسان من حاسة الحياة التي لا يمكن إدراكها بالحس والعقل ، وهي القادرة على الاتصال بالله عن طريق الإيمان به والتوجه إليه سبحانه .

يقول (الخطيب ، ١٩٧١) :

« الإنسان فيه حاسة روحية تتلمس آفاق النور دائماً » . ص ٩٠ .

وعندما تحرم الروح من غذائها وهو الوحي الإلهي يحدث الفراغ القلبي وينتشر القلق والخوف والأمراض النفسية وتعاطي المخدرات كما هو الحاصل في المجتمعات الكافرة عموماً وفي الغرب على وجه الخصوص .

حرص الإسلام على تربية الروح :

ومن عناية الإسلام بالنفس الإنسانية أن جعل الإيمان غذاءً للروح ، والإيمان هو المادة الأساسية لحياة النفس البشرية ، فالإنسان بدون إيمان في عداد الموتى وإن كان حياً وذلك لموت القلب بانطفاء نور الإيمان فيه ، وموت القلب أعظم من موت الجسد ، والقرآن الكريم يصف في تشبيهه بليغ رائع عملية الهداية بأنها نقلة من الموت وهو الكفر إلى الحياة وهي الإيمان . يقول تعالى :

﴿ أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [سورة الأنعام ،

الآية ١٢٢] .

يقول (القرضاوي ، ١٤٠١ هـ) :

الإيمان وحده هو صانع العجائب ، الإيمان هو الذي يهيئ النفوس لتقبل

المبادئ الخيرة مهما يكن وراءها من تكاليف وواجبات وتضحيات ومشقات ، وهو العنصر الوحيد الذي يغيّر النفوس تغييراً تاماً ، وينشئها خلقاً آخر ، ويصحبها في قالب جديد ، فيغيّر أهدافها وطرائقها ووجهاتها وسلوكها وأذواقها ومقاييسها . ص ٣١٣ .

ومن هنا كانت التربية الإيمانية من أهم فروع التربية ، لأنها تهتم بأشرف ما في الإنسان وهو روحه ، وعلم الإيمان من أشرف العلوم لتعلقه بمعرفة الله ورسوله ودينه .

يقول (بكر ، ١٩٨٣ م) :

« ولقد حرص الإسلام في تربيته للروح على نقائها وطهارتها بحيث تسمو فوق الرغائب وحطام المادة » . ص ١٨٣ .

والتربية الروحية تستمد أهدافها من قيم هذا الدين الخفيف ، ومن أهم أهدافها :

١ - تحقيق أركان الإيمان لتوقظ حواس الخير في الإنسان .

٢ - الإحساس الدائم بمعية الله تعالى للعبد . وهذه هي مرتبة الإحسان . قال ﷺ : « الإِحْسَانُ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ » (رواه البخاري ، رقم ٥٠ ، ك الإيمان ، باب سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإسلام والإيمان والإحسان ، ج ١ ، ص ٢٢) .

ويراد بالإحساس الدائم بمعية الله للعبد : أن يكون سلوكه مترجماً لإيمانه واعتقاده .

يقول (محمود ، ١٩٧٦) :

« وعندما يترجم العبد إيمانه إلى سلوك يكون أنموذجاً للدين ... يملأ قلبه وعقله ويصدق سلوكه في الحياة مع نفسه ومع الآخرين » . ص ١٤ .

٣ - التطبيق العملي لشعائر الإسلام وأركانه وتعاليمه : تعمل التربية الروحية على تثبيت العقيدة وتنمية الوازع الديني ، وممارسة الشعائر التعبدية الظاهرة والأخلاق الحميدة .

يقول (الندوي ، ١٣٩٧ هـ) :

« وممارسة الشعائر الدينية من شأنها أن تسمو بالروح فتزداد كل يوم سمو روح ، ونقاء قلب ، وطهارة خلق » . ص ٩٧ .

ومن هنا يتبين أنَّ التربية الإسلامية تربي الروح من خلال ممارسة شعائر الدين بالإيمان القلبي والتطبيق العملي والسلوكي والاتصال الدائم بالله والامثال التام لأوامره في المنشط والمكره .

التربية العقلية :

العقل أعظم الطاقات التي وهبها الله للإنسان ، وأداة التكليف للأحكام في الإسلام .

وإنَّ جميع أركان الإسلام وشرائع الدين عامة تتطلب فهم العقل وقناعاته ، فقد خاطب القرآن الكريم العقل ليدله على وجود الله ، وخاطبه ليتدبر ويتأمل في ملكوت الله فلا يجد إلا إياه ولا يعبد أحداً سواه . يقول تعالى : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ .

الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٩٠﴾ [سورة

آل عمران ، الآيتان ١٩٠ ، ١٩١] .

يقول (عبود ، ١٩٧٧ م) :

« والعقل قوّة مدركة خلقها الله في الإنسان ليكون مسئولاً عن
أعماله » . ص ١٠٧ .

وآيات القرآن الكريم الّتي تؤكد دور العقل في حياة الإنسان كثيرة جداً ، ومنها :

قوله تعالى : ﴿ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ [سورة الذاريات ، الآية ٢١] .

وقوله تعالى : ﴿ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ . وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ
رُفِعَتْ . وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ . وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴾ [سورة الغاشية ،
الآيات من ١٧ - ٢٠] .

والعلم في الإسلام هو الذي يوصل إلى معرفة الله تعالى ، وهو غذاء العقل .

يقول (العقاد) :

« ويمكن القول بأنّ العلم في الإسلام هو جملة المعارف الّتي يدركها الإنسان
بالنظر في ملكوت الله في السماوات والأرض وما خلق من شيء » . ص ٥٤ .
وعلى هذا فإنّ العقل يعتبر من أهمّ مصادر المعرفة عند الإنسان حيث يأتي في
المرتبة الثانية بعد الوحي الإلهي .

يقول (طعيمة) :

« ولذا يربط القرآن سلوك المسلم تجاه حياته من فكر أو عمل بالعقل
والعلم » . ص ٥٨ .

لذا فإنَّ العقل المسلم أحرى بالتفكّر والتدبر والنظر في ملكوت الله ، إذ النظر في الآيات الكونية مدعاة للإيمان بخالق هذا الكون ومدبره سبحانه .

وعلى التربية تنمية المسلم فكرياً والمحافظة على طاقته العقلية وتوجيهها للعلم النافع وتحريرها من الخرافات ، وحماية العقل مما يخلّ به من الأفكار الهدامة أو تناول ما يفسده من مخدرات وغيرها ، وألا يسخر للشر والدمار ، وبهذا يكون العقل مسخرًا في طاعة الله ورضوانه .

التربية الجسميّة :

ومما تهدف إليه التربية الإسلامية تنمية الجسم والعناية به من مطعم ومشرب ونوم ونظافة والعمل على إعدادة سليماً قوياً .

يقول (القاضي ، ١٩٧٧ م) :

« والقرآن يوصي بتربية الجسم والعناية به من طعام وشراب وراحة وتنظيف وتقويم . وهذه الوسائل كلّها من أجل تحقيق هدف واحد هو تسخير طاقات الجسم فيما يرضي الله . لأنّه عن طريق هذه الوسائل يرتقي بطاقاته كلّها ويوفرها لأداء رسالته ، ويعمل على حفظها من الهبوط والانطلاق في ملذات الحياة » . ص ٥٩ .

والإسلام يدعو الإنسان إلى الأخذ بنصيب جسمه من المأكّل والمشرب . يقول تعالى : ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ [سورة الأعراف ، آية ٣١] .

ويدعوه إلى الاستعداد بالقوّة للأعداء .

يقول تعالى : ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾ [سورة الأنفال ، الآية ٦٠] .

والقوة جاءت نكرة في سياق الآية الكريمة فتشمل أيّ قوة مادية أو معنوية .

يقول (حوى ، ١٣٩٧ هـ) بتصرّف :

ولذا أصبح من فروض الكفاية في الإسلام أن يتعلّم الإنسان القتال ، ومن أوّل شروط القتال أن يكون ذا لياقة جسمية كاملة . ص ١٠٠ .

ويربى الجسم في الإسلام عن طريق أداء العبادات من صلاة وزكاة وصوم وحجّ وجهاد ، فهذه الشعائر يهذب السلوك وتنمى الأخلاق . كما يربى الجسم في الإسلام بالعمل ومنع استخدام ما يضره وتحصين الجوارح مما يضعفها ويوقعها في الإثم .

فالقوة وبناء الأجسام مطلب إسلامي لبناء الأجسام الصحيحة القوية . والصغار مطالبون بها قبل الكبار ليتعودوا الصبر والتحمل والأخلاق .

ومن هنا نجد أنّ التربية الإسلامية كما توصي بعقل المسلم فإنّها توصي بجسمه وأعضائه ، ليبقى الجسم قوياً ، ولتسخر جميع طاقاته في مرضاة الله ﷻ .

التربية الأخلاقية :

إنّ الحديث عن الأخلاق في التربية الإسلامية يشمل كلّ ما ورد في الإسلام من مبادئ وآداب وقيم . بل كلّ ما جاء به النبي ﷺ ينحصر في إتمام مكارم الأخلاق . يقول الرسول ﷺ : « بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ حُسْنَ الْأَخْلَاقِ » (أخرجه مالك ، الموطأ ،

ك حسن الخلق ، باب ما جاء في حسن الخلق ، ج ٢ ، ص ٩٠٤) .

وقد كان النبي ﷺ النموذج الأمثل في فضائل الأخلاق ومكارمها .

والأخلاق الفاضلة من المبادئ الضرورية لانسجام الإنسان مع نفسه ومع الآخرين في المجتمع .

يقول (الميداني ، ١٤٠٧ هـ) :

« الأخلاق في المنهج الإسلامي رابطة قوية تنعقد عليها ثقة المجتمع في التعامل بين أفرادها » . ص ٣٤ .

ونصوص الكتاب والسنة في الحث على الفضائل الخلقية والتحذير من رذائل الأخلاق كثيرة جداً . يقول تعالى مبيناً فضل خلق النبي ﷺ :

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [سورة القلم ، الآية ٤] .

ووصفت عائشة - رضي الله عنها - خلق النبي ﷺ عندما سئلت عنه بقولها : « فَإِنَّ خُلُقَ نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ كَانَ الْقُرْآنَ » (رواه مسلم ، رقم ٧٤٦ ، ك صلاة المسافرين وقصرها ، باب جامع صلاة الليل ، ج ١ ، ص ٤٣٢) .

ويقول ﷺ : « إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقًا » (رواه الترمذي ، رقم ٢٠١٨ ، ك البر والصلة ، باب ما جاء في معالي الأخلاق ، ج ٤ ، ص ٣٢٥) .

يقول (قطب ، ١٤٠٢ هـ) :

« وعلى هذا فالمسلم مكلف بأن يلقي أهل الأرض بفضائل أخلاقية لا ترقى إليها شبهة . لأنّ الصدق والسماحة والكرم والمروءة .. ثوابت خلقية لا تتغير بتغير الزمان والمكان » . ص ٧٢ .

وهذا الثبات في الأخلاق الإسلامية من أهم مميزاتها التي تميزها عن الأخلاق الوضعية ، لأنها من عند الله تعالى ، وبهذا تكون الأخلاق في الإسلام مجال الحياة كلّها .

يقول (يالجن ، ١٣٩٢ هـ) :

« إِنَّ عمل الإنسان لمساعدة الآخرين وعمله لكسب قوته وقوت عياله أخلاق » . ص ٨٢ .

إِنَّ وظيفة التربية بناء الأخلاق الفاضلة ومحاربة الأخلاق السيئة والتحذير منها ، ولن يتأتى ذلك إلا بالتعهد المستمر والتطبيق السلوكي والقُدوة الحسنة .

يقول (الجمالي ، ١٩٧٠ م) :

« ووظيفة التربية أن تربي في المتعلم إرادة الخير ، وتعوّده عليه ليكون سجيّة له » . ص ١٤٤ .

ومما لا شكّ فيه أنّ شعائر الإسلام تساهم بنصيب وافر في تربية الأخلاق . فالصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، والزكاة تربية على العطاء وتطهير من البخل ، والصوم تربية على الصبر والكفّ عن الشهوات وقول الزور ، والحج تربية على الصبر والبذل وتحمل المشقة والصبر عن الفسوق والجدال .

والتربية الأخلاقية لا يمكن غرسها بالأوامر والنواهي بل يحتاج المربي إلى التعهد المستمر والقُدوة الصالحة ، ولا يتوقع ذلك إلا ممن يطابق قوله فعله .

ولرجال التربية والتعليم والمؤسسات التربوية الأخرى من وسائل إعلام وغيرها المثل الأعلى في النبي ﷺ فقد كان يغرس الخلق الصالح بفعله وسلوكه قبل قوله .

التربية الاجتماعية :

تهدف التربية الإسلامية إلى تنمية الروابط الاجتماعية عن طريق الإخاء والتعاون والتعاطف والعمل الخير لصالح الفرد والمجتمع .

والنصوص الشرعية في هذا الجانب لا تكاد تحصى .

يقول تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [سورة الحجرات ، الآية ١٠] .

ويقول تعالى : ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ [سورة المائدة ، آية ٢] .

ويقول ﷺ : « تَرَى الْمُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحُمِهِمْ وَتَوَادِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى عُضْوًا تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ جَسَدِهِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَى » (أخرجه البخاري ، رقم ٦٠١١ ، ك الأدب ، باب رحمة الناس والبهائم ، ج٧ ، ص ١٠٢) .

وهذه القيم من أهم أسس التربية الاجتماعية لما يبذله الأفراد من جهود فيما بينهم ولتحمل كل فرد مسؤوليته الاجتماعية تجاه إخوانه من بذل الخير وسد لأبواب الشر .

يقول (عبدالعال ، ١٩٧٨ م) :

« والمجتمع والفرد متكاملان فيما بينهما وإن كانت لكل منهما شخصية مستقلة على ألا يضر الفرد بحرية المجتمع » . ص ٢١ .

ويتحمل الفرد مسؤوليته عن أي خلل من جانبه تجاه مجتمعه ، ويقوم المجتمع بمساعدة أفرادهِ وتقديم الخدمات اللازمة لهم من تعليم وحماية أمنية وكفالة اجتماعية وما إلى ذلك .

والأسرة المسلمة تربي أفرادها على حب الفضائل ونبذ الرذائل .

يقول (محمود ، ١٩٧٦ م) :

« والبيت المسلم يغرس في نفوس أفرادِه منذ طفولتهم الباكِرة الإيمان الصحيح ، والسلوك الإسلامي الرشيد ، ويربيهم على حبّ الفضائل وبغض الرذائل ، ويرشدهم إلى الخير ، وياعد بينهم وبين الشر ، وهو الذي يمدّهم بالقيم الاجتماعية التي يحترمونها ويعملون على هداها » . ص ١٨ .

وقد حضّ الإسلام على اختيار الأمّ على أساس دينها لتستطيع القيام بمهمتها .

يقول (أبو العينين ، ١٤٠٨ هـ) :

وهذا الأمر يؤكّد أهميّة الأسرة في غرس حبّ المسؤولية وتحملها ، من خلال غرس العقيدة الصحيحة في نفوس الأبناء ، ومن خلال مراقبتهم على الالتزام بالآداب الشرعية كالاستئذان وإفشاء السلام ، وإشاعة الكلمة الطيبة ، وطلاقة الوجه والدعوة إلى الخير ودفع السيئة بالحسنة ، واحترام الكبير ، وعيادة المريض ، والمعاملة الحسنة ونصرة المظلوم . ص ٢٦١ ، و ص ٢٨٦ .

والمؤسسات الاجتماعية والتربوية والإعلامية لها دور كبير في توعية الأفراد بالقيم الاجتماعية الحمودة ودعمها والعمل على إظهارها في السلوك الفردي والاجتماعي ، ومحاربة ما يتعارض مع القيم الإسلامية الفاضلة .

وهذا من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي يعتبر من فروض الكفاية ومن المسؤوليات الفردية الاجتماعية . قال تعالى : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [سورة آل عمران ، الآية ١١٠] .

وإذا طبقت التربية الاجتماعية الإسلامية في حياة الفرد وحياة المجتمع فإنّها ستضع كلاً منهما على طريق الصدق والإخلاص ، لكون هذه القيم مستمدة من دين الله تعالى ، وهدف هذا الدين أن يكون الإنسان مستقيماً على شرع الله في كلّ أحواله .

أهمية مرحلة الطفولة الأولى في تكوين العادات والاتجاهات :

تمهيد :

تعتبر مرحلة الطفولة الأولى من مراحل العمر الحاسمة كالأرض البكر الطيبة المعطاء التي يمكن أن نزرع ونغرس فيها ما نريد من شتى أنواع المزروعات .

فإذا ما حظيت بالرعاية والعناية وتعهدتها الأيدي الأمانة المؤمنة نشأت صالحة خيرة وأصبحت تبني وتعطي كما تعطي الشجرة الطيبة ، وإذا لم تلق الرعاية المطلوبة والعناية المستمرة ، بل تركت بين يدي كلّ عابث ومفسد نشأت شريرة سيئة ، وأصبحت تهدم وتفسد كما تعطي الشجرة الخبيثة .

ولهذا اهتم المربون في كلّ أمة بأطفالهم وبذلوا لهم كثيراً من الرعاية والعناية لكي ينشأوا كما تريد لهم أمّتهم ، ولكي تغرس في نفوسهم وعقولهم العقائد والأفكار والعادات والاتجاهات التي يريدونها لهم .

وفي هذا العصر الذي تصطرع فيه الأفكار والعقائد ، لا بُدّ للمسلمين من العودة إلى أصولهم في كتاب الله تعالى وفي سنة رسوله ﷺ وما تفرع عنهما من كتابات سلف الأمة وخلفها ، لكي يتعرّفوا على ركائز التربية الإسلامية للطفل ، ولا بُدّ لهم من العناية الحقيقية بالطفولة لكي يواكبوا روح العصر بفكر إسلامي أصيل ، ويسيروا في طريق البناء الواعي ، ويحموا أجيال الأمة من عوامل التبعية والانحراف والانحلال والفساد .

وبفضل الله ﷻ نرى دراسات حديثة كثيرة بدأت تعنى بالطفل المسلم مستندة إلى أحكام الإسلام وآدابه وسنته ، وهي تهدف إلى الوصول بالطفل للحياة الإسلامية التي أرادها الله لعباده ، ومنها على سبيل المثال : مسؤولية الأب

المسلم في تربية الولد في مرحلة الطفولة للأستاذ / عدنان باحارث ، والطفل في الشريعة الإسلامية للأستاذة / سهام مهدي جبار ، ومنهج التربية النبوية للطفل للأستاذ / محمد نور سويد ، وغيرها كثير .

أهمية مرحلة الطفولة :

الطفولة هي المرحلة الأولى من مراحل الإنسان على وجه الأرض ، تبدأ بالولادة وتنتهي عند البلوغ .

يقول الله تعالى :

﴿ وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [سورة النور ، الآية ٥٩] .

ويقول تعالى مصوراً مراحل حياة الإنسان ، ومنها طفولته :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقَرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴾ [سورة الحج ، الآية ٥] .

ومرحلة الطفولة من أهم مراحل الحياة عند الإنسان وأكثرها خطورة ، فهي تتميز عن غيرها بصفات وخصائص واستعدادات ، وهي أساس لمراحل الحياة التالية .

يقول (بريغش ، ١٤١٦ هـ) :

ومرحلة الطفولة فيها جذور لمنابت التفتح الإنساني ، ففيها تتفتح مواهب

الإنسان ، وتبرز مؤهلاته ، وتنمو مداركه ، وتظهر مشاعره ، وتبين إحساساته ، وتقوى استعداداته ، وتتجاوب قابلياته مع الحياة سلّبا أو إيجابا ، وتتحدد ميوله واتجاهاته نحو الخير أو الشر ، وفيها تأخذ شخصيته بالبناء والتكوين لتصبح فيما بعد متميزة عن غيرها من الشخصيات الأخرى . ص ١٤ .

وتتميّز طفولة الإنسان بأنها أطول بكثير من طفولة الحيوان ، وبأن مطالب رعاية هذه الطفولة لا تقتصر على مجرد الغذاء والوقاية - كما هي الحال في الحيوان - بل إنها تحتاج إلى رعاية عقلية ونفسية واجتماعية تتلاءم مع فطرة الإنسان وطبيعته بوصفه أكرم مخلوقات الله ﷻ .

ومن هنا عنت البحوث والدراسات في كثير من مجالات المعرفة النظرية والتطبيقية بالطفولة .

يقول (خضير ، ١٤٠٧ هـ) :

وتدل دراسات كثيرة أجريت في مجالات علم النفس والتربية على أنّ نسبة كبيرة من مقومات شخصية الفرد المعرفية والوجدانية والسلوكية تتشكل في السنوات الخمس أو الست من عمره . ص ١١ .

ولأنّ الطفولة كالكتاب المفتوح الأبيض الصفحات يسجل فيه صاحبه كلّ ما يودّ أو يرد عليه من حوادث تعرض عليه ، أو خواطر وانطباعات ترتسم في ذاكرته . يقول (الخطيب ، ١٩٨٠ م) :

« والطفولة أرض صالحة للاستنبات ، فكلّ ما يغرس فيها من مكارم الأخلاق ومحاسن الصفات ، وكلّ ما يئذر فيها من بذور الشرّ والفساد ، أو الغي والضلال يؤتي أكله في مستقبل حياة الطفل ، ولذلك فهو يكتسب من بيئته العادات السارة والضارة ، ويأخذ السبل المستقيمة أو المنحرفة » . ص ٧ .

وهذا الذي ذكره الخطيب حقّ ، فإنّ الطفل يتقبّل ما ينشأ عليه في بيئته من خير أو شرّ أو صلاح أو فساد . يقول ﷺ : « كُلُّ مَوْلُودٍ يُوَلَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يَهُودَانِهِ أَوْ نَصْرَانِهِ أَوْ يَمَجَّسَانِهِ ، كَمَثَلِ الْبَهِيمَةِ تُنْتَجُ الْبَهِيمَةُ هَلْ تَرَى فِيهَا جَدْعَاءَ » (رواه البخاريّ ، رقم ١٣٨٥ ، ك الجنائز ، باب ما قيل في أولاد المشركين ، ج ٢ ، ص ١٢٧) .

وفي هذا الحديث إشارة إلى أثر البيئة والتربية على المولود . ومن هنا يبرز دور التربية الإسلامية في غرس العقيدة والفضائل الخلقية في نفوس الأطفال وتكوين عاداتهم واتجاهاتهم بما يتفق وشرعية الإسلام .

عناية الإسلام بالطفل :

لقد اعتنى الإسلام بالطفل عناية فائقة ، بدأت بفكرة تكوين الأسرة ، وذلك بحسن اختيار الأمّ قبل ولادة الطفل ، وتستمر معه هذه العناية إلى أن يصبح رجلاً راشداً .

ولحسن اختيار الأمّ أهميّة بالغة ، فهي الحاملة الحاضنة المربية ، وذلك لما للوراثة من دور بارز فيما يصير إليه المولود في مستقبل عمره .

يقول (المليجي ، ١٩٧٣ م) : « فإنّ بعض الدراسات أثبتت أنّ النباهة والامتياز تستند إلى خصائص وراثية » . ص ١٠٦ .

كما يرى (كاريل ، ١٩٨٤ م) : أنّ للوراثة قوّة عجيبة تفرض نفسها على المولود ، مما دعاه إلى القول بأنّ الحصول على أفراد ممتازين لا يعود إلى التعليم ، بل يعود إلى العمل على تحسين النسل . ص ٢٨٦ .

ويقول (ثيرستون ، ١٩٦٠ م) :

فالطفل يرث من أبويه بعض المميزات والسمات الجسمية وبعض الاتجاهات العقلية . ص ٨٦ .

ولهذا جاءت الشريعة الإسلامية - من قبل أربعة عشر قرناً - بالأمر بحسن اختيار الزوجة صلاحاً ونقاءً .

فقد أمر الرسول ﷺ باختيار ذات الدين عندما يبين مرغبات الرجال في اختيار النساء ، « .. فَاصْطَفَىٰ بِنَاتِ الدِّينِ تَرَبَّتْ يَدَاكَ » (أخرجه البخاري ، رقم ٥٠٩٠ ، ك النكاح ، باب الأكفاء في الدين ، ج٦ ، ص ١٥٠) .

ويقول ﷺ : « تَخَيَّرُوا لِنُطْفِكُمْ فَأَنْكِحُوا الْأَكْفَاءَ وَأَنْكِحُوا إِلَيْهِمْ » (رواه الحاكم ، ك النكاح ، ج٢ ، ص ١٦٣) .

وذلك لما للسلالة الطيبة من أهمية في الإسلام .

يقول (عاقل ، ١٩٨٢ م) :

« وراثته المولود لا يحددها أبواه المباشران فقط ، بل يرث المولود من جده و جدود جده وهكذا » . ص ٣٦ .

كما رغب الإسلام في نكاح الأبقار فقال ﷺ : « فَهَلَا بَكْرًا تَلَاعِبَهَا وَتَلَاعِبَكَ وَتَضَاجِكُهَا وَتَضَاجِكَ » (رواه مسلم ، ك الرضاع ، باب استحباب نكاح البكر ، ج٢ ، ص ٨٨١) .

وبهذا سبق الإسلام الدراسات الحديثة التي توصي بتحسين النسل عن طريق الإنجاب من زوجين في ريعان الشباب وطرق السبل التي من شأنها حماية هذا النسل من العاهات الخلقية والعقلية .

يقول (السيد ، ١٩٧٥ م) : « وقد دلت بعض الدراسات والبحوث أن نسبة الأطفال المشوهين والمعتوهين تزداد تبعاً لزيادة عمر الأم وخاصة بعد سن الـ ٤٥ سنة » . ص ٦٦ .

ومن هنا يحرص المسلم عند رغبته في النكاح على اختيار البكر الصغير المحببة إلى النفس ليصبح النسل سليماً قوياً ، لأنّ الصحة النفسية والجسمية عند البكر في الغالب تكون أفضل منها عند الكبيرة والثيب وينعكس ذلك على نسلها .

ويشرع للمسلم الاستخارة عند خطبة المرأة وإقامة وليمة العرس وذكر الدعاء المأثور عند الدخول بها ، حتّى إذا كتب لهما مولود لا يمسه شيطان .

وإذا ما رزق الأبوان بمولود شرع لهما الأذان في أذنه وتحنّيكه واختيار الاسم الحسن له ، والعقيقة عنه ، وحلقه وختانه . وقد سنّ الإسلام هذه الأحكام والسنن للأطفال بعد الولادة ليربط المسلم بأحكام دينه منذ ولادته ونعومة أظافره . ثمّ جاءت أحكام الإسلام - بعد ذلك - بالاهتمام برضاعته وحضانه ورعايته وكفالة حقوقه على الوالدين والإخوة والأقارب وضمنت له التربية القويمة والتعلّم المطلوب .

يقول تعالى : ﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتََرْضِعُوْا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [سورة البقرة ، الآية ٢٣٣] .

بهذا حدّد المولى ﷺ قضية الرضاعة والحضانة ، وربط ذلك بتقواه حتّى لا يقصّر الوالد - ومن في حكمه - في واجبه نحو الطفل الصغير ، بل يقوم بما عليه في الرعاية التي تكفل له السلامة الجسمية والعقلية والاستقامة الخلقية .

ولم يهمل الإسلام الحب والعطف والرحمة والحنان على الصغار ، بل استفاضت سنة المصطفى ﷺ بهذا الجانب الأساسي في التربية .

ففي سنن الترمذي عن أبي هريرة ؓ أَنَّ الْأَقْرَعَ بْنَ حَابِسٍ رَأَى النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ يَقْبَلُ الْحَسَنَ ، فَأَخْبَرَهُ أَنَّ لَهُ عَشْرَةَ مِنَ الْوَلَدِ لَمْ يَقْبَلْ أَحَدًا مِنْهُمْ ، فَقَالَ ﷺ : « إِنَّهُ مَنْ لَا يَرْحَمُ لَا يُرْحَمُ » (رواه الترمذي ، رقم ١٩١١ ، ك البر والصلة ، باب ما جاء في رحمة الولد ، ج ٤ ، ص ٣١٨) .

وقدم عليه ﷺ جماعة من الأعراب ينكرون تقبيل الصبيان ، فقال لهم : « وَأَمَّا أَنْتُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ نَزَعَ مِنْكُمْ الرَّحْمَةَ » (رواه مسلم ، رقم ٢٣١٧ ، ك الفضائل ، باب رحمته ﷺ الصبيان والعيال وفضل ذلك ، ج ٤ ، ص ١٤٤٣) .

ففي فعل النبي ﷺ إظهار للحب والحنان للأولاد ليكون ذلك منهجاً للأمة وللمربين على وجه الخصوص في تربية أطفالهم .

وقد جاء الحث على كفالة الطفل وتعليمه وتأديبه . يقول ﷺ : « مَنْ عَالَ جَارِيَتَيْنِ حَتَّى تَبْلُغَا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنَا وَهُوَ وَضُمَ أَصَابِعُهُ » (رواه مسلم ، رقم ٢٦٣١ ، ك البر والصلة ، باب فضل الإحسان إلى البنات ، ج ٤ ، ص ١٦٠٩ ، من حديث أنس بن مالك ؓ) .

ويقول ﷺ : « مَا نَحَلَ وَالِدٌ وَلَدًا مِنْ نَحْلٍ أَفْضَلَ مِنْ أَدَبٍ حَسَنٍ » (رواه الترمذي ، ك البر والصلة ، باب ما جاء في أدب الولد ، ج ٤ ، ص ٣٣٧ ، ٣٣٨) .

ثم يرتب الرسول ﷺ المسؤولية العامة لكل من له أدنى ولاية على المسلمين ومنها مسؤولية الرجل ومسئولية المرأة عن رعيتهما في البيوت .

يقول ﷺ : « ... وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا » (رواه البخاري ، رقم ٨٩٣ ، ك الجمعة ، باب الجمعة في القرى والمدن ، ج ١ ، ص ٢٤٢ ، من حديث عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما -) .

وأول ما يتبادر إلى الذهن ويأتي في مقدمة مسئوليات الرجل والمرأة مسئوليتهما تجاه أطفالهما في الرعاية والعناية والكفالة والتعليم والتأديب .

ولا يقتصر أثر التنشئة الصالحة للطفل على نفسه بل يتعداه إلى الأبوين والأسرة والمجتمع في الدنيا والآخرة . يقول ﷺ :

« إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ : إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ » (رواه مسلم ، رقم ١٦٣١ ، ك الوصية ، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته ، ج٣ ، ص ١٠١٦ من حديث أبي هريرة ؓ) .

وفي الحديث الشريف الإشارة إلى الأثر الطيب المتعدي نفعه للتربية الصالحة في نمو المجتمع ونشر العلم .

ومما سبق يتضح أَنَّ الإسلام قبل أي نخلة أو أمة أو حضارة أو منظمة اعتنى بالطفولة أيما اعتناء ، ورعاها أيما رعاية ، ووضع لها أسساً ربّانية تكفل لها النشأة السوية والطمأنينة والسعادة في الدنيا والآخرة ، إذا ما تلمّس المسلمون هذه الأسس وجعلوها منهجاً لتربية أطفالهم علماً وعملاً .

أما العلاقة بين مرحلة الطفولة وموضوع البحث وهو الصدق فعلاقة وطيدة ، حيث إنَّ غرس خلق الصدق في نفوس الأطفال في هذه المرحلة هو موافقة لفطرة الطفل لكونه فطر محباً للحق والصدق ومبغضاً للظلم والكذب . والكذب ليس من طباع الإنسان السوي وفطرته ، بل يكتسبه من خلال بيئته ومؤثرات الهوى والشهوة . ولذا يكون غرس الصدق في نفسه قولاً وفعلاً من أهمّ عوامل نشأته عليه وجهه له .

المؤسسات التربوية والدور الذي يمكن أن تقوم به في تربية الأطفال على خلق الصدق :

للتربية مؤسساتها الكثيرة المتعددة التي يساهم كل منها بدوره في تربية الجيل على الهدف الذي ينشده المجتمع أو ترمي إليه الأمة في جميع الجوانب الروحية والخلقية والعقلية والجسمية والاجتماعية ، ومن أهم هذه الوسائط والمؤسسات التربوية وأكثرها أثرًا :

١- الأسرة ودورها .

٢- المدرسة .

٣- المسجد .

٤- وسائل الإعلام .

٥- المجتمع ويمثله (الرقعة والأصدقاء) .

أولاً : الأسرة ودورها في تربية الأطفال على خلق الصدق :

الأسرة هي اللبنة الأولى من لبنات المجتمع ، وذلك أنَّ المجتمع يتكوّن من مجموع الأسر ، وكلّ أسرة تكوّن وحدة أولية ، وبانضمام هذه الوحدات بعضها إلى بعض يتكوّن المجتمع . ومن هنا فإنّ بناء المجتمع الصالح مشروط بالاهتمام بالأسرة وبنائها على أسس سليمة لتقوم بدورها ومسئوليتها التربوية في تنشئة الأجيال على أكمل وجه .

والسبيل المشروع لتكوين الأسرة هو الزواج . قال تعالى : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [سورة الروم ، الآية ٢١] .

ولا شك أنَّ حسن اختيار الزوجة من أقوى الأسباب في استقرار الأسرة وتماسك بنائها . يقول الرسول ﷺ :

« تَنْكَحُ الْمَرْأَةُ لِأَرْبَعٍ : لِمَالِهَا وَلِحَسَبِهَا وَجَمَالِهَا وَلِدِينِهَا ، فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرَبَّتْ يَدَاكَ » (أخرجه البخاري ، رقم ٥٠٩٠ ، ك النكاح ، باب الأكفاء في الدين ، ج ٦ ، ص ١٥٠ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه) .

والمعنى الذي يهدف إليه الرسول ﷺ من هذا الحديث هو أن يحرص المسلمون في بنائهم للأسرة على تحري الزوجة الصالحة ، ذات الأصل الطيب والمنبت الحسن ، لأنَّ أخلاق المرأة تتأثر غالباً بالبيئة التي نشأت فيها ، وتربَّت في أحضانها ، كما أنَّ أبناءها يرثون عنها الكثير من أخلاقها وطباعها ، إذ أنَّ كلَّ إناء بما فيه ينضح ، لذلك ندب ﷺ إلى اختيار المرأة من بيئة متديّنة حتَّى تنقل إلى ذريّتها من الأبناء والبنات الطباع الكريمة والقيم الفاضلة . وفي المقابل حثَّ ﷺ وليَّ المرأة على حسن اختيار الزوج الكفء الذي يتمتع بالخلق الكريم ، ويلتزم بأمور دينه ، ولديه القدرة على قيادة الأسرة والقيام بحقوق الزوجة والأولاد . يقول ﷺ في هذا الأمر : « إِذَا خَاطَبَ إِلَيْكُم مَّنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَرَّوْجُوهُ ، إِلَّا تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ عَرِيضٌ » (رواه الترمذي ، ك النكاح ، باب فيمن ترضون دينه ، ج ٢ ، ص ٢٧٤) .

يقول (عرفة ، ١٣٩٨ هـ) :

« والأسرة هي الخلية التي تربي أصول النزوع الاجتماعي في الإنسان في أول استقباله للدنيا ، ففيها يعرف ماله من حقوق ، وما عليه من واجبات ، وفيها تكون مشاعر الألفة والمحبة .. وتبذر بذور الإيثار وغيره من الخلال والفضائل فتنمو أو تحبو بما يصادفها من أجواء في الحياة العامة والخاصة » . ص ١٧ .

والأسرة هي المسئولة الأولى عن تلقين الطفل أساسيات أمور دينه ، والحفاظ على فطرته وصيانتها من الانحراف . يقول ﷺ : « كُلُّ مَوْلُودٍ يُوَلَّدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يَهُودَانِهِ أَوْ يَنْصَرَانِهِ أَوْ يَمَجْسَانِهِ ، كَمَثَلِ الْبَهِيمَةِ تُنْتَجُ الْبَهِيمَةُ ، هَلْ تَرَى فِيهَا جَدْعَاءَ » (رواه البخاري ، رقم ١٣٨٥ ، ك الجنائز ، باب ما قيل في أولاد المشركين ، ج ٢ ، ص ١٢٧) .

وتأثر الطفل بالمجتمع المحيط به يبرز أهمية الأسرة التربوية .

يقول (الصالح ، ١٤٠٣ هـ) :

« فالترية تبدأ عن طريق المحاكاة والتلقين ، ذلك أنَّ الطفل ينشأ فيرى أبويه يقرآن القرآن ، ويقىمان الصلاة ، ويصومان رمضان ويمارسان غير ذلك من الشعائر الدينية المختلفة فتتطبع في ذهنه هذه الصور ويترسم خطاها بالتقليد » . ص ٢٤٨ .

اهتمام الإسلام بالأسرة :

من التمهيد السابق يتضح أنَّ الإسلام اهتم ببناء الأسرة وعمل على تماسك بنيانها من النواحي التالية :

١ - تكوين الأسرة بالزواج وطلب الذرية الصالحة . قال تعالى :

﴿ وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [سورة الروم ، الآية ٢١] .

ولقد استفاضت سنة المصطفى ﷺ بالتوجيهات النبوية الحاثية على التناسل وكثرة الولد ، ومن ذلك قوله ﷺ : « تَزَوَّجُوا الْوُدُودَ الْوُلُودَ فَإِنِّي مُكَاثِّرُ بِكُمْ الْأُمَمَ » (رواه الحاكم ، ك النكاح ، ج ٢ ، ص ١٦٢) .

وقوله ﷺ : « مَا مِنَ النَّاسِ مُسْلِمٍ يَمُوتُ لَهُ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْوَلَدِ لَمْ يَبْلُغُوا الْحِنْثَ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ إِيَّاهُمْ » (رواه البخاري ، رقم ١٣٨١ ، ك الجنائز ، باب ما قيل في أولاد المسلمين ، ج ٢ ، ص ١٢٦) .

يقول (قادري ، ١٤٠٦ هـ) :

« وما ورد في السنّة من الترخيص في العزل مع الكراهية فإنّه لا ينبغي أن يؤخذ من هذا الترخيص جواز استعمال وسائل منع الحمل لعامة الناس ، فإنّ هذا ينافي مقصود الشارع الحكيم من حفظ النسل واستمراره » . ص ٨٢ .

ولقد جاءت شريعة الإسلام بإباحة تعدّد الزوجات لأسباب عديدة ومنها طلب الذرية والاستكثار منها ، كما حرّمت الشريعة ومنعت كلّ ما يعوق تحقيق هذا المقصد ، فمما حرّمته الرهبانية والتبتل وغيرها من المعوقات .

٢ - فطر الله الأبوين على حبّ الأطفال والعطف عليهم :

إنّ المشاعر والعواطف الأبوية مغروزة في قلوب الآباء والأمهات ، متأصلة فيها لبناء الأسرة التي تقوم على حماية الأبناء والرحمة بهم والاهتمام بأمورهم ، ولولا هذه المشاعر لما استمرت الحياة البشرية ، ولما صبر الأبوان على رعاية أولادهما .

يقول (عبدالعزيز وزميله) :

« فالأسرة هي البيئة الطبيعية التي تتعهد الطفل بالتربية ، لأنّ غريزة الأبوة والأمومة هي التي تدفع كلاً من الأب والأم إلى القيام برعاية الطفل وصيانتته ولاسيما في السنوات الأولى من طفولته » . ص ٨٤ .

ومن الآيات القرآنية التي تشير إلى هذا الأمر قوله تعالى : ﴿ الْمَالُ وَالْبَنُونَ
زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾ [سورة

الكهف ، الآية ٤٦] .

وقوله تعالى :

﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ
إِمَامًا ﴾ [سورة الفرقان ، الآية ٧٤] .

٣ - إثبات نسب الأولاد :

ومن الحقوق التي شرعها الإسلام إثبات النسب للمولود لحفظه وصيانتة من
الضياع والتشرد إلى جانب المحافظة على المجتمع من شيوع الفواحش وانتشار
اللقطاء . وقد ورد الوعيد الشديد لمن أنكر ولده وجحد نسبه .

يقول ﷺ : « وَأَيُّمَا رَجُلٍ جَحَدَ وَلَدَهُ وَهُوَ يَنْتَظِرُ إِلَيْهِ ، احْتَجَبَ اللَّهُ مِنْهُ
وَفَضَحَهُ عَلَى رُءُوسِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ » (أخرجه الدارمي ، ك النكاح ، باب من جحد ولده
وهو يعرفه ، ج ٢ ، ص ١٥٣) .

كما ورد أيضاً التحذير والوعيد لمن انتسب إلى غير أبيه وهو يعلم ، يقول ﷺ :
« مَنْ ادَّعَى أَبًا فِي الْإِسْلَامِ غَيْرَ أَبِيهِ يَعْلَمُ أَنَّهُ غَيْرُ أَبِيهِ فَالْجَنَّةُ عَلَيْهِ حَرَامٌ » (رواه
مسلم ، رقم ٦٣ ، ك الإيمان ، باب حال من رغب عن أبيه وهو يعلم ، ج ١ ، ص ٧٩) .

وهكذا تحصن الشريعة المجتمع من شيوع الفساد وتمنع أسباب قطيعة
الأرحام ، وظلم الذرية واختلاط الأنساب . كما أنَّ إثبات النسب تترتب عليه
حقوق أخرى مثل الولاية في الصغر والنفقة والإرث وغير ذلك من الأمور التي
ذكرها الفقهاء - رحمهم الله - في كتب الفقه .

الأهداف التربوية لتكوين الأسرة :

ذكر (النحلاوي ، ١٤٠٣ هـ) أهم أهداف تكوين الأسرة في النقاط التالية :

١ - إقامة حدود الله : أي تحقيق شرع الله في كل شأن من شؤون الأسرة .

٢ - تحقيق السكون النفسي والطمأنينة .

٣ - تحقيق أمر الرسول ﷺ بإنجاب النسل المؤمن الصالح .

٤ - إرواء الحاجة إلى المحبة عند الأطفال . ص ١٢٢ ، ١٢٣ .

أما علاقة الأسرة بتربية الأطفال على خلق الصدق فتتمثل في الأقوال والأفعال والقدوة .

الأقوال :

من الواجب على الأبوين ألا يسمع أطفالهما منهما كلاماً ثم يسمع ما يناقضه فإن ذلك يهدم قيمة الصدق ويبحث على تعلّم الكذب واعتياده .

الأفعال :

وأما الأفعال فليحرص الوالدان على تطابق الأقوال مع الأفعال في كل تصرفاتهما وألا يكذبا أقوالهما بمخالفة الأفعال لها .

والقدوة الحسنة :

من الأب والأم وجميع أفراد الأسرة ، فهي أفضل طرق التربية على الصدق في سنّ الطفولة .

يقول (النحلاوي ، ١٤٠٣ هـ) :

« إن حاجة الناس إلى القدوة نابعة من الغريزة الفطرية الملحة في كيان الإنسان التي تدفعه نحو التقليد والمحاكاة خاصة الأطفال الصغار » . ص ٢٣١ .

فالصغار أكثر تأثراً بالقدوة ، إذ يعتقد الطفل في سنواته الأولى أن كل ما يفعله الكبار صحيح ، فهم يقلّدون آباءهم ويقتدون بهم في الخير والشر ، والفضيلة والرذيلة . ولو وجد الطفل أمّه تكذب على أبيه ، أو أباه يكذب على أمّه ، أو أحدهما يكذب على الإخوة والجيران ، مرّة واحدة لكانت كفيلة بأن تزعزع قيمة « الصدق » في نفسه لكونه يرسم لوالديه صورة أقرب إلى الكمال في كل شيء . وهذا مما يدعو الوالدين إلى تقدير مكانتهما وتحمل مسؤوليتهما في تربية أطفالهما على الخلق القويم من الصدق والأمانة والعفاف وبقية مكارم الأخلاق وفضائلها .

وللوالدين أن يطرقا باب التلقين والقصص ، فيلقنا أطفالهما شيئاً ميسراً من الكتاب والسنة في خلق الصدق وأخبار الصادقين ، ويقصّوا بعض القصص بأسلوب سهل ميسر عن صدق النبي ﷺ وصحابته رضوان الله عليهم ، وبالمقابل يحذّروا من الكذب وأهله وعاقبته الوخيمة . وهذا الأسلوب عادة يكون لمن قارب السادسة من عمره فما فوقها .

وإذا ما طبقت الأسرة التربية القويمة تجاه أبنائها جنت ثمارها اليانعة .

يقول (زنجير ، ١٤٠٩ هـ) :

وهكذا تظهر نتائج هذه التربية وآثارها في المحافظة على حقوق الله ، وحقوق الآخرين ، وضبط السلوك حسب منهج الله . ص ٢٠٠ .

وسيجني الآباء ثمار تلك التربية طاعة لله وصدقاً وإخلاصاً وبراً لتقرّ أعينهم مصداقاً لقوله تعالى :

﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴾ [سورة الطور ، الآية ٢١] .

ثانياً : دور المدرسة والمعلمين في تربية الأطفال على خلق الصدق :

المدرسة من المؤسسات التربوية الكبرى التي ترسم آثاراً واضحة في العملية التربوية ، وتطبع الأجيال على تحقيق أهداف الأمة بطريقة منظّمة .

يقول (قطب) في كتابه « أولادنا في ضوء التربية الإسلامية » :

« والمدرسة موئل له أهميته القصوى وقيّمته العظمى ، إنها ينبوع العلم ، وزاد المعرفة ، فكلما كان منهلها صافياً ، وزادها شهياً دسماً ، وساقها فطناً حاذقاً غدت روادها بما يتوافق ومتطلبات الضرورة والحاجة وبما ينمي عقولهم ومداركهم ، ويصقل مواهبهم ، ويبرز كفاءاتهم » . ص ٩٣ .

وإذا كانت الأسرة هي البيئة الطبيعية التي تتعهد الطفل بالتربية ، فإنّ المدرسة هي الأداة المكّملة للتربية في الأسرة . يقول (عبدالعزيز وزميله) : المدرسة هي الأداة التي تعمل مع الأسرة على تربية الطفل ، وهي أداة صناعية غير طبيعية إذا قورنت بالأسرة ، ولكنها أداة ناجحة . فمن المقرر أنّ الأسرة لا تستطيع القيام وحدها بعملية التربية جميعها ، لأنّ وقت الأسرة لا يسمح بالإشراف المستمر طوال مرحلة الطفولة والمراهقة والبلوغ ، ولأنّ التربية في المدرسة عملية تخصص تحتاج إلى مربّين لهم خبراتهم ومعرفتهم بطبيعة الطفل وما تحتاج إليه من وسط مناسب وأدوات ومعلومات ، وجوّ يستثير نشاطه ورغبته في العلم والتعلّم . ص ٨٤ .

وإذا كانت المدرسة هي المكّملة للتربية في الأسرة ولها إمكاناتها العلمية والبشرية والمادية بما لا تملكه الأسرة ، فلا شكّ في تأثيرها الكبير في تربية المتعلّم . والمتعلّم يتأثر في المدرسة بعناصرها الأساسية من معلّم وكتاب ومجتمع مدرسي .

دور المعلم :

يعتبر الرسول ﷺ المعلم الأول لهذه الأمة ، إذ بعثه الله تعالى ليخرج الناس من الظلمات إلى النور ومن الضلالة إلى الهدى ويعلمهم الكتاب والحكمة .

يقول تعالى :

﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾
[سورة آل عمران ، الآية ١٦٤] .

والمعلم له في النبي ﷺ الأسوة الحسنة في إيمانه وحسن تعليمه وحسن خلقه ومطابقة أفعاله لأقواله .

إنَّ وجود المربي الصادق المخلص ، الذي يدرك حقيقة عمله وعظم مسؤوليته خير معين على تحقيق الأهداف التربوية للمدرسة .

يقول (الندوي ، ١٤١٠ هـ) :

« يتوقف تحقيق الأهداف التربوية على وجود معلمين يؤمنون بهذه المبادئ والغايات ويخلصون لها كل الإخلاص ، ويدعون إليها بإيمان وحكمة ، وتكون حياتهم مثلاً لما يدعون إليه ... ولا ينجح نظام تعليمي ، ولا يؤدي أكله مهما كان كاملاً محكماً إذا كان المعلمون مذبذبين ، متناقضي الفكرة ، لا تتفق حياتهم مع رسالة الدين والعلم . إذاً فقضية اختيار المعلمين ليست بسيطة ... ليس أساسه العلم وحده ، والمقدرات التعليمية والمؤهلات العلمية فحسب ، بل يجب أن تكون للسيرة والخلق والمبدأ والغاية والإيمان والعقيدة المكانية الكبرى في اختيار المعلم » . ص ٢٢ .

والمحصلة أن يتأثر المتعلم بمعلمه من خلال الأقوال والأفعال والعقيدة والسلوك والمظهر والحركات . يقول (الأهواني) : « ومن الطبيعي أن يكون تأثير المعلم في نفوس الصبيان أقوى وأشدّ وأعمق من تأثير أهله ، فهو الذي يقدم لهم الغذاء العقلي والديني ، وهو الذي يطبعهم على العادات ويثبت فيهم آداب السلوك . ص ١٩٧ .

وهذا التأثير الكبير يوجب على المؤسسات التربوية أن تدقق في اختيار المعلم ذي الفكر الإسلامي الأصيل .

يقول (خياط ، ١٤٠٧ هـ) :

« لينطلق تصوّر المسلم وتفكيره من منطلق إسلامي ، يختار على أساس من عقيدته وسلوكه وأخلاقه » . ص ١١٨ .

ويرى الباحث أنّ المعلم ينبغي له أن يتصف بسلامة العقيدة وغزارة العلم في تخصّصه والإحاطة بطرق التدريس وأساليبه المناسبة ، والثقافة العامة الواسعة ، والخلق العظيم والسلوك القويم ، والإخلاص والصدق في الأقوال والأفعال ، والوعي للمؤثرات والاتجاهات العالمية وأحوال المسلمين على وجه الخصوص ، وكيد الأعداء لهم ، حتّى يستطيع أن يقوم بمهمته كمربّ مسلم ، وحتى يستفيد منه أبنائه الطلاب ، ويؤثر فيهم التأثير المطلوب بالفعل قبل القول .

ومتى ما قامت التربية باختيار المعلم من أهل العلم والصلاح ظهر تأثيره جلياً واضحاً من خلال قيادته لطلابه وإغداقه عليهم بعلمه وأخلاقه من منطلق إسلامي أصيل .

دور الكتاب المدرسي :

من الوسائل المهمة المساعدة للمعلّم والمتعلّم الكتاب المدرسي الذي ينبغي أن يكون مستنداً إلى الأصول والمصادر الإسلامية في بنائه وإعداده ، كما يمكن الاستئارة - بعد ذلك - وأفكار وآراء علماء الإسلام الذي كانت لهم جهود كبيرة في هذا المجال .

يقول (الندوي ، ١٤١٠ هـ) :

« ذلك أنّ التربية لباس يفصل على قامة الشعوب وملاحمها القومية ، وتقاليدها الموروثة ، وآدابها المفضّلة وأهدافها التي تعيش بها وتموت في سبيلها ، إنّ لباس يجب أن ينسجم مع أجوائها ، وبيئاتها التي تعيش فيها ، والآداب والعادات التي تحتضنها والتاريخ الذي تغار عليه ، والنماذج والمثل العليا التي تعشقها » . ص ٧٠ ، ٧١ .

وهذا لا يعني إبعاد ما توصّل إليه غير المسلمين من العلوم النافعة ، بل الواجب علينا تسخير ما لا يتعارض مع مبادئ ديننا وعقيدتنا في الوصول إلى الأهداف والغايات السامية التي نسعى إلى تحقيقها في أمور معاشنا ومعادنا .

ومن الاهتمام بالكتاب المدرسي العناية بمادته وإخراجه ليحذب التلاميذ إليه ويحقق أهداف التربية .

يقول (مجاور ، ١٣٩٦ هـ) : وأهمّ مواصفات الكتاب المدرسي أن يؤلّف الكتاب في ضوء الأهداف العامة للمجتمع ، وأن يتضمّن نهجاً يرشد المعلّم إلى طريقة استعماله ، وأن يستجيب لحاجة التلاميذ ، وأن يربط الدين بمشكلات المجتمع وواقع الحياة ، وأن يراعي مستوى التلاميذ ، وأن يكون مشوّقاً جذاباً . ص ١٦٦ ، ١٦٧ .

والمُتعلِّم يتأثر بالكتاب المدرسي من خلال ما يقدمه المحتوى وما يدعو إليه ، فإذا حصل التوافق التام بين كتب جميع المواد التخصصية فلا يناقض بعضها بعضاً كان الأثر إيجابياً في صدق محتواها وتعدى أثره إلى المتعلمين ، وإذا حدث خلاف ذلك كأن يتضمن كتاب الفقه حكم الربا في الإسلام ، ثم يدرس في كتاب الاقتصاد الربا كدعامة اقتصادية ومورد هام من الموارد المالية كان التناقض الواضح والحيرة عند المتعلمين .

ومع الأهمية الكبرى للكتاب المدرسي وأثره إلا أن المعلم له الدور الأكبر في تأثر المتعلم بالكتاب ، وذلك من خلال بيان فضل العلم وتحبيب القراءة في نفوس طلابه وتوجيه أنظارهم إلى التمييز بين النافع والضار ، والتحذير من الكتب التي تناقض العقيدة وتخالف أحكام الإسلام .

أما دور الكتاب المدرسي في تربية المتعلم على خلق الصدق فيتمثل في صدق محتواه وتلييته لحاجات المتعلم وواقعه المعاصر ، والربط الدائم بين ما يقدمه الكتاب من موضوعات ومشكلات وأحكام الإسلام فيها ، وأن لا يحدث ازدواجية بين موضوعات الكتاب وبين وسائط التربية الأخرى من إعلام وغيره ، كما ينبغي أن يقدم الكتاب نماذج من سير الأنبياء والصديقين في خلق الصدق وأن يحذر من سير المنافقين الكاذبين ، وبهذا يؤدي الكتاب دوره في تربية المتعلم على خلق الصدق وامتناله في القول والفعل والتطبيق .

دور المجتمع المدرسي :

إنَّ المتعلم - ولا سيما في صغره - يحتاج إلى التربية الاجتماعية على أساس من القيم الفاضلة والمثل العليا . وهذا النوع من التربية يحتاج إلى بيئة اجتماعية تعرف

ما يناسب المتعلّم وما لا يناسبه ، وتدرّك كيفية إعدادهِ إعداداً اجتماعياً صحيحاً ، ولها وسائلها وإمكاناتها ، وليس هناك أصلح من المجتمع المدرسي في هذا الأمر .

يقول (بكر ، ١٩٨٣ م) :

« ومن خلال تعامل المتعلّم وعلاقاته بمعلميه وزملائه يكتسب العادات والقيم والأخلاق ، ويعتمد ذلك على مدى قدوة المعلمين ، والتزام المجتمع المدرسي للآداب الاجتماعية الإسلامية . وعلى المعلمين أن يكونوا خير أسوة لتلاميذهم وأن يعودوهم التعاون واحترام بعضهم بعضاً ، وعلى التربية الاجتماعية في المدرسة أن تهتم بتعريف التلاميذ بالحقوق والواجبات ورعايتهم بالمودّة والرحمة » . ص ٣٧٨ .

ومما يدعم المتعلّم في المجتمع المدرسي الأنشطة المدرسية التي تعني صرف طاقات المتعلمين في أعمال يقبلون عليها من تلقاء أنفسهم .

يقول (النحلاوي ، ١٤٠٣ هـ) :

وهذه الأنشطة تستهويهم وتحقق ميولهم وذاتيتهم ، وتناسب استعدادهم ، وتبعث فيهم المرح والحيوية والتفاؤل ، وتحبّب المدرسة إلى نفوسهم ، وتشعرهم بكيانهم الاجتماعي ... وتشبع بعض حاجاتهم النفسية كالحاجة إلى التقدير واللعب والمرح » . ص ١٦٧ .

وعلى المدرسة أن تهتم بالأنشطة لتنمي العلاقات الأخوية بين المتعلمين ، وأن تهتم بالإذاعة على وجه الخصوص لبثّ المواضيع والكلمات التي تدعو إلى مكارم الأخلاق كالصدق والأمانة والحياء وتنهى عن مساوئها من كذب وخيانة وفحش وغيرها .

ويرى الباحث أنَّ المجتمع المدرسي له دور كبير في تربية المتعلّم على خلق الصدق ، إذا استغلّ علاقاته وأنشطته في التناصح والتعاون ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وبنى علاقاته الاجتماعية على أساس التقدير والاحترام ، واستطاع أن يقيم بينه وبين البيت جسراً من التعاون في تربية المتعلّم على الآداب الفاضلة والأخلاق النبيلة ، وقام المعلّمون بواجبهم في إعطاء القدوة الصالحة وامتنال السلوك القويم .

ثالثاً : المسجد ودوره التربوي في تربية الأطفال على خلق الصدق :

ومما يدلّ على مكانة المسجد وعظم منزلته عند الله أنَّ المسجد الحرام أوّل بيت وضع للناس في الأرض للعبادة والنسك ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴾ [سورة آل عمران ، الآية ٩٦] .

ولقد فضّل الله المساجد ورغب في بنائها وعمارتها حسّاً ومعنى ، وجعل أصل وظائفها ذكره سبحانه وإقام الصلاة له ، قال تعالى : ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ . رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴾ [سورة النور ، الآيتان ٣٦ ، ٣٧] ،

ثمّ أمر تعالى إبراهيم عليه السلام ببناء البيت ورفع قواعده ، قال تعالى : ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [سورة البقرة ، الآية ١٢٧] .

وكان أوّل مسجد بني في الإسلام مسجد قباء الذي قال الله عنه : ﴿ لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ ﴾ [سورة التوبة ، آية ١٠٨] .

وعندما وصل النبي ﷺ المدينة كان أوّل أعماله بناء المسجد وذلك ليكون محراباً للعبادة ومنارة للعلم ومجلساً للشورى .

دور المسجد التربوي :

يتجلى دور المسجد التربوي في الأصل في كونه المكان الذي يؤدي فيه المسلمون صلواتهم الخمس ولذكر الله تعالى وتلاوة القرآن الكريم ، ثم لتعلم العلم ومعرفة أحكام الدين ، ولا عجب فقد كان أوّل المؤسسات التربوية التي انطلقت منها شعاع العلم والمعرفة في الإسلام .

يقول (النحلاوي ، ١٤٠٣ هـ) :

كان المسجد يضم شتات المسلمين ، يجمعون فيه أمرهم ، ويتشاورون لتحقيق أهدافهم ، وكان منطلقاً للجيش الفاتحة وحركات التحرير ، ومركزاً تربوياً لتعليم القرآن وتلاوته وتعليم الحديث والفقه والفضيلة وغرس حب العلم في النفوس . ص ١٢٠ ، ١٢١ .

وفي هذا إشارة واضحة على أنّ العلم في الإسلام نشأ في أحضان الدين ، وأنشئت المدارس داخل المساجد ، وبدأت الجامعات العريقة تحت سقوف الجوامع ، وكانت هذه الجوامع تدرس علوم الدين والدنيا معاً .

يقول (السدلان ، ١٤١٥ هـ) :

وقد استمرت المساجد تؤدي دورها العلمي والتربوي العظيم قروناً طويلة من الزمن ، حتّى إذا أصبحت الأمة الإسلامية في مرحلة الغنائية من الداخل وتكالب قوى الشر والغزو عليها من الخارج ضعف دور المسجد وانحسر مدّه ونضب نبعه أو كاد في كثير من بلدان الإسلام .. ولكن ما فتئت روح الإسلام تدبّ في كلّ

عرق من عروق العالم الإسلامي فتدفعه إلى الإسلام دفعاً متواصلاً ، ونتيجة لهذه اليقظة الواعية والصحة المباركة بدأت المساجد تستعيد دورها الرائد في المجتمع المسلم توجيهاً وتعليماً وتربية . ص ٨ ، ٩ .

وإذا ما أعطى المسلمون - اليوم - المسجد ما يستحق من أهمية باعتباره شعار حياتهم ودلالة إيمانهم أثر فيهم كما ظهر تأثيره في خير قرون الأمة وسلفها .
تقول (جبار ، سهام مهدي ، ١٤١٧ هـ) :

فالمسجد قلب المجتمع وعقله ، والمجتمع جسم الإسلام وحواسه ، وليس هناك أي انفصال بين المسجد باعتباره مركز توجيه وبين المجتمع الكبير ، فكان المسلمون يجتمعون فيه للمشورة وتبادل الرأي في شؤونهم الهامة ، وبذلك لعب المسجد دوراً خطيراً في حياة المسلمين ، وقد ربى الرسول ﷺ في مسجده رجالاً عمرت قلوبهم بالإيمان والتضحية ، وصهرت أنفسهم بالحن والشدائد ، وعلت أرواحهم بالقرآن . وبهذا حاز أكبر نصر عرفته البشرية حين استطاع أن يحول الدعوة إلى واقع عملي ، والفكرة إلى إيمان واعتناق ، والمبادئ والخلق والهمم إلى رجال . ولا يزال إلى اليوم مركزاً هاماً للوعي الإسلامي . ص ٤١٠ .

ويرى الباحث أنَّ المسجد له أثره الكبير في حياة المسلمين عموماً فهو المكان الذي تؤدي فيه الصلوات الخمس ولذكر الله وتلاوة القرآن ، ولسماع خطبة الجمعة ، والمناسبات في الإسلام ، ولحضور المحاضرات والندوات التي تقام في المسجد ، وهو المنظم الدقيق للأوقات في الليل والنهار وهكذا . وله الدور الكبير في تربية الناشئة من خلال أداء الصلوات الخمس ، والانتظام في خلق تحفيظ القرآن الكريم ، وسماع الخطب والدروس وبناء الأخلاق الفاضلة .

ويعتبر المسجد على هذا النحو أهم وسيلة تربوية في التأثير على المتعلم في غرس العقيدة وأحكام الشريعة والأخلاق في نفسه وسلوكه ، وبناء الصدق في أقواله وأفعاله .

رابعاً : وسائل الإعلام ودورها في تربية المتعلم على خلق الصدق :

تعتبر وسائل الإعلام اليوم منابر ذات قوة مؤثرة في العديد من أوجه النشاط الأخرى الاجتماعية والسياسية والتربوية والاقتصادية وغيرها ، ولقد نالت من الانتشار والسيطرة على أوقات الناس وعقولهم وأموالهم حظاً كبيراً ، ولا يكاد يخلو منها بيت أو مجلس أو وسيلة نقل لما تحمله من جاذبية وتشويق .

ولهذا فإنّ وسائل الإعلام من أهمّ المؤثرات التربوية على المتعلم ، ولها انعكاسات خطيرة على تربية الأبناء إذا أسيء استغلالها ، مما يستدعي أن يقوم المجتمع الإسلامي بمسئوليته كاملة في تربية أفرادها في حسن استعمالها ، وحمايتهم من ويلاتها ، فلقد أصبحت بالفعل أخطر وسيلة يمكن أن تصوغ فكر الإنسان وتغيّر تصوراتها واتجاهاته الفكرية والسلوكية .

يقول (علوان ، ١٤١٠ هـ) :

ومما لا شكّ فيه أنّ اختراع هذه الوسائل الإعلامية من مذياع وتلفزيون وآلة تسجيل .. وغيرها من أرقى ما وصل إليه العقل البشري . وإنها سلاح ذو حدين تستعمل للخير وتستعمل للشر ، فإن استخدمت في الخير ونشر العلم وتثبيت العقيدة وتدعيم الأخلاق الفاضلة ، وتوجيه الأمة إلى ما يصلحها في أمور دينها ودنياها ... فلا خلاف في جواز استعمالها ، أمّا إذا استعملت لترسيخ الفساد وتحويل الجيل الحاضر إلى طريق غير الإسلام .. فلا يشكّ عاقل منصف بجرمة استعمالها . ص ١٩٥ .

إنَّ وسائل الإعلام المختلفة من مذياع ، وصحيفة ، ومجلة ، وآلة تسجيل ، ومسرح ، وسينما ، وفيديو ، وتلفزيون ، لها تأثيرها الكبير على تربية الأبناء . ولكن التلفزيون - ومعه القنوات الفضائية التي غزتنا مؤخرًا - أخطر هذه الوسائل على الإطلاق .

ويعتبر التلفزيون أعظم وسائل الإعلام خطرًا بسبب انتشاره على نطاق واسع ، وغزوه للأسرة في عقر دارها وجذبه للمشاهد بالصوت والصورة ، مما يجعل التأثير به بأكثر من حاسة من حواس الإنسان ، ويكون تأثيره على الأطفال أكثر خطورة من غيرهم .

يقول (باحارث ، ١٤١٢ هـ) :

والتلفزيون أخطر وأهم جهاز إعلامي في هذا العصر ، يمكنه التأثير في الكبار والصغار ، وذلك لما شمله بناؤه التقني من الجمع بين الصورة والصوت ، مما يجعل رسالته الإعلامية أسهل وأقرب للاستيعاب والإدراك عند جميع الطبقات المثقفة منها وغير المثقفة . وقد شغف به الأطفال شغفًا شديدًا لما فيه من جذب وإمكانية فائقة على إشغال وقت الفراغ ، إلى جانب سهولة تناوله واستعماله . ص ٤٨٢ .

برامج التلفزيون في العالم الإسلامي :

تتضمن برامج التلفزيون في العالم الإسلامي التمثيليات والمسرحيات والمسابقات والنشرات الإخبارية والبرامج الرياضية والأفلام الأجنبية ، وقد يقدم بعض البرامج الإسلامية التي لا تتجاوز في بعض البلدان دقائق معدودة . ولكن أكثر هذه البرامج لا تتقيد بالآداب الشرعية ولا تعظم مبادئ الإسلام .

يقول (عبد الصمد ، ١٤٠٥ هـ) :

« فالتأمل لما تبثه الشاشة الصغيرة طوال ساعات إرسالها لا يصدق أنه يعيش في مجتمع دينه الإسلام » . ص ٢١ .

ولهذا تعتبر سلبيات برامج التلفزيون أكثر من إيجابياتها .

يقول (الشنتوت ، ١٤١٠ هـ) :

ومن ذلك أنها تقتل الوقت ، وتنشر الاختلاط ، وتعود على عدم غضّ البصر ، وتساهم في ضعف المتعلمين ، وتقطع الأواصر الأسرية ، وتعود على رؤية المنكر ، وتعظم الرياضة . ص ١١٢ .

ويرى الباحث أنّ وسائل الإعلام على مختلف أنواعها - وخاصة المرئي منها - من أعظم وسائل البناء أو الهدم على حسب ما سخرت له ، فإن سخرت في الخير بنت وأثرت ، وإن سخرت في الشرّ هدمت وأهلك .

وعلى البلدان الإسلامية - إن كانت تنتمي للإسلام حقاً - مسئولية إصلاح وسائل إعلامها بما يتفق وشريعة الإسلام ، فتصاغ الصحف والمجلات والإذاعات وقنوات التلفاز على نهج العقيدة الإسلامية الصافية وأحكام الشريعة الغراء ، وأخلاق الإسلام القويمة ، ويستبعد كلّ ما يخالف مبادئ الإسلام وأحكامه ، أو يחדش الأخلاق ويطنع الفضيلة . وأن تستغلّ وسائل الإعلام المختلفة في معالجة المشكلات التي تواجه العالم الإسلامي كالدعوة إلى العمل لمحاربة الفقر ، والإرشاد إلى الطرق الصحية لمحاربة المرض ، وكشف مخططات الأعداء لمواجهتها وإحباطها ، وأن تكون هذه الوسائل منبراً للدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . وبهذا تسير هذه الوسائل في طريق البناء وتعمل على عزّة المسلمين ورفع شأنهم .

وعلى الآباء تقع مسئولية انتقاء ما يناسب الأبناء من وسائل الإعلام ، وإدخال البدائل الممكنة ، فينتقى ما يناسب من الصحف والمجلات ذات الصبغة الإسلامية ، ويلجأ إلى البدائل عن برامج التلفاز الحالية باستخدام الفيديو لأفلام قيّمة ومفيدة وملتزمة بأداب الإسلام .

وبهذا تدعّم وسائل الإعلام الصدق في نفوس الناشئة وتربّهم عليه ، وتكون أداة تأييد وبناء لما تقوم به الأسرة والمدرسة والمسجد . فيعيش الناشئة الإسلام قولاً واعتقاداً وتطبيقاً ، وتكون ثمرة ذلك عزّة الإسلام ورفعة المسلمين .

خامساً : المجتمع ويمثله الرفقة والأصدقاء ، ودورهم في غرس خلق الصدق :

من العلاقات الثابتة بين الناس الصداقة والصحة ، لأنّ النفس البشرية ميّالة جداً إلى أن تتعرّف على الناس وتخالطهم وتتعاشر معهم وبالتالي تختار جماعة تشعر بالألفة معهم والاقتراب منهم دون غيرهم من الناس . فعندما يبلغ الطفل مرحلة معيّنة من العمر يحسّ بالرغبة في الاختلاط بالمجتمع أكثر ، وأوّل خطوة في ذلك هو الدخول إلى عالم الرفقة والأصدقاء . لذا كان من الواجب على الوالدين أن يختارا لأطفالهما أصدقاء يتصفون بالإيمان والخلق القويم .

يقول (عطوي ، ١٤٠٩ هـ) :

وأهمّ ما في الأمر أن يكون الصديق مؤمناً ، عاقلاً ، جامعاً لمكارم الأخلاق ومحاسنها . ص ٥١ .

وقد جاء ذكر الصحة والخلة في القرآن الكريم والسنة النبوية وذلك لما لها من أهميّة كبيرة في الإصلاح أو الإفساد .

يقول الله تعالى : ﴿ الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴾ [سورة الزخرف ، الآية ٦٧] .

يقول (ابن كثير ، ١٤٠١ هـ) :

كلّ صداقة وصحابة لغير الله فإنّها تقلب يوم القيامة عداوة إلا ما كان لله وَعَلَىٰ فإنّه دائم بدوامه . ج٤ ، ص ١٣٤ .

ويقول الرسول ﷺ : « إِنَّمَا مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالْجَلِيسِ السَّوِّءِ ، كَحَامِلِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ الْكِيرِ ، فَحَامِلُ الْمِسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْذِيكَ ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً ، وَنَافِخُ الْكِيرِ إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً » (رواه مسلم ، رقم ٢٦٢٨ ، ك البر والصلة ، باب استحباب مجالسة الصالحين ومجانبة قرناء السوء ، ج٤ ، ص ١٦٠٨ ، من حديث أبي موسى الأشعري رَضِيَ) .

فالجليس الصالح له تأثيره ، والجليس السوء له تأثيره ، وإن تأثير الأطفال بعضهم في بعض أكثر تحقّقاً ومضاءً . يقول (الشرقاوي ، ١٩٧٧ م) : « وتعتبر جماعات الرفاق من أشدّ الجماعات تأثيراً على تكوين أنماط السلوك الأساسية لدى الطفل » . ص ١١٦ .

وقد ذكر هذه القضية (ابن الجوزي ، ١٣٩٨ هـ) بقوله :

« أمّا تدبير الأولاد فمحفظهم من مخالطة تفسد .. وليحمل على صحبة الأشراف والعلماء ، وليحذر من مصاحبة الجهال والسفهاء ، فإنّ الطبع لصّ » . ص ٢٢٠ .

ولا شك أنّ تكوين رفقة صالحة خيرة للولد في مثل هذه الظروف التي تعيشها الأمة الإسلامية اليوم يعدّ أمراً شاقاً ، ولكنه ليس بالمتعذّر الوقوع والتحقّق إذ يمكن للأب أن يجعل من بيته وبيوت أقاربه وأصحابه مجتمعاً صالحاً

يمارس فيه الأولاد السلوك الإسلامي السوي ، حتّى يشتدّ عودهم وتقوى إرادتهم ، ويملكوا القدرة على التمييز بين الخبيث والطيب ، ثمّ يمكنوا بعد ذلك من المشاركة في المجتمع العام الذي لا بُدّ لهم منه ولو بعد حين .

ومن هنا يتبيّن أنّ المتعلّم يتأثر بالرفقة في المجتمع العام ، سواءً في المدرسة ، أو الشارع ، أو أماكن العمل ، وأنّ الأثر يصل إليه عن طريق المعاشة بالسماع أو الرؤية أو القدوة ، وأنّه يتأثر بالأقران القريين له في سنّه أكثر من غيرهم . وأنّ الرفقة الصالحة من شأنها أن تربي المتعلّمين والناشئين على خلق الصدق ، ومتى ما حرصت الأسرة المسلمة على تربية أبنائها على المنهج الإسلامي عقيدة وعبادة وخلق وعلم وعمل ، فإنّ الأبناء سيجدون الرفقة الصالحة التي تدعم الوسط الاجتماعي ، وبقدر ما يكون المجتمع صالحاً بقدر ما يكون أبنائه صالحين .

والتربية الإسلامية تضع الفرد والمجتمع على طريق الصدق في القول والعمل ، من خلال قيام الفرد بدوره نحو مجتمعه ، وقيام المجتمع بدوره وواجبه نحو الأفراد ، وأن تكون المسؤولية مشتركة بينهما في مراعاة الحقوق والقيام بالواجبات .

الطرق والوسائل والأساليب التربوية التي يمكن الاستفادة

منها في تكوين خلق الصدق في نفوس الأطفال :

للتربية الإسلامية منهج متميّز في وسائله وأساليبه التي تهدف إلى تحقيق التكامل التربوي في شخصية المسلم ، بقصد استثمار طاقاته وتنمية مواهبه وقدراته المختلفة ، لينشأ نشأة سليمة تجعل منه إنساناً صالحاً .

والأسلوب هو ما يستخدمه المربي من طرق مختلفة لإيصال ما يريد إلى التلاميذ ، ومعالجة بعض المواقف التربوية .

يقول (اللقاني وزميله ، ١٩٧٤ م) :

الأسلوب مجموعة من الأنشطة والإجراءات التي يقوم بها المدرّس ، والتي تبدو آثارها على ما يتعلّمه التلاميذ . ص ١٧٨ .

وتظهر آثار هذه الإجراءات على التلاميذ داخل الفصل وخارجه لتكامل الأسلوب والمادة والهدف في التربية الإسلامية .

ولا شك أنّ المربي الفطن يسعى دائماً إلى الاستزادة من الوسائل المجدية والأساليب التربوية المؤثرة في إعداد المتعلّم في عقيدته وفي خلقه ، وفي تكوينه علمياً ونفسياً واجتماعياً حتّى يبلغ الكمال وينضج في العقل والاتزان .

ومن أهم الوسائل المجدية والأساليب التربوية المؤثرة في تكوين المتعلّم وتربيته على خلق الصدق :

- ١ - التربية بالقُدوة .
- ٢ - التربية بالتعليم والتلقين .
- ٣ - التربية بالقراءة ومطالعة الكتب .
- ٤ - التربية بالمناقشة والحوار .
- ٥ - التربية بالترغيب والترهيب .
- ٦ - التربية بالقصص .

أولاً : التربية بالقُدوة :

تعتبر القدوة في التربية من أعظم الوسائل المؤثرة في إعداد المتعلّم في جميع جوانب شخصيته . ذلك لأنّ المربي هو المثل الأعلى في نظر المتعلّم ، والأسوة الصالحة في عينه ، يقلّده في سلوكه ويحاكيه في أخلاقه بقصد أو بغير قصد .

ولذلك بعث الله رسوله محمدًا ﷺ ليكون القدوة المطلقة للمسلمين في كل زمان ومكان .

قال الله تعالى : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [سورة الأحزاب ، الآية ٢١] .

يقول (ابن كثير ، ١٤٠١ هـ) :

هذه الآية أصل كبير في التأسى برسول الله ﷺ في أقواله وأفعاله وأحواله .
ج ٣ ، ص ٤٧٥ .

يقول (قطب ، ١٤١٤ هـ) :

« من السهل تأليف كتاب في التربية ، ومن السهل تخيل منهج ، وإن كان في حاجة إلى إحاطة وبراعة وشمول .. ولكن المنهج يظل حبراً على ورق .. يظل معلقاً في الفضاء ما لم يتحول إلى حقيقة واقعة تتحرك في واقع الأرض .. ما لم يتحول إلى بشر يترجم بسلوكه وتصرفاته ومشاعره وأفكاره مبادئ المنهج ومعانيه عندئذ فقط ، يتحول المنهج إلى حقيقة ، يتحول إلى حركة ، يتحول إلى تاريخ .. لذلك بعث الله محمدًا ﷺ ليكون قدوة للناس : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ [سورة الأحزاب ، آية ٢١] . ووضع في شخصه ﷺ الصورة الكاملة للمنهج الإسلامي .. الصورة الحية الخالدة على مدار التاريخ .. » . ص ١٨٠ ، ١٨١ .

وعلى هذا يكون الرسول ﷺ قدوة المسلم في توحيد الله وفي عبادته وفي الاتصاف بمكارم الأخلاق وفي المعاملات وفي شؤون الحياة كلها . فقد كانت سيرته ﷺ المثل الأعلى في القدوة الصالحة بقوله وفعله وسلوكه ، وكانت شخصيته ﷺ تتمثل فيها كل مبادئ الإسلام وقيمه وتعاليمه .

فمن كان يريد القدوة الصالحة والأسوة الحسنة في عبادة الله وتقواه حقّ تقاته ،
أو يريد القدوة في السياسة ونظام الحكم أو يريد القدوة في الأب والزوج وربّ
الأسرة ، أو يريد القدوة في التربية ، أو يريد القدوة في أيّ جانب من جوانب
الحياة ، فقدوته في ذلك كلّ رسول الله ﷺ .

وقد يظنّ من لم يطلع على سيرته ﷺ أنّه كان إمام وقدوة في الصلاة أو الحج
أو أحكام العبادة . ولكن من اطلع على سيرته ودرس تاريخ حياته وجده ﷺ
إمام وقدوة في الصلاة وإمام وقدوة في الحياة .

ولا شكّ أنّ التربية والتعليم يكونان بالقدوة والتقليد أكثر مما يكونان بالنصح
والتلقين ، لذلك جعل الإسلام التربية منهجاً وقدوة ، وجعل المنهج تطبيقاً في
القدوة . ومن أهمّ العوامل المؤثرة في تربية الطفل وفي حياة الإنسان القدوة التي
يقتدي بها ، فقد تبني المرء إن كانت صالحة خيرة ، وقد تهدمه إن كانت
شريرة . ولم تصل التربية الحديثة إلى أبدع من اتخاذ القدوة الحسنة وسيلة إلى
تعليم الأخلاق وغرس أصول الفضائل في النفوس ، فالأطفال في نظر المربين
يتأثرون بالتقليد .

يقول (ج.أ. هادفيلد) : « فالتقليد نزعة فطرية حيث الطفل لا يعلم التقليد ،
إنّه يقلّد بطبيعته » . ص ٨٢ .

ويتأثر الأطفال بالمحاكاة والمثل العليا التي يرونها أكثر مما يتأثرون
بالتلقين والإرشاد .

يقول (ابن عبد ربّه) :

« وقد كتب عمرو بن عتبة إلى أحد المعلّمين لولده : ليكن أوّل إصلاحك

لولدي إصلاحك لنفسك ، فإنَّ عيونهم معقودة بعينك ، فالحسن عندهم ما صنعت ، والقيح عندهم ما تركت . ص ١٢٥ .

وقد تناولت هذه الوصية إقرار مبدأ القدوة الحسنة في التربية ، وذلك أنَّ المعلم يصبح قدوة صالحة لطلابه إن كان صالحاً ، ويصبح وسيلة شرّ وهلاك فيما إذا ضلَّ طلابه وخالف فعله قوله .

يقول (الشيباني ، ١٣٩٩ هـ) :

« والمعلم عنصر حيّ قادر على التأثير والتأثر بقيّة العناصر الأخرى ، وله الدور القيادي والتوجيهي في العملية التربوية » . ص ٥٧ .

وذهب علماء النفس إلى أنَّ الطفل مقلّد لأبويه في كثير من أعماله ، والطفل بطبيعته يرى أنَّ ما يقوم به والده هو العمل الأكمل الذي يجب أن يحتذي به ، ومن أجل ذلك وجب على الأبوين في رعاية أولادهما أن يكونا قدوة صالحة لهم في كلّ ما يقومان به من أعمال وأقوال .

يقول (المدرس ، ١٤٠٧ هـ) :

« فالطفل إنما يتفهم الخير من الشر ، والفعل الذي يلزم القيام به من الفعل الذي يمنع من القيام به ، من خلال موقف الأبوين من ذلك » . ص ٨٢ .

إنَّ مرحلة الطفولة أفضل مراحل تعلّم الأسلوب الصحيح في الحياة عن طريق التقليد ، فباستطاعة الطفل أن يتلقّى جميع حركات المربي وسكناته وأقواله وأفعاله حسنة كانت أو سيئة بسهولة وبدقة .

والإسلام يهتم بالقدوة ويعتبرها من أعظم وسائل التربية وأكثرها فعالية ،

فالمتعلّم يقتبس من عمل المربي وسلوكه أكثر من قوله ووعظه ، ولأجل هذا الأمر يبدأ المربي بتهديب أخلاقه وتعديل سلوكه ليكون أهلاً لتهديب أخلاق الآخرين وتعديل سلوكهم .

لا بُدّ للآباء حين يريدون من أبنائهم أن يكونوا مثاليين في أفعالهم وتصرفاتهم وسلوكهم ، لا بُدّ لهم أن يكونوا هم خير قدوة لهم ، وأحسن مثال في تنفيذ وامثال ما يقرّرونه من السلوك الحسن والأعمال الصالحة .. لذلك يقال : الولد حسنة من حسنات أبيه أو سيئة من سيئات أبيه ، وإنّ مثلاً صالحاً واحداً يغني عن ألف نصيحة ، لأنّ الولد الذي يرى والده يكذب لا يمكن أن يتعلّم الصدق .. والذي يشرب الخمر لا يمكن أن يقنع ولده بأنّ الخمر حرام ومضر .

يقول (دسوقي ، ١٩٧٩ م) :

« لذا يعتبر البيت أوّل بيئة للطفل هو الذي يهيئ نمط اتجاهاته نحو الناس ، والأشياء والحياة عموماً ، فضلاً عن أنّ الصغير يتوحد مع أعضاء الأسرة الذين يحبّهم ، فيقلّد سلوكهم ويتعلّم أن يتوافق بالحياة على غرارهم . وفي كلمة واحدة أنّ النمط الذي ينشأ بالبيت يتعدل كلّما كبر الصغار ، فهو لا يقتلع من جذوره تماماً في الكبر وطول الحياة . ص ٣٢٩ .

والرسول ﷺ يحثّ الآباء والمربين عموماً أن يكونوا قدوة حسنة في خلق الصدق أثناء تعاملهم مع أطفالهم وتلاميذهم . يقول ﷺ : « مَنْ قَالَ لِصَبِيٍّ : تَعَالَ هَاكَ ثُمَّ لَمْ يُعْطِهِ فَهِيَ كَذِبَةٌ » (أحمد ، مسند الإمام أحمد ، ١٣٨٩ هـ ، ج ٢ ، ص ٤٥٢) .

فعلى الآباء أن يكونوا قدوة صالحة لأبنائهم ، لأنّ طريق القدوة القائمة في هذا المجتمع متمثلة في الأسرة والوالدين ، وإنّ لدور الأسرة في أيّ مجتمع أهمية

كبرى في تربية الأبناء ، فالمسألة تتطلب قبل كل شيء الوعي التربوي من الوالدين .

ولكي يكون المعلم قدوة لتلاميذه لا بُدَّ أن يتمثل المنهج الذي يعلمه ويربى على هديه حتى لا يكون هناك تناقض بين قوله وفعله .

قال تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ . كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ [سورة الصف ، الآيتان ٢ ، ٣] .

وإذا كان الهدف من القدوة في الصغر تدريب الطفل على ممارسة تعاليم الإسلام ، فإنه لثبيت الصغير على الفطرة ، ثمَّ يكون الاتباع بعد ذلك لأوامر الله عن اقتناع وبصيرة .

يقول (أحمد ، ١٤١٣ هـ) :

وفي التربية الإسلامية يتحوّل هذا التقليد أو يوجّه إلى ما يُسمّى بالاتباع . والاتباع عملية فكرية يمزج فيها بين الوعي والانتماء والمحاكاة والاعتزاز في ظلّ البصيرة والحجة ، ولذلك كان الخطاب الإلهي باتباع الرسول ﷺ .

قال تعالى :

﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [سورة آل عمران ، الآية ٣١] . ص ١١٧

ومن هنا نلاحظ حكمة المولى ﷺ ورحمته أن كان الرسل والأنبياء من بني البشر حتى يكون ذلك أدعى للاتباع وأحرى بالإقتداء .

تقول (بنت الشاطئ ، ١٩٨٠ م) :

« وتأخذ القدوة حرمتها ومسئوليتها في الإسلام ، ويتقرر جزاؤها مضاعفاً من ثواب أو عقاب ، بما يحمل الذي في مركز القدوة من تبعة من يقتدون به » . ص ٢١٢ .
وعلى هذا يتحمل من يكون في مركز القدوة نتائج تأثير سلوكه على غيره حين يقلّدونه . يقول الرسول ﷺ :

« مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَجُورِهِمْ شَيْءٌ ، وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوزَارِهِمْ شَيْءٌ » (رواه مسلم ، رقم ١٠١٧ ، ك الزكاة ، باب الحث على الصدقة ، ج ٢ ، ص ٥٨٤) .

وهذا الحديث الشريف يبين أثر القدوة وأثر الصدق والإخلاص فيها إذا كانت حسنة ، لأنه يثاب على فعلها ، ويثاب على من اقتدى به فيها .

ويؤخذ قادة الكفار يوم الحساب بإثم من اتبعوهم ضللاً وإضلالاً .

قال تعالى : ﴿ لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ ﴾ [سورة النحل ، الآية ٢٥] .

وفي الآية الكريمة بيان ما يتحمّله رؤوس الكفار من الأوزار والآثام مع آثامهم لأنهم كانوا قدوة في الكفر ودعاة إليه .

وقد أمر الله رسوله محمداً ﷺ بالإقتداء بالأنبياء قبله في الهدى ، قال تعالى :

﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَقْتَدِهِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴾ [سورة الأنعام ، الآية ٩٠] .

وإذا كان هذا الأمر للرسول ﷺ فأمته تبع له فيما يشرعه ويأمرهم به .

وللصداقة - من القوة - نفس الأثر على المقتدي . ولذا ينبغي على الآباء والأمهات والمربين توجيه الأبناء إلى الله ، ومنحهم الحب ، وتعريفهم بأثر الصحبة وربطها بالحب في الله وحب الرسول ﷺ .

يقول (الجمالي ، ١٩٧٠ م) :

« وهذه القدوة قد تبني الإنسان إن كانت صالحة ، وقد تهدمه إن كانت شريرة » . ص ١١٢ .

ومن هنا يظهر أنَّ القدوة من أعظم الوسائل التي يتأثر بها المتعلم ، فإنه يحاكي ويتقمص شخصية معلمه سواء كانت حسنة أو سيئة ، وإذا كان المعلم مثلاً صالحاً بفعله قبل قوله وبسلوكه قبل عظاته ، كان ذلك أدعى للإقتداء به ومحاكاته في الصدق والإخلاص والصبر والأمانة وسائر الأعمال الصالحة ، والأخلاق الكريمة .

وعلى التربية الإسلامية أن توجه جميع البيئات والمؤسسات التربوية لتتضافر جهودها في إعطاء القدوة الحسنة سواء في المنزل أو المدرسة أو المسجد أو المجتمع أو الكتاب أو الصحيفة أو الإذاعة لتكون القدوة دائمة في كل مكان ، وحيّة بارزة في القلب والفكر ، ولتغرس وتعزز خلق الصدق في النفس وفي مجالات الحياة ، ولا تجعل مجالاً للتناقض بين الأقوال والأفعال .

ثانياً : التربية بالتعليم والتلقين :

التعليم والتلقين في مرحلة الطفولة من أهم الأساليب التي تطرقها المؤسسات التربوية ، وذلك لما لهذا الأسلوب من الأهمية القصوى في طبع بصماته على

الطفل ، إذ أنه لا يفهم معظم تصرفات الكبار فيكون تلقينه المفاهيم الصحيحة وسيلة سهلة في هذه المرحلة من عمره .

ويعتبر الوالدان المدرسة الأولى التي يتلقن فيها الأطفال مبادئ الحياة والعلم ، وهما مكلفان بتعليم الطفل ، ويتعين عليهما مواصلة تعليمه وتربيته حسب مقتضيات فهمه واستعداده ، وإرشاده إلى المحاسن وإبعاده عن المساوئ ، والأسرة مدرسة تستطيع أن تنمي المواهب الكامنة في نفس الطفل ، إذا اقتدت بالأساليب التربوية الحكيمة التي اتخذها الرسول ﷺ في تربية الأبناء حيث أحيت فيهم المواهب الكامنة وأوصلتهم في مدة قصيرة إلى مدارج الكمال والعلم .

فيبدأ الوالدان بتعليم أطفالهما حسب ما تقتضيه مراحل نموهم ، فيعلم الطفل النطق ثم الكلام ، ثم يؤخذ بتعليمه القراءة والكتابة ومعرفة أركان دينه ، ويكون التعليم النافع الذي يعمل على تفتح أذهانهم وتقوية مواهبهم .

وتعليم الطفل في صغره أسهل من تعليمه في الكبر . يقول (ابن الجوزي ، ١٤٠٦ هـ) :

أقوم التقويم ما كان في الصغر ، فأما إذا ترك الولد وطبعه فنشأ عليه ومرن كان ردّه صعباً . قال الشاعر :

إنَّ الغصون إذا قومتها اعتدلت * ولا يلين إذا قومته الخشب
قد ينفع الأدب الأحداث في مهل * وليس ينفع في ذي الشيبة الأدب

ص ٦٠ .

ولهذا جاءت التوجيهات النبوية للآباء بالاهتمام بأبنائهم بأن يحسنوا تعليمهم ، فقد روي عن رسول الله ﷺ أنه قال : « مَا نَحَلَ وَالِدٌ وَلَدًا مِنْ نَحْلِ

أَفْضَلَ مِنْ أَدَبٍ حَسَنٍ» (رواه الترمذي ، ك البر والصلة ، باب ما جاء في أدب الولد ، ج٤ ، ص ٣٣٧ ، ٣٣٨) .

ولا يمكن للأب أن يعلم ولده الأدب والدين ما لم يكن لديه من العلم في دينه ما لا يعذر بجهله من العلم بالحلل والحرام وأحكام العبادة ، وذلك ليعبد الله على بصيرة ويعلم أولاده أمور دينهم فيما يتناسب مع مراحل نموهم .

يقول (النحلاوي ، ١٤٠٨ هـ) :

والطفل في الصغر لا يميز بين الخير والشر ، والمصلحة والمفسدة ، وإنما لديه رغبة يحس بها في نفسه تدفعه إلى طاعة من يوجهه ويرشده ، فيعيش تحت سلطته وإمارته ، فإن لم يجد هذه السلطة الضابطة لتصرفاته والموجهة لها ، فإنه ينشأ قلقاً حائراً ضعيف الإرادة والشخصية . ص ١٤٦ .

لقد اهتم الإسلام بجميع الجوانب المؤدية إلى ازدهار التربية والتعليم ، وكان من بينها تحديده لسنّ التعليم ، حيث يبدأ بتعليمه في مراحل الطفولة الأولى بما يتفق مع نموه العقلي والفكري .

يقول (الأهواني) :

والواقع أنه لم يكن هناك سنّ معيّنة يبدأ عندها الطفل في تلقي العلم ، وإنما كان الأمر متروكاً لتقدير آباء الصبيان ، فإذا وجدوا أنّ الطفل بدأ في التمييز والإدراك دفعوه إلى الكتاب . ص ٥٩ .

وقد حدّد الرسول ﷺ سنّ السابعة لتعليم الصبيان الصلاة بقوله : « عَلِّمُوا الصَّبِيَّ الصَّلَاةَ ابْنَ سَبْعِ سِنِينَ ، وَأَضْرِبُوهُ عَلَيْهَا ابْنَ عَشْرِ » (رواه الحاكم ، ك الصلاة ،

وبهذا سبق الإسلام الأنظمة التربوية الحديثة التي قرّرت أنّ سنّ التعليم للطفل إذا بلغ السابعة .

يقول (القرشي ، ١٤٠٨ هـ) :

لقد أعلن الإسلام هذه الظاهرة قبل أن تكتشفها دراسة سيكولوجية التعليم الحديثة التي قرّرت أنّ سنّ التعليم للطفل فيما هو إذا بلغ سبع سنين وأكّدتَه منظمة اليونسكو العالمية ، فقد جاء في مقرراتها التربوية ذلك .. أمّا إرسال الطفل إلى المدرسة قبل أن يبلغ هذا السن فإنّه مما يوجب إرهابه وعناؤه وشلّ نموه الفكري . ص ١٦٩ .

وللمربي الأسوة الحسنة في الرسول ﷺ في مجال التطبيق العملي ، فقد روي :
أنّه ﷺ رأى مرّة غلاماً لا يحسن سلخ الشاة فقال له ﷺ : « تَنْخُ حَتَّى أُرِيكَ ، فَأَدْخَلَ يَدَهُ بَيْنَ الْجِلْدِ وَاللَّحْمِ فَدَحَسَ بِهَا حَتَّى تَوَارَتْ إِلَى الْإِبْطِ ، ثُمَّ مَضَى فَصَلَّى لِلنَّاسِ وَلَمْ يَتَوَضَّأْ » (رواه أبو داود ، ك الطهارة ، باب الوضوء من مسّ اللحم النيء وغسله ، ج١ ، ص ٤٧) .

والرسول ﷺ لم تمنعه أمور المسلمين الجسام عن توجيهه غلام إلى سلخ شاة وتعليمه بنفسه ليتّم التعليم وتتمّ القدوة به ﷺ في هذا المجال .

يقول (الخطيب ، ١٤٠٣ هـ) :

كان بعض علماء السلف يجمعون الصبيان الصغار فيحدّثونهم ويعلمونهم أمور دينهم ولا يترفعون عن ذلك . ص ٢٠٣ .

وعلى الأب خاصة أن يلقّن ويعلم أولاده في الصغر أصول العقيدة الصحيحة ، وأصول العبادات والأخلاق والآداب الإسلامية معتمداً في ذلك على القرآن والسنة والسيرة النبوية وغيرها من المصادر على حسب مراحل نموهم ،

بأسلوب سهل ميسر ، وفي أوقات مناسبة فيعلمهم بعض الأذكار السهلة ويحفظهم بعض قصار السور ، وبعض الأحاديث ذات الصلة بالبيت والأكل والشرب .. ويتدرج معهم حسب نموهم واستعدادهم .

ويستطيع الأب أن يلقن ويعلم أولاده عن طريق وسائل التسجيل السمعية أو السمعية والبصرية ورداً من القرآن الكريم يومياً ولا سيما من قصار السور ، وطائفة من أحاديث الرسول ﷺ التي يستطيع تفهيمها لهم وبعض الأناشيد التي تصوّر عظمة الإسلام وتعظم شعائره .

والعلاقة بين تعليم الطفل وتلقينه أساسيات أمور دينه وبين الصدق أنّها من الصدق مع الله ، وأنّ الطفل لن يجد التناقض بين ما تعلّمه في صغره وبين ما سيتعلمه في مستقبل عمره عندما يعقل ويميّز بين الأمور .

ومن ضمن ما يعلم الطفل في الصغر بعض نصوص السنّة النبوية في الصدق وفضله ، وما أعدّه الله للصادقين في الآخرة ، وفي المقابل يعلم بعض النصوص من السنّة النبوية في ذمّ الكذب وأهله وما توعد الله به الكاذبين في الآخرة .

ثالثاً : التربية بالقراءة ومطالعة الكتب :

تعتبر القراءة من أعظم وسائل المعرفة ، إذا لم تكن أعظمها على الإطلاق . وقد جاء الأمر بها في أوّل آيات القرآن الكريم نزولاً في قوله تعالى : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ . خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ . اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ . الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ . عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ [سورة العلق ، الآيات من ١ - ٥] . وما ذلك إلا لأهمية القراءة والكتابة في حياة الإنسان في معرفة خالقه والقيام بحقوقه ، وفي معرفة دنياه لإصلاح معاشه .

ولا يمكن تعلّم القراءة والكتابة في جوّ أسرة خلت من أدوات القراءة والكتابة ووسائلها ، ومن هنا يأتي دور الأبوين للقيام بهذه المهمة بتوفير مكتبة علمية في البيت لتساهم في بناء المادة الفكرية والعلمية للأبناء في وقت مبكر من أعمارهم ليعتادوا الكتب ويتعلّموا كيف يتعاملون معها .

يقول (أبو النصر ، ١٤٠٧ هـ) :

« إنّ الرغبة في المطالعة لا تولد مع الطفل ، فالأطفال لا يتعلّمون حبّ الكتب بدافع ذاتي ، فلا بُدَّ أن يقودهم شخص إلى عجائب عالم الكلمة المكتوبة » . ص ٢٤ .

ويقول (باحارث ، ١٤١٢ هـ) :

وقيادة الأب للأبناء في هذا الجانب تبدأ بترويض نفسه هو على القراءة ، ثمّ بتهيئة ولده قبل سن الدراسة بمثيرات متنوعة تدفعه للقراءة وحبّ الكتب كاستخدام بعض الكتب التي تحمل صوراً ملونة جميلة لبعض النباتات والأدوات المختلفة ، وتعليم الولد أسماءها ، ثمّ سؤاله بعد ذلك عنها ، فمن خلال هذه الوسيلة يتعلّم شيئاً من القراءة ، ويتعرّف على مضامين هذه الصور ، إلى جانب تقوية صلته بالكتب وإشغاله بها . ص ٣٤٧ .

ثمّ بعد ذلك يدرّب الولد على كتابة بعض الكلمات الكبيرة السهلة في كتابتها وقراءتها ، ويستمر الأب على التدريب والتشجيع لولده حتّى يتقن رسم الكلمات وحروفها كتابة ويتقنها قراءة .

ويؤمن الأب الكتب الجميلة المناسبة للطفل في مكتبته ليتعلّق بها منذ صغره لتصبح القراءة متعة وعادة فيما بعد .

يقول (شهلا ١٩٨٢ م) :

« يجب أن نعوّد المتعلّم القراءة الممتعة المتواصلة ، وأن نعهد له مسبكها ، فمهاراة القراءة لا ترسخ في الذهن إلا بالمران والاستعمال ، فإذا أغري الولد بمطالعة الكتب التي تلائم سنّه وميوله ، ودربّ على القراءة فتعوّدها وهو على مقاعد الدراسة ، رافقته هذه العادة الحميدة كلّ أيام حياته » . ص ٣٦٧ .

وبهذا تكون القراءة أهم وسائل التلقين والتعليم ، ومن الضروري أن نحثّ أبناءنا على القراءة ونهيئ لهم الفرصة نحوها أكثر مما نتيح لهم فرصة مشاهدة التلفزيون مثلاً ، إذ القراءة هي السلوى التي ينبغي أن يلجأ إليها المرء في أوقات الفراغ . ولهذا اهتمت الدول الواعية بالقراءة اهتماماً بالغاً ، وحرصت على تعليم أبنائها فنونها داخل المدارس وخارجها للنهوض بهم إلى أرفع درجات الكمال والتحضرّ . كما أنّ القراءة خير ما يتيح للعقل أن يوازن ومن ثمّ يستنبط ويستدل ويستخلص ومن ثمّ يكون لهذا أثره في السلوك بالقول والكتابة والعمل .

يقول (أحمد ، ١٤١٠ هـ) :

« ولذلك فكثير من الأسر التي لا توفر أجواء المطالعة والمكتبة يعاني أبنائها من الفقر الفكري ، ومن ثمّ فإنّ بيوت العلماء والمفكرين تخرّج علماء ومفكرين ، في حين بيوت الصنّاع تخرّج الصنّاع ، فالجو العام في البيت له تأثيره الكبير في بناء الفكر المطلوب للأبناء بشكل متكامل » . ص ٢٧ .

ومن هنا يتبيّن أنّ تعليم الأطفال فنّ القراءة وتشويقهم إليها والتعويد على ذلك من الصغر ، وتهيئة الفرص أمامهم في تكوين المكتبات في المنازل والمدارس

من أهمّ العوامل التي تغري هؤلاء الأطفال بمطالعة الكتب والميل إليها وإشغال وقت الفراغ بالقراءة المفيدة والعلم النافع .

وإذا ما تعود الأطفال القراءة على هذا المنوال مع تقدّم سنّهم فإنّ ذلك سيكون له الأثر في توسيع ثقافتهم الإسلامية وثقافتهم العامة ، وانعكاس ذلك في تقويم سلوكهم ونشأتهم على مكارم الأخلاق .

والعلاقة بين تعويد الناشئة القراءة وإتقانهم لها وبين الصدق أنّ هؤلاء الناشئة سيميزون من خلال القراءة لكتاب الله تعالى وسنّة الرسول ﷺ وسيرة صحابته رضي الله عنهم وكتب علماء الإسلام الكثيرة المتعددة والكتب النافعة عموماً ، بين محاسن الصدق وفضائله ومساوئ الكذب ومزالقه ، ومن ثمّ حبّ الصدق والتحلي به في القول والعمل والسلوك وبغض الكذب ومقته وأهله .

رابعاً : التربية بالمناقشة والحوار :

يقول (النحلاوي ، ١٤٠٣ هـ) : والمراد بهذا الأسلوب أن يتناول الحديث طرفان أو أكثر عن طريق السؤال والجواب . ص ١٨٥ .

وهذا الأسلوب من الأساليب التربوية التي استخدمها القرآن الكريم واستفاضت بها سنّة الرسول ﷺ .

فمن الحوار في القرآن الكريم قوله تعالى :

﴿ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ
أَلِلَّهِ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [سورة النمل ، الآية ٦٢] .

وفي هذا الحوار والتساؤل يثير القرآن الانفعالات والعواطف لتقرير حقيقة التوحيد ، وتوجيهها إلى الله لصرف العبادة له ﷻ .

ومن الحوار في السنة النبوية قوله ﷺ لأصحابه ذات مرة : « أَتَدْرُونَ مَا الْغَيْبَةُ ؟ قَالُوا : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، قَالَ : ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ . قِيلَ : أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ ؟ قَالَ : إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدْ اغْتَبَتْهُ ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ فَقَدْ بَهَتْهُ » (رواه مسلم ، رقم ٢٥٨٩ ، ك البر والصلة ، باب تحريم الغيبة ، ج ٤ ، ص ١٥٨٨ ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه) .

وقد كان الرسول ﷺ يطرح الأسئلة على أصحابه ليثير انتباههم ويحرك ذكائهم ، ويلقّنهم المواعظ المؤثرة بأسلوب الحوار المقنع .
يقول (بكر ، ١٩٨٣ م) :

وتظهر أهمية أسلوب الحوار في كونه يدفع المتعلم إلى المشاركة بالأسئلة والاستماع ، والفهم عمّا لا يدركه من حقائق . ص ٣٣٣ .

من مزايا السؤال والحوار :

لن يحيط الإنسان بكلّ شيء في هذه الحياة ، ومن عرف أشياء غابت عنه أشياء أخرى كثيرة . ولذا تراه يبحث عن إجابات لما يجهل . ومن ضمن وسائل الكشف عن المجهول السؤال .

وللسؤال مزايا متعددة من توفير للجهد والوقت والمال ، كما أنّ فيه تحصيل منفعة ودفع مضرة في الدين والدنيا ، خاصة إذا كان المسئول من أهل الخبرة والاختصاص .

قال تعالى :

﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [سورة النحل ، الآية ٤٣ ، وسورة الأنبياء ،

الآية ٧] .

ولما كان الأمر كذلك فلا ينبغي للعاقل أن يتردد في السؤال ويسكت على الجهل حتى لا يندم على تفريطه .

يقول (الهاشمي ، ١٤٠١ هـ) :

« إِنَّ سَكُوتَ الْإِنْسَانِ عَلَى جَهْلِهِ قَدْ يَكْلِفُهُ غَيْرَ قَلِيلٍ مِنْ تَجَارِبٍ فَاشِلَةٍ وَمِنْ آلَامٍ وَمَتَاعِبٍ ، لِأَنَّهُ لَوْ عَرَفَ الْإِجَابَةَ الْمَوْفُوقَةَ لَضَمَّنَ لِنَفْسِهِ الْعَمَلَ السَّلِيمَ أَوْ السَّلُوكَ الصَّائِبَ لَا سِوَمَا فِي أُمُورٍ تَتَّصِلُ بِالْمَحَاوِلَةِ وَالْخَطَأِ وَالتَّجْرِبِ » . ص ٢٣٣ .

ويجمل بالسائل أن يتأدب بآداب السؤال فلا يرفع صوتاً ولا يقاطع متكلماً ، ويراعي اختيار الألفاظ المناسبة في غير ما تكلف ثم ينتظر الإجابة في تواضع واحترام وينصت لفهمها واستيعابها .

وتظهر قمة آداب الحوار في حديث جبريل المشهور : فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : « بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ ، لَا يَرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ ، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ ، حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ وَوَضَعَ كَفَيْهِ عَلَى فَخْذَيْهِ ، وَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، وَتَقِيمَ الصَّلَاةَ ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ، قَالَ : صَدَقْتَ . قَالَ : فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ . قَالَ : فَأَخْبِرْنِي عَنِ

الإيمان ؟ قَالَ : أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ ، وَمَلَائِكَتِهِ ، وَكُتُبِهِ ، وَرُسُلِهِ ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ . قَالَ : صَدَقْتَ ، قَالَ : فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ ؟ قَالَ : أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ . قَالَ : فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ ؟ قَالَ : مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ . قَالَ : فَأَخْبِرْنِي عَنِ أَمَارَتِهَا ؟ قَالَ : أَنْ تَلِدَ الْأُمَةُ رَبَّتَهَا ، وَأَنْ تَرَى الْحَفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ . قَالَ : ثُمَّ انْطَلِقْ ، فَلَبِثْتُ مَلِيًّا ، ثُمَّ قَالَ لِي : يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مَنْ السَّائِلُ ؟ قُلْتُ : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ . قَالَ : فَإِنَّهُ جَبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ » (رواه مسلم ، رقم ٨ ، ك الإيمان ، تعريف الإسلام والإيمان ، ج ١ ، ص ٤٦ ، ٤٧) .

وهذا الحديث الشريف جامع شامل لجوانب حياتنا في العقيدة والعبادة والأخلاق والسلوك ، وأهم آداب السائل وآداب المسئول أثناء الحوار ، وكان الهدف من الحوار في هذا الحديث العلم .

وَمَنْ عَوَّدَ نَفْسَهُ السُّؤَالَ زَادَتْ ثِقَتُهُ بِنَفْسِهِ ، وَشَعَرَ بِالطَّمَأْنِينَةِ وَالْإِرْتِيَاحِ لِمَعْرِفَةِ الْإِجَابَةِ عَمَّا كَانَ يَجُولُ بِخَاطِرِهِ وَيَشْغَلُ ذَهَنَهُ .

ومن هذا المنطلق يظهر بَأَنَّ المناقشة والحوار من الأساليب الناجحة لإثارة الانتباه وللتعويد على طلاقة التعبير وإبعاد شبح الخجل والخوف ، وللمنافسة في الخير وإدراك المعلومات والحقائق بسهولة ويسر .

أما علاقة أسلوب الحوار بالصدق فهو لإثارة الانفعالات والعواطف وتوجيهها إلى الله ، والإقناع لصرف العبادة لمستحقها وهو الله ﷻ ؛ وهذا هو غاية الصدق والحق . وحتى يثمر أسلوب الحوار فيغرس خلق الصدق في نفوس المتعلمين فإنه يلزم المعلم توجيه طلابه بصدق وأمانة وإخلاص لتعليمهم حقيقة

دينهم بقصد العمل لمرضاة الله ، والوصول عن طريق الحوار للرأي الصائب والقول السديد لنصرة الحق ودحض الباطل .

خامساً : التربية بالترغيب والترهيب :

الترغيب والترهيب من الأساليب التربوية التي عني بها القرآن الكريم والسنة النبوية ، وقد جاء هذا الأسلوب على وجوه مختلفة واعتبارات متنوعة من الوعد والوعيد والتبشير والإنذار والخوف والرجاء في العقائد والعبادات والأخلاق والمعاملات . وذلك لكون التربية الإسلامية لا تغفل أي أسلوب يوجه الإنسان ويرشده إلى السلوك القويم الذي يصلح دنياه وآخرته . ومن الأمثلة على ذلك : قوله تعالى عن صفات الرسل والمؤمنين في دعوتهم لربهم : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴾ [سورة الأنبياء ، آية ٩٠] .

وقوله تعالى :

﴿ أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ . أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ . وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴾ [سورة السجدة ، الآيات ١٨ - ٢٠] .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [سورة الأعراف ، الآية ٥٦] .

ففي الآيات الكريمة : ذكر الرغبة والرغبة ، والجنة والنار ، والخوف والطمع ، (وهو الرجاء) وذلك لإغراء النفس بعمل الصالحات ولتحذيرها من المخالفات والمعاصي حتى تتربى على ما يرضي الله في الفكر والسلوك .

وقول الرسول ﷺ : « لَوْ يَعْلَمُ الْمُؤْمِنُ مَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الْعُقُوبَةِ مَا طَمَعَ بِجَنَّتِهِ أَحَدٌ ، وَلَوْ يَعْلَمُ الْكَافِرُ مَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الرَّحْمَةِ مَا قَنَطَ مِنْ جَنَّتِهِ أَحَدٌ » (رواه مسلم ، رقم ٢٧٥٥ ، ك التوبة ، باب سعة رحمة الله ، ج٤ ، ص ١٦٧٦ ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه) .

يقول (التحلاوي ، ١٤٠٣ هـ) :

وأسلوب الترغيب والترهيب بني على ما فطر الله الإنسان عليه من الرغبة في اللذة والتنعيم ، والرغبة من الشقاء وسوء المصير . ص ٢٥٦ .

ولا ريب أنَّ غريزة حبِّ الإنسان لنفسه تدفعه إلى أن يحقق لها كلَّ خير وأنَّ يحميها من كلِّ شرٍّ ، سواء ما كان فيهما من عاجل أو آجل . ومن هنا تحرص النفوس الموفقة للخير على كسب نصيبها منه وإحرازه ، وأمَّا النفوس الضالة فإنَّها مصروفة عنه بدافع الهوى والشهوة .

يقول (بكر ، ١٩٨٣ م) :

وهدف أسلوب الترغيب والترهيب : إصلاح الإنسان ليجد السعادة العاجلة والآجلة من خلال التوبة والاستغفار ، لأنَّه وسيلة للعودة إلى السلوك القويم . ص ٣٤٥ .

والتربية الإسلامية بهذا الأسلوب تربي في النفس الانفعالات والعواطف ، فهي تربي عاطفة ذكر الله . قال تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴾ [سورة الأحزاب ، الآية ٤١] .

وتربي عاطفة محبة الله وتقديمها على كلِّ محبة . قال تعالى :

﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ ﴾ [سورة البقرة ، آية ١٦٥] .

وتربي عاطفة الخشوع . قال تعالى :

﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ [سورة الحديد ، الآية ١٦] .

وتربي عاطفة الخوف من الله لفعل المأمورات . قال تعالى :

﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [سورة النحل ، الآية ٥٠] .

ويمتاز الترغيب والترهيب في التربية الإسلامية عما يسمى في التربية الغربية بـ « الثواب والعقاب » بمميزات مواتية لفطرة الإنسان التي فطره الله عليها ، وأهمها ما ذكره (النحلاوي ، ١٤٠٣ هـ)

يعتمد الترغيب والترهيب في القرآن والسنة على الإقناع والبرهان ، وأن يكون مصحوباً بتصوّر في رائع لنعيم الجنة أو لعذاب النار ، وأن يكون مثيراً للعواطف والانفعالات كعاطفة الخوف والخشوع ، وألا يطغى أي جانب من الانفعالات والعواطف على أي جانب آخر كأن يطغى جانب الخوف على الرجاء مثلاً . ص ٢٥٨ ، ٢٥٩ .

وقد يكون الترغيب والترهيب بإثارة الانفعالات والعواطف وتوجيهها إلى الله عن طريق الموعظة أو القصّة أو ضرب الأمثال لحمل المتعلّمين على بذل الجهد والصدق مع الله .

يقول (الناصف) : وينبغي ألا يثير الترغيب - مادياً كان أو معنوياً - التنافس والغيرة في نفوس المتعلّمين . بل على المعلّم أن يتحرى الدقة فيمن يستحقها . ص ٤٩ .

وهذا يعني أن يستخدم أسلوب الترغيب بعناية وفطنة لئلا يهدم ما تم بناؤه .
يقول (الأهواني) : أمّا التهيب فيصحّ أن يكون بالوعظ أو الحجر ، أو التهديد ،
أو العزل ، أو النصح ، أو التقريع ، أو بذكر العقاب أو بزيادة الثواب . ص ١٥٤ .
ويستخدم كلّ منها على حسب أهميته ودرجة تأثيره .

ويرى الباحث أنّ أسلوب الترغيب والتهيب من أعظم الأساليب التربوية
لإصلاح المتعلّم وحمله على الاستقامة فيما يرضي الله من خلال إثارة عاطفة
الحبّ في الله والبغض في الله ، فلا يحبّ إلّا في الله ، ولا يبغض إلّا في الله ، ولا
يخاف إلّا من الله ، ولا يغضب إلّا لله ، وألّا يكون شيء من ذلك لنفسه أو
لمتاع زائل . وحين يثار القلب بهذه العواطف والانفعالات فإنّها تثمر الصدق
مع الله قولاً وعملاً ، وتدفعه إلى الإخلاص وامتنال أوامر الله واجتناب نواهيه
والعمل فيما يرضيه سبحانه .

سادساً : التربية بالقصص :

يستخدم الإسلام في نظامه التربوي الفريد كلّ وسيلة تربوية مشروعة لتصل
إلى نفوس الناس ومداركهم . والقصص يمثّل إحدى الوسائل الهامة في تفاعل
الفكرة بتيارات عاطفية ، ومواقف انفعالية مؤثّرة ، وقد استعمله القرآن الكريم
في كثير من المواطن ولاسيما في أخبار الرسل مع أقوامهم . ومن منّة الله سبحانه
على رسوله ﷺ أن قصّ عليه أحسن القصص وأنفعه وأصدقه ليكون للناس عبرة
وآية ، وللرسول ﷺ عزماً وثبتيّاً :

قال تعالى : ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا
الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴾ [سورة يوسف ، آية ٣] .

وقال تعالى : ﴿ وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [سورة هود ، الآية ١٢٠] .

وقال تعالى : ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [سورة يوسف ، الآية ١١١] .

والقرآن الكريم والسنة النبوية يضمنان طائفة هي أحسن القصص الهادفة التي تضم إلى جمال الأسلوب قوة العاطفة الحية ، وصحة الفكرة . والقصة في التربية الإسلامية هي واقعية صادقة وكان لها وجود حقيقي في التاريخ الصحيح الصادق ، وهذا ما تنفرد به القصة الإسلامية التربوية عن غيرها الذي يعتمد القصص الخرافية والخيالية .

يقول (باحارث ، ١٤١٢ هـ) :

القصة وسيلة تربوية هامة في منهج التربية الإسلامية ، حيث لا يقتصر دورها التربوي وتأثيرها العاطفي والنفسي على الأطفال الصغار فحسب ، بل يتعدى ذلك ليشمل الكبار والشيخوخ ، فهذا كتاب الله ﷻ قد تضمن بين دفتيه المباركتين قصصاً كثيرة تربي عليها الكبار في العهد النبوي وما بعده قبل أن يتربي عليها الصغار ، فآثر تأثيرها - ممتزجاً بباقي جوانب المنهج الإسلامي - نماذج بشرية فاقت كل جيل قبلها وأعجزت كل جيل بعدها أن يماثلها أو يساويها . ص ٣٤٩ .

ويقول (سويد ، ١٤١٧ هـ) :

وإذا كان للقصة هذا الأثر العميق فإن استخدام المربي للقصة في توجيه المتعلمين وتربيتهم يعدّ أمراً موافقاً لمنهج التربية الإسلامية ، خاصة وأن التربويين

يكادون يجمعون على أهميّة استخدام القصّة في تربية النشء ، وأنّ لها أثراً تربوياً جيّداً على شخصياتهم ، فهي تقوي الخيال عندهم ، وتشد انتباههم ، وتنمي لغتهم ، وتدخل عليهم السرور والبهجة ، إلى جانب أنّها تغرس فيهم الفضائل والأخلاق من خلال أحداثها المثيرة . ص ٣٢٩ .

ويستطيع المربي القدير في أيّ مرحلة تعليمية ، وفي أيّ مادة علمية أن يجد الكثير من القصص التربوية الخالدة في القرآن الكريم والسنة النبوية التي تثير العواطف وتوجهها إلى الله في تصوير فني رائع وحقيقي ، بعيداً عن القصص الخرافية والأساطير التي ملئت بها كثير من كتب الأدب .

ومن أمثلة القصص القرآني والنبوي :

١ - قصّة موسى عليه السلام حين خرج من مدينة فرعون خائفاً يترقب :

والقصّة في أسلوبها الرائع تهدف لفكرة عن طريق عاطفي ، من فراره .. إلى مطاردة ، إلى وحدة نفسية .. إلى اجتماع بطائفة من الناس حول الماء يسقون .. إلى مظهر من الروح العملية لدى موسى عليه السلام في مدّ يد العون للآخرين بقوة وأمانة ، إلى حوار مع امرأتين اضطرتا إلى العمل بكلّ أدب وحياء ، ثمّ إلى عمالة كريمة مأجورة ، ثمّ إلى زواج واستقرار ..

وفيما يلي النصّ القرآني الخالد بجمال الأداء وقوّة المعنى والهدف التربوي السليم يقص القصص :

يقول تعالى : ﴿ ... وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ . فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا

أَنْزَلَتْ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ . فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ . قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ... ﴿ [سورة القصص ، الآيات من ٢٣ - ٢٦] .

٢ - ومن السنة النبوية : قصة أصحاب الغار الثلاثة الذين آواهم المبيت إلى غار فدخلوه فانحدرت صخرة فسدت عليهم الغار ، فقالوا : إِنَّهُ لَا يَنْجِيكُمْ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ إِلَّا أَنْ تَدْعُوا اللَّهَ بِصَالِحِ أَعْمَالِكُمْ .

فالأول : في هذه القصة النبوية التربوية يمثل محبة الوالدين وإكرامهما والبر بهما وخدمتهما .

والثاني : يمثل فضل العفاف والانكفاف عن الفاحشة لاسيما بعد القدرة عليها والهم بفعلها .

والثالث : يمثل فضل الأمانة وحفظ حقوق العمال وصيانة أجرهم . (والحديث بطوله في الصحيحين ، وقد رواه مسلم ، برقم ٢٧٤٣ ، ك الرقاق ، باب قصة أصحاب الغار الثلاثة ، ج٤ ، ص ١٦٦٨ ، ١٦٦٩ ، من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما) .

وهذه القصة وأمثالها في السنة النبوية وقعت فعلاً وصدقاً ، وهي عبرة وعظة في تربية الأفراد والمجتمع في حسن السلوك وفضائل الأخلاق وسلامة المعاملات .

ومن الاهتمامات الحديثة في هذا العصر الاهتمام بقصص الأطفال .

يقول (أبو النصر ، ١٤٠٧ هـ) :

والقصص الخاصة بالأطفال والتي تترجم إلى العربية فإنها لا تمثل في الحقيقة

احتياجات أطفالنا ، ولا تعالج موضوعات تخصنا ، بل هي بعيدة عن واقع حياتنا الذي نعيشه ، إلى جانب أن أكثرها ضعيف الترجمة والنقل إلى العربية فتصعب على الطفل قراءتها » . ص ٢٦ .

ولا شك أن كثيراً من قصص الأطفال المنشورة والأفلام المرئية غريب عن أصالتنا الفكرية ، وله آثار سيئة في توجيه الأطفال لأنه ينبع من عقيدة غير عقيدتنا ومن أخلاق غريبة عنا ، إلى جانب أن أكثره يعتمد على الخيال والخرافة . وإن الواجب على المؤسسات التربوية والأجهزة الإعلامية أن تقف صفاً واحداً لمنع ما يخل بعقيدة أجيال الأمة أو يطعن في أخلاقها ، وأن تعمل على إيجاد البديل الصالح من القصص والأفلام المناسبة الموافق لمنهج التربية الإسلامية .

وإنّ الربّي العظيم والأب القدير ليجد في مجال التنشئة للصغار والفتيان وفي مجال التربية المستمرة للشباب والراشدين مراجع غنية - هي بمثابة عيون فياضة لا ينضب لها معين - من القصص التربوي الهادف من كتاب الله تعالى ومن سنة الرسول ﷺ وسيرته وسيرة سلف الأمة . وهذا القصص يتميز بحقيقته وواقعيته وصدقه وبعده عن الخيال والخرافة ، فتقوى عند المتعلمين صلتهم بالله وبتاريخهم الإسلامي المجيد .

ويمكن أن يعتمد الربّي فيما يخص القصص القرآني على القرآن الكريم وكتب التفسير ، وبعض الكتب المؤلفة في قصص القرآن ، كقصص الأنبياء لابن كثير ، وقصص النبيين للندوي .

وأما القصص النبوي ففي سيرة الرسول ﷺ كسيرة ابن هشام أو « كتاب الرحيق المختوم » للمباركفوري ، أو غيرها من الكتب الموثوقة المعاصرة .

ويرى الباحث أنَّ التربية بالقصص من أعظم الوسائل التربوية أثرًا في النفوس ، وذلك لكون القصة تطرق المسامع بشغف ، وتنفذ إلى النفس البشرية بسهولة ويسر .

وفي القصص القرآني والقصص النبوي تربة خصبة تساعد المربين على النجاح في مهمتهم وتمدهم بزيادة تهذيبي من سيرة النبيين ، وأخبار الماضين ، وسنة الله في حياة المجتمعات وأحوال الأمم .

وحين يعيش السامع أو القارئ مع القصص القرآني أو القصص النبوي ، فإنه يعيش مجالس النبوة ، ويعيش أحداثها ، وفي ذلك ما فيه من تعليم وتربية وغرس لخلق الصدق في النفوس إلى جانب المتعة والراحة النفسية .

خاتمة البحث

وتشمل :

- النتائج

- التوصيات

نتائج البحث وتوصياته :

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، أحمدته تعالى أن منّ علينا جميعاً بنعمة الإسلام ، ثمّ أحمدته تعالى أن منّ عليّ بإتمام هذا البحث ، والصلاة والسلام على رسول الله وخير خلق الله وعلى آله وصحبه ومن سار على هديه وسلك نهجه إلى يوم الدين ، وبعد :-

فهذا البحث ما هو إلا محاولة لإبراز خلق الصدق في التربية الإسلامية الذي يعتبر أساساً من أسس العقيدة ، وشرطاً من شروط كلمة التوحيد الذي لا يقبل الله العمل إلاّ به ، كما يعتبر فضيلة من الفضائل الخلقية التي يسعد بها المرء في الدنيا ويحظى بثوابها في الآخرة .

فإن كان صواباً فمن الله ، وما كان من نقص أو خطأ فمن نفسي والشيطان .
ورجائي لكل من قرأ هذا البحث ووجد عيباً أن يرشدني إلى موضع الصواب ،
وله منّي الدعاء ، ومن الله الأجر والثواب .

وقد توصّل الباحث إلى عدد من النتائج والتوصيات ، وهي على النحو التالي :

أولاً : النتائج :

١ - أنّ التربية الخلقية من أهمّ عناصر التربية في الإسلام إذ تتضمن أمن المجتمع وتقدّمه واستقراره وسرّ بقاءه .

٢ - أنّ الصدق قرين الإيمان ، وركنه الركين ، ولا يكون الإيمان إلاّ بالصدق في الاعتقاد والقول والعمل . كما أنّ الكذب قرين الكفر وبريد النفاق ، وذلك من خلال استقراء الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة التي ذكر فيها الصدق .

٣ - أنَّ الصدق هو مطابقة القول للاعتقاد ، والمظهر للمخبر في الواقع والحقيقة ، وهو موافقة العمل لمقتضى أوامر الشرع .

٤ - أنَّ الإنسان مجبول في فطرته على حبّ الحقّ والصدق وكراهة الكذب والخيانة ، وأنّ الكذب ليس من طباع الإنسان السوي وفطرته .

٥ - أنَّ الصدق من الصفات العظيمة الّتي وصف الله بها نفسه ووصف بها رسله وعباده الصالحين ، وفي هذا إرشاد إلى وجوب تصديق ما جاء عن الله تعالى وما جاء عن الرسل الكرام عليهم صلوات الله وسلامه والإقتداء بهم وبالمؤمنين الصادقين في هذا الخلق العظيم .

٦ - أنَّ الصدق طمأنينة والكذب رية ، وعلى هذا المبدأ النبوي يعيش الفرد الصادق في سعادة وطمأنينة ، ويعيش المجتمع الصادق في أمن وسلام ، وتسود الثقة في التعامل بين أفراد المجتمع ، وهذا لا يتحقّق إلاّ بالصدق في الإيمان .

٧ - أنَّ من أهمّ وظائف التربية الإسلامية هو المحافظة على فطرة الأجيال وصيانتها وتوجيهها إلى الله تعالى بالتنشئة على حبّ الصدق ومحاربة الكذب عن طريق مؤسساتها ووسائلها التربوية والإعلامية والاجتماعية .

٨ - أنَّ من أهمّ الوسائل والأساليب الّتي تكوّن خلق الصدق في النفوس القدوة الصالحة ، ولذلك بعث الله تعالى رسوله محمّداً ﷺ ليكون القدوة المطلقة للمسلمين في سيرته وسنته القولية والفعلية في كلّ زمان ومكان .

٩ - ما حقّقه صدر هذه الأمّة وخير قرونها والقرون المفضّلة بعده من انتصارات وفتوحات وبناء حضارة فريدة من نوعها كان ذلك كلّه بسبب الصدق مع الله تعالى ومع خلقه ، وما أصاب الأمّة الإسلامية اليوم من اختلاف

وضعف واستكانة وما أصابها من جراح كان بسبب فقد الصدق مع الله أو ضعفه . وهذا الأمر يحتم على الأمة تربية أجيالها على الصدق مع الله ومع النفس ومع الخلق حتى تستعيد مكانتها التي يريد الله لها ، وتكون خير أمة أخرجت للناس بنشر دين الله في الأرض ، وتحقيق العدل وإخراج الأمم من ظلمات الجهل والكفر إلى نور العلم والإيمان .

١٠ - أن الصدق مع الله تعالى في الاعتقاد والأعمال يؤدي ثماره يانعة في شتى مجالات الحياة ، وتظهر نتائجه بارزة في الحياة ، ولا يقتصر هذا الأثر والنتائج على الحياة الدنيا ، بل يتعداها إلى الآخرة بالثواب العظيم ودرجات الصديقين .

ثانياً التوصيات :

ومن أهم التوصيات التي يوصي بها الباحث :

١ - الوصية بتقوى الله ﷻ لكل من انتسب إلى الإسلام ، فهي وصية الله لمن تقدم ومن تأخر . ﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ ﴾ [سورة النساء ، آية ١٣١] .

٢ - توجيه أبناء المسلمين والمجتمع الإسلامي بصفة عامة إلى الدخول في زمرة الصادقين ، والتحلي بهذا المبدأ والخلق العظيم . ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ [سورة التوبة ، الآية ١١٩] .

٣ - أن تعمل المؤسسات التربوية والإعلامية على تأصيل القيم والمبادئ التربوية مستندة في ذلك إلى كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ .

٤ - أن يتّصف القائمون على التربية وعلى مراكز التوجيه في المجتمع بالخلق القويم ، وفي مقدمة هذا الخلق الصدق في الكلمة والسلوك والقُدوة .

٥ - العمل على تشجيع مراكز البحوث وطلّاب الدراسات العليا التربوية لإجراء البحوث والدراسات عن مدى التزام المشرفين التربويين والمعلّمين بخلق الصدق وتطبيقه في أداء رسالتهم .

٦ - العناية باختيار المعلّمين عند الترشيح لمهنة التعليم ، وأن يكون هذا الاختيار وفق معايير دقيقة تحقّق خلق الصدق من خلال المظاهر الّتي تبرز واضحة فيمن يتحلّى به من تقوى الله ﷻ وأداء الصلوات في جماعة وحسن الخلق والشعور بالمسئولية وما يتبع ذلك من الفضائل الخلقية .

٧ - العمل على بناء الأسرة والبيت المسلم على تقوى الله وحسن الخلق ، والعناية بهذا الأمر عن طريق المؤسسات التربوية والإعلامية ، وأن يكون دور المسجد بارزاً في هذا الجانب لالتصاقه بكلّ أفراد المجتمع ، وإلهمية المسجد عند كلّ فرد من أفرادهِ .

المصادر والمراجع

وتشمل :

- ١ - القرآن الكريم .
- ٢ - الكتب .
- ٣ - الرسائل الجامعية المنشورة وغير المنشورة .
- ٤ - الصحف والندوات .

المصادر والمراجع

أولاً : المصادر :

١ - القرآن الكريم .

٢ - ابن حجر ، أحمد بن عليّ بن محمّد الكتاني العسقلاني ، فتح الباري شرح صحيح البخاريّ ، دار الفكر ، بيروت ، « د . ت » .

٣ - ابن كثير ، أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر القرشي ، تفسير القرآن العظيم ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٤٠١ هـ .

٤ - ابن منظور ، جمال الدين محمّد بن مكرم ، لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ، « د . ت » .

٥ - أبو داود ، سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي ، سنن أبي داود ، دار إحياء السنة ، « د . ت » .

٦ - أحمد ، أبو عبد الله أحمد بن محمّد بن حنبل الشيباني ، المسند ، المكتب الإسلامي ، ط ١ ، دار صادر ، بيروت ، ١٣٨٩ هـ .

٧ - البخاريّ ، محمّد بن إسماعيل ، صحيح البخاريّ ، ط ١ ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤١١ هـ .

٨ - البيضاوي ، ناصر الدين أبو الخير عبد الله بن عمر الشيرازي ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، « د . ت » .

- ٩ - الترمذي ، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة ، سنن الترمذي ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤٠٧ هـ .
- ١٠ - الحاكم ، محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري ، المستدرک على الصحيحين في الحديث ، مكة ، دار الباز ، « د . ت » .
- ١١ - الدارمي ، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن ، سنن الدارمي ، طبع بعناية محمد أحمد دهمان ، دار إحياء السنة النبوية ، « د . ت » .
- ١٢ - الرازي ، محمد بن أبي بكر ، مختار الصحاح ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤٠١ هـ .
- ١٣ - الراغب الأصفهاني ، مفردات ألفاظ القرآن ، ط ٢ ، دار القلم ، دمشق ، ١٤١٨ هـ .
- ١٤ - قطب ، سيد ، في ظلال القرآن ، ط ٢ ، دار الشروق ، بيروت ، ١٤١٢ هـ .
- ١٥ - مسلم ، مسلم بن الحجاج ، النيسابوري ، صحيح مسلم ، ط ١ ، دار ابن حزم ، بيروت ، ١٤١٦ هـ .
- ١٦ - النووي ، أبو زكريا يحيى بن شرف ، صحيح مسلم بشرح النووي ، ط ٣ ، دار الفكر ، بيروت ، « د . ت » .

ثانياً : المراجع :

- ١ - ابن الأثير ، عليّ بن محمّد ، الكامل في التاريخ ، ط ٢ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٣٨٧ هـ .
- ٢ - ابن تيميّة ، تقي الدين أحمد بن عبدالحليم ، مجموع الفتاوى ، جمع وترتيب عبدالرحمن بن محمّد بن قاسم النجدي ، ط ١ ، السعودية ، ١٣٨١ هـ .
- ٣ - ابن الجوزي ، أبو الفرج عبدالرحمن بن عليّ ، صفة الصفوة ، ط ٢ ، مكتبة نزار الباز ، مكة ، ١٤١٨ هـ .
- ٤ - ابن الجوزي ، أبو الفرج عبدالرحمن بن عليّ ، صيد الخاطر ، مراجعة وتعليق عليّ الطنطاوي ، وتحقيق ناجي الطنطاوي ، ط ٢ ، دار الفكر ، دمشق ، ١٣٩٨ هـ .
- ٥ - ابن الجوزي ، أبو الفرج عبدالرحمن بن عليّ ، الطب الروحاني ، تحقيق أبي هاجر محمّد السعيد بن بسيوني زغلول ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، ١٤٠٦ هـ .
- ٦ - ابن حجر ، أحمد بن عليّ بن محمّد الكناني العسقلاني ، الإصابة في تمييز الصحابة ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، « د . ت » .
- ٧ - ابن حجر ، أحمد بن عليّ بن محمّد الكناني العسقلاني ، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، « د . ت » .
- ٨ - ابن حنبل ، أبو الفضل صالح بن أحمد بن حنبل ، سيرة الإمام أحمد بن حنبل ، دراسة وتحقيق د/ فؤاد عبدالمنعم أحمد ، ط ٣ ، دار السلف للنشر والتوزيع ، الرياض ، ١٤١٥ هـ .

- ٩ - ابن عبد ربّه ، أبو عمرو شهاب الدين أحمد بن محمد القرطبي ، تأديب الناشئين بأدب الدنيا والدين ، تحقيق محمد إبراهيم سليم ، مكتبة القرآن ، القاهرة ، « د . ت » .
- ١٠ - ابن فارس ، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ، معجم مقاييس اللغة ، تحقيق وضبط عبدالسلام محمد هارون ، ج ٣ ، ط ٣ ، مكتبة الخانجي ، مصر ، ١٤٠٢ هـ .
- ١١ - ابن القيم ، أبو عبدالله محمد بن أبي بكر ، أعلام الموقعين ، مراجعة وتقديم طه عبدالرؤوف ، دار الجليل ، بيروت ، ١٩٧٣ م .
- ١٢ - ابن القيم ، أبو عبدالله محمد بن أبي بكر ، الفوائد ، حققه وخرّج أحاديثه وعلّق عليه بشير محمد عيون ، ط ١ ، مكتبة دار البيان ، دمشق ، ١٤٠٧ هـ .
- ١٣ - ابن القيم ، أبو عبدالله محمد بن أبي بكر ، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ، راجع النسخة وضبط أعلامها لجنة من العلماء بإشراف الناشر ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٢ هـ .
- ١٤ - ابن كثير ، أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر القرشي ، البداية والنهاية ، ط ٧ ، مكتبة المعارف ، بيروت ، ١٤٠٨ هـ .
- ١٥ - ابن كثير ، أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر القرشي ، قصص الأنبياء ، ج ١ ، ط ٤ ، دار القبة ، جدة ، ١٤١١ هـ .
- ١٦ - ابن هشام ، عبدالملك ، السيرة النبوية ، علّق عليها وخرّج أحاديثها وصنع فهرسها عمر عبدالسلام تدمري ، ط ٣ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٤١٠ هـ .

- ١٧ - أبو العينين ، عليّ خليل ، القيم الإسلامية والتربية ، ط ١ ، المدينة ، مكتبة الحلبي ، ١٤٠٨ هـ .
- ١٨ - أحمد ، عبدالله ، بناء الأسرة الفاضلة ، دار البيان العربي ، بيروت ، ١٤١٠ هـ .
- ١٩ - الأهواني ، أحمد فؤاد ، التربية في الإسلام ، دار المعارف ، القاهرة ، « د . ت » .
- ٢٠ - بريغش ، محمد حسن ، أدب الأطفال ، أهدافه وسماته ، ط ٢ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤١٦ هـ .
- ٢١ - بنت الشاطئ ، عائشة عبدالرحمن ، الشخصية الإسلامية ، دراسة قرآنية ، ط ٣ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٠ م .
- ٢٢ - التوم ، بشير حاج ، تدريس القيم الخلقية ، مكة ، مركز البحوث التربوية والنفسية ، ١٤٠٣ هـ .
- ٢٣ - التيمي ، عزّ الدين بدر إسماعيل سمرين وزميله ، نظرات في التربية الإسلامية ، ط ١ ، دار البشير ، عمان ، ١٤٠٥ هـ .
- ٢٤ - ثيرستون ، ثلماجوين ، وكاترين مان بيرن ، القدرات العقلية عند الأطفال ، ترجمة عبدالفتاح المنيأوي وإشراف وتقديم عبدالعزيز القوصي ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٠ م .
- ٢٥ - ج.أ. هادفيلد ، الطفولة والمراهقة ، ترجمة أحمد شوكت وعدنان خالد ، دار الكتب ، جامعة الموصل .

- ٢٦ - الجمالي ، محمد فاضل ، نحو توحيد الفكر التربوي في العالم الإسلامي ، ط ١ ، الدار التونسية للنشر ، ١٩٧٠ م .
- ٢٧ - حوى ، سعيد ، الإسلام دراسة منهجية هادفة حول الأصول الثلاثة ، القاهرة ، ١٣٩٧ هـ .
- ٢٨ - الخبازي ، جلال الدين محمد عمر ، المغني في أصول الفقه ، تحقيق محمد مظهر ، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي ، مكة ، جامعة أم القرى ، كلية الشريعة ، ١٤٠٣ هـ .
- ٢٩ - خضير ، سعود ، المرشد التربوي لمعلمات رياض الأطفال بدول الخليج العربية ، مكتب التربية لدول الخليج العربي ، ١٤٠٧ هـ .
- ٣٠ - الخطيب ، أبو بكر أحمد بن عليّ بن ثابت الخطيب البغدادي ، الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ، تحقيق محمود الطحان ، مكتبة المعارف ، الرياض ، ١٤٠٣ هـ .
- ٣١ - الخطيب ، عبدالغني ، الطفل المثالي في الإسلام ، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر ، ط ١ ، ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م .
- ٣٢ - الخطيب ، عبدالكريم ، الله ذاتاً وموضوعاً ، ط ٢ ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٧٧ م .
- ٣٣ - الخطيب ، محمد عجاج ، السنة قبل التدوين ، ط ١ ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ١٣٨٣ هـ .
- ٣٤ - خياط ، محمد جميل ، النظرية التربوية في الإسلام ، دراسة تحليلية ، ط ١ ، مكة ، مطابع الصفا ، ١٤٠٧ هـ .

- ٣٥ - دسوقي ، كمال ، النمو التربوي للطفل والمراهق ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٧٩ م .
- ٣٦ - الذَّهَبِيُّ ، شمس الدين محمد أحمد بن عثمان ، سير أعلام النبلاء ، ط ٧ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م .
- ٣٧ - زنجير ، محمد رفعت ، أهمية الإيمان وآثاره في بناء الفرد والمجتمع ، دار الثقافة ، مكة ، ١٤٠٩ هـ .
- ٣٨ - زيدان ، عبدالكريم ، أصول الدعوة ، ط ٢ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤٠٧ هـ .
- ٣٩ - سابق ، سيد ، العقائد الإسلامية ، دار الكتاب ، بيروت ، « د . ت » .
- ٤٠ - السدلان ، صالح بن غانم ، المسجد ودوره في التربية والتوجيه وعلاقته بالمؤسسات الدعوية في المجتمع ، ط ١ ، دار بلنسية ، الرياض ، ١٤١٥ هـ .
- ٤١ - سرحان ، الدمرداش عبدالمجيد ، المناهج المعاصرة ، ط ١ ، مكتبة الفلاح ، الكويت ، ١٤٠١ هـ .
- ٤٢ - السفاريني ، محمد بن أحمد ، لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية شرح الدرة المضية في عقيدة الفرقة المرضية ، ط ٢ ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ١٤٠٥ هـ .
- ٤٣ - سويد ، محمد نور ، منهج التربية النبوية للطفل ، ط ٦ ، مكتبة المنار الإسلامية ، الكويت ، ١٤١٧ هـ .
- ٤٤ - السيد ، فؤاد البهي ، الأسس النفسية للنمو من الطفولة إلى الشيخوخة ، ط ٤ ، دار الفكر العربي ، ١٩٧٥ م .

- ٤٥ - الشرقاوي ، أنور محمد ، انحراف الأحداث ، دار الثقافة ، القاهرة ، ١٩٧٧ م .
- ٤٦ - الشتوت ، خالد أحمد ، دور البيت في تربية الطفل المسلم ، ط ٤ ، مكتبة دار المطبوعات الحديثة ، جدة ، ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م .
- ٤٧ - شهلا ، جورج وآخرون ، الوعي التربوي ومستقبل البلاد العربية ، ط ٥ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٢ م .
- ٤٨ - الشوكاني ، محمد بن عليّ ، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، « د . ت » .
- ٤٩ - الشيباني ، عمر محمد التومي ، من أسس التربية الإسلامية ، المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع والإعلان ، طرابلس الغرب ، ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م .
- ٥٠ - الصابوني ، محمد عليّ ، التبيان في علوم القرآن ، ط ٢ ، مؤسسة مناهل العرفان ، ١٤٠٠ هـ .
- ٥١ - الصالح ، محمد بن أحمد ، الطفل في الشريعة الإسلامية ، ط ٢ ، مطابع الفرزدق ، ١٤٠٣ هـ .
- ٥٢ - الطبري ، محمد بن جرير ، تاريخ الطبري ، ج ٢ ، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم ، دار المعارف ، مصر ، ١٣٨٧ هـ .
- ٥٣ - طعيمة ، صابر ، المعرفة في منهج القرآن الكريم ، دار الجيل ، بيروت ، « د . ت » .
- ٥٤ - عاقل ، فاخر ، علم النفس التربوي ، ط ٨ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٢ م .

- ٥٥ - عبد الباقي ، محمد فؤاد ، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، ط ٢ ، دار الحديث ، القاهرة ، ١٤٠٨ هـ .
- ٥٦ - عبدالصمد ، محمد كامل ، التلفزيون بين الهدم والبناء ، دار الدعوة ، الإسكندرية ، ١٤٠٥ هـ .
- ٥٧ - عبدالعزيز ، صالح وزميله ، التربية وطرق التدريس ، ط ١٢ ، دار المعارف ، مصر ، « د . ت » .
- ٥٨ - عبود ، عبدالغني ، الله والإنسان المعاصر ، ط ١ ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٧٧ م .
- ٥٩ - عبيدات ، ذوقان وآخرون ، البحث العلمي ، دار الفكر ، عمان ، ١٩٨٨ م .
- ٦٠ - عرفة ، محمد عبدالله ، حقوق المرأة في الإسلام ، ط ١ ، مطبعة مدني ، ١٣٩٨ هـ .
- ٦١ - عطوي ، محسن محمد ، زاد المبلغين ، دار التعارف ، بيروت ، ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م .
- ٦٢ - العقاد ، عباس محمود ، التفكير فريضة إسلامية ، دار الهلال ، القاهرة ، « د . ت » .
- ٦٣ - علوان ، عبدالله ناصح ، تربية الأولاد في الإسلام ، ط ١٧ ، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م .
- ٦٤ - العودة ، سلمان بن فهد ، أخلاق الداعية ، ط ١ ، دار الوطن للنشر ، الرياض ، ١٤١١ هـ .

- ٦٥ - الغزالي ، أبو حامد محمد بن محمد ، إحياء علوم الدين ، جـ ٤ ، ط ١ ، دار الحديث ، القاهرة ، ١٤١٢ هـ .
- ٦٦ - الغزالي ، محمد ، خلق المسلم ، ط ٧ ، دار القلم ، دمشق ، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م .
- ٦٧ - قادري ، عبد الله أحمد ، الإسلام وضروريات الحياة ، دار المجتمع ، جدة ، ١٤٠٦ هـ .
- ٦٨ - القرشي ، باقر شريف ، النظام التربوي في الإسلام (دراسة مقارنة) ، دار التعاون للمطبوعات ، بيروت ، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م .
- ٦٩ - القرضاوي ، يوسف ، الإيمان والحياة ، ط ٧ ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٤٠١ هـ .
- ٧٠ - قطب ، سيد ، خصائص التصور الإسلامي ومقوماته ، ط ٧ ، بيروت ، ١٤٠٢ هـ .
- ٧١ - قطب ، محمد ، منهج التربية الإسلامية ، ط ١٤ ، دار الشروق ، القاهرة ، ١٤١٤ هـ .
- ٧٢ - قطب ، محمد علي ، أولادنا في ضوء التربية الإسلامية ، مكتبة القرآن ، القاهرة ، « د . ت » .
- ٧٣ - كاريل ألكسيس ، الإنسان ذلك المجهول ، ط ٣ ، تعريب شفيق أسد فريد ، مكتبة المعارف ، بيروت ، ١٩٨٤ م .
- ٧٤ - الكيلاني ، ماجد عرسان ، تطور مفهوم النظرية التربوية الإسلامية ، ط ٢ ، دار ابن كثير ، دمشق ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م .

- ٧٥ - الكيلاني ، ماجد عرسان ، الفكر التربوي عند ابن تيمية ، ط ٢ ، مكتبة دار التراث ، المدينة ، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٦ م .
- ٧٦ - الكيلاني ، ماجد عرسان ، فلسفة التربية الإسلامية ، ط ١ ، دار البشائر ، بيروت ، ١٤٠٧ هـ .
- ٧٧ - اللقاني ، أحمد حسين ، برنس أحمد ، تدريس المواد الاجتماعية ، ط ١ ، عالم الكتب ، ١٩٧٤ م .
- ٧٨ - الماوردي ، أبو الحسن عليّ بن محمد بن حبيب ، أدب الدنيا والدين ، دراسة وتحقيق مصطفى عبدالقادر عطا ، ط ١ ، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت ، ١٤١٥ هـ .
- ٧٩ - مبيض ، محمد سعيد ، أخلاق المسلم وكيف نربي أبناءنا عليها ، ط ١ ، مكتبة الغزالي ، سوريا ، ١٤١١ هـ .
- ٨٠ - مجاور ، محمد صلاح الدين ، تدريس التربية الإسلامية أسسه وتطبيقاته التربوية ، ط ٤ ، دار القلم ، الكويت ، ١٤١١ هـ / ١٩٩٠ م .
- ٨١ - محمود ، عليّ عبدالحليم ، المسجد وأثره في المجتمع الإسلامي ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٦ م .
- ٨٢ - محمود ، صفوت عبدالفتاح ، الصدق وأثره في حياة الفرد والأمة ، ط ٢ ، دار ابن حزم ، بيروت ، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٤ م .
- ٨٣ - مدرسي ، هادي ، كيف تسعد الحياة الزوجية ، ط ٢ ، دار الحوراء ، بيروت ، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م .

- ٨٤ - مصطفى ، إبراهيم وآخرون ، المعجم الوسيط ، دار التراث العربي ، « د . ت » .
- ٨٥ - المليجي ، عبدالمنعم وحلمي المليجي ، النمو النفسي ، ط ٥ ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٧٣ م .
- ٨٦ - الميداني ، عبدالرحمن حسن ، الأخلاق الإسلامية ، ط ٢ ، دار القلم ، دمشق ، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م .
- ٨٧ - الناصف ، محمد ، آراء في التربية ، الشركة التونسية ، تونس ، « د . ت » .
- ٨٨ - النجار ، زغلول راغب ، أزمة التعليم المعاصر نظرة إسلامية ، ط ١ ، مكتبة الفلاح ، الكويت ، ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م .
- ٨٩ - النحلاوي ، عبدالرحمن ، أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع ، ط ٢ ، دار الفكر ، دمشق ، ١٤٠٣ هـ .
- ٩٠ - النحلاوي ، عبدالرحمن ، التربية الإسلامية والمشكلات المعاصرة ، ط ٢ ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م .
- ٩١ - النحلاوي ، عبدالرحمن وآخرون ، التربية وطرق التدريس ، دار الفكر ، دمشق ، « د . ت » .
- ٩٢ - الندوي ، أبو الحسن عليّ ، التربية الإسلامية الحرة ، ط ٣ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤١٠ هـ .
- ٩٣ - الندوي ، أبو الحسن عليّ ، السيرة النبوية ، ط ٢ ، دار الشروق ، جدة ، ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م .

٩٤ - الندوي ، أبو الحسن عليّ ، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ، ط ١٠ ، دار الأنصار ، القاهرة ، ١٣٩٧ هـ .

٩٥ - النووي ، أبو زكريا ، يحيى بن شرف ، الأذكار النووية ، حقق نصوصه وخرّج أحاديثه وعلّق عليه محيي الدين مستو ، ط ٧ ، دار ابن كثير ، دمشق ، ١٤١٨ هـ .

٩٦ - الهاشمي ، عبد الحميد ، الرسول العربي المربي ، ط ١ ، دار الثقافة للجميع ، دمشق ، ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م .

٩٧ - يالجن ، مقداد ، الاتجاه الأخلاقي في الإسلام ، ط ١ ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٣ .

ثالثاً : الرسائل الجامعية :

- ١ - أحمد ، هاشم عليّ ، التربية الذاتية من الكتاب والسنة ، رسالة ماجستير (منشورة) ، ط ١ ، دار الأهدل للنشر والتوزيع ، مكة ، ١٤١٣ هـ / ١٩٩٣ م .
- ٢ - باحارث ، عدنان حسن صالح ، مسئولية الأب المسلم في تربية الولد في مرحلة الطفولة ، رسالة ماجستير (منشورة) ، ط ٢ ، دار المجتمع للنشر والتوزيع ، جدة ، ١٤١٢ هـ / ١٩٩١ م .
- ٣ - بكر عبد الجواد سيد ، فلسفة التربية الإسلامية في الحديث الشريف ، رسالة ماجستير (منشورة) ، ط ١ ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٨٣ م .
- ٤ - جبار ، سهام مهدي ، الطفل في الشريعة الإسلامية ومنهج التربية النبوية ، رسالة ماجستير (منشورة) ، ط ١ ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧ م .
- ٥ - عارف ، مذكر محمد ، الصدق في القرآن الكريم (دراسة موضوعية) ، رسالة ماجستير (غير منشورة) ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، كلية أصول الدين ، قسم القرآن وعلومه ، الرياض ، ١٤١٦ هـ .
- ٦ - عبدالعال ، حسن ، التربية الإسلامية في القرن الرابع الهجري ، رسالة ماجستير (منشورة) ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٧٨ م .

رابعاً : الصحف والندوات :

- ١ - أبو النصر ، جولندا ، تنمية القراءة لدى الأطفال العرب ، ترجمة كمال توفيق الهلباوي ، وقائع ندوة كتب الأطفال في دول الخليج العربية ، عام ١٤٠٦ هـ ، مكتب التربية العربي لدول الخليج العربي ، ١٤٠٧ هـ .
- ٢ - القاضي ، عليّ ، منهج التربية الإسلامية ، صحيفة التربية ، العدد الثالث ، السنة التاسعة والعشرون ، تصدرها رابطة خريجي معاهد وكليات التربية ، القاهرة ، يونيه ، ١٩٧٧ م .